أديب عباسي

عودة لقمان

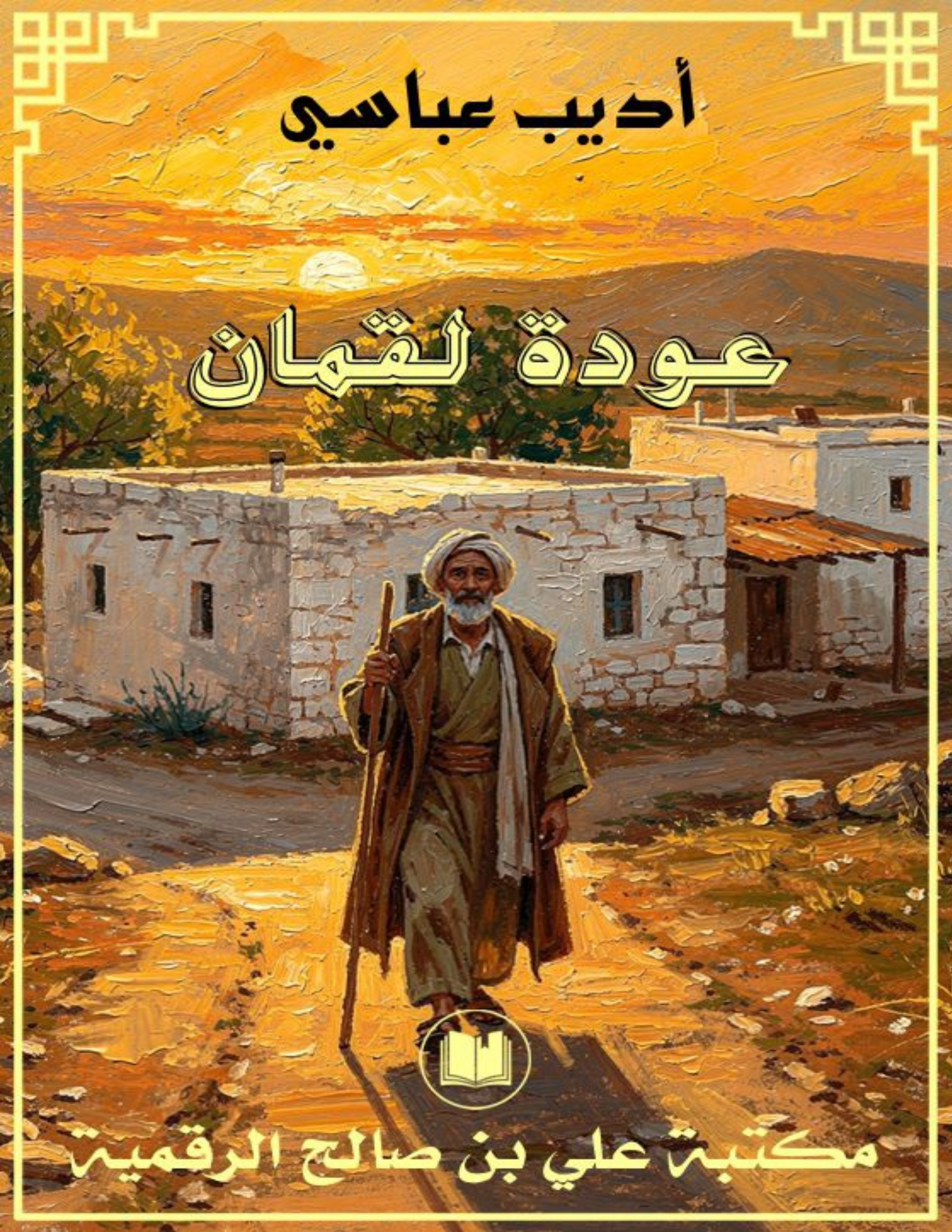

مكتبة علي بن صالح الرقمية

أديب عباسي

عودة لقمان

مجموعة قصصية

1980

كتب أونلاين
كتب للجميع

مكتبة علي بن صالح الرقمية

مقدمة

أيها القارى والقارئة العزيزين

هذا الجزء من قصص الأمثال أو أمثال القصص هو جانب من مجموعة لنا تقع في نحو ألف أقصوصة أو دون ذلك بقليل جعلتها حيناً على لسان الحيوان، وحيناً آخر على لسان الإنسان، وحيناً ثالثاً على لسان جماد أو نبات، وحيناً رابعاً جعلتها شركة بين بعض هذه الكائنات وبعضها الآخر. وقد توخيت في الجانب الأكبر منها أن أمثل خلل من الأخلاق النادرة أو خالجة من خوالج النفس الغريبة أو سلوك من سلوك الأحياء غير قريب ولا مألوف. وسيرى قارئ هذه الأقاصيص أن الندرة أو الغربة أو العد عن الألف فيما وصفت من خلق أو كشفت عن خالجه أو أظهرت من سلوك ليست ندرة القلة والشذوذ، ولا غربة الخصوص والعد من الشمول، ولا ابتعاد المغايرة والاختلاف مع خبرة الناس كافة ومشاهدتهم، وإنما هي ندرة الخفاء وغرابته وبعده ليس غير. إنني في هذه الأقاصيص أعرض على القارئ مقطعاً أفقياً من أخلاق الناس لا مقطعاً راسياً، فإذا بدت نماذجه غريبة أو بعيدة فإنما ذلك أنها تمثل طبقة خفية مستورة من أخلاق البشر وسلوكهم تغطيها وتخفيها الطبقات الظاهرة على السطح التي تشهدها كل عين ويفطن إليها كل وعي ويلتفت إليها كل انتباه ويعيها كل ذهن. غير أنني لا أزعم أنني مثلت تمثيلاً كاملاً في هذه الأقاصيص لكل الأهواء البشرية ونزعاتها المستورة وأخلاقها غير المألوفة وأشكال سلوكها النادر ومشاعرها غير المرئية، فأولئك جميعاً أعمق وأعم وأشمل من أن يضمها كتاب أو كتب أو يحصيها كاتب أو عدد من الكاتبين أو يكشفها كاشف أو عديد الكاشفين مهما بلغوا جميعاً من الشمول والإحاطة والقدرة على النفوذ وسبر الأغوار في النفس البشرية، ولكنني أزعم أنني قد ضمنت هذه الأقاصيص من شؤون الخلق والسلوك والميول والنزوات ما تستطيع أن تتضمنه ألف أقصوصة مستقلة كل أقصوصة فيها تمثل تمثيلاً مستقلاً غير معاد لواحد من هذه الأخلاق أو واحدة من هذه النزعات. وإذا رأيتما خلقاً أو عاطفة أو سلوكاً أو شعوراً أو نزعة غير ممثل في هذا الجزء فعليكما أن تنظرا الأجزاء الأخرى الباقية من هذه المجموعة وحينها ستريان ما افتقدتماه من خلق أو خالجه أو طبع أو خلة أو لا تريانها وتقولان أنها مما فات المؤلف رؤيته وتسجيله لأن الرؤية الكاملة لكل شأن من شؤون الحياة شيء ليس في وسع البشر ولا في طاقتهم.

وقصص الأمثال أو أمثال القصص ليست فناً حديثاً من فنون القول والتعبير الفني

عالجه الكتاب في عصر متأخر فقط لما أمست الرواية هي اللون السائد من ألوان التعبير الفني بين الناس، فهي من أعرف فنون التعبير الفني بين الناس خاصتهم وعامتهم على السواء ومن زكثرها شيوعاً على الألسن وترديداً في المجالس، إن لم تكن أكثرها على الإطلاق. ومؤرخو الأدب العربي يرجعون بداءة الأمثال إلى لقمان ويضعونها ويضعونه في جاهلية العرب الأولى قبل آلاف السنين. ويرجع مؤرخو آداب الغرب ابتداءها إلى ايزوب اليوناني صاحب المجموعة الخالدة من الأمثال التي سميت باسمه. ولا يعرف الأدب العربي ولا الأدب الغربي عن شخصيتي المثل الأوليين هاتين غير هذا الذي ذكرت.

وفيما عدا ذلك لا نعرف عن لقمان إلا ما روي على لسانه من بضعة عشر أقصوصة حكيمة، ولا يعرف الغرب عن إيزوب حكيمه الأول إلا كتابه المذكور، وهو كتاب بلغ من الشهرة والذيوع بحيث بات أكثر تعابيره الرشيقة ومغازيه الطريفة الظريفة من ثروة الأدب الغربي التي لا يستغني عنها أديب أو كاتب كلما شاء أن نيكسب أسلوبه مسحة من الرشاقة والظرف مع حسن الإيجاز والتركيز. وتصمت آداب الشرق وآداب الغرب دهراً بعد هذين الحكيمين قبل أن تقدم لنا مثالاً آخر من حكماء القصة، وذلك حينما يبرز على ميدان الحكمة والإرشاد كتاب كلية ودمنة مترجماً بقلم ابن المقفع البليغ عن الفارسية مترجمة عن الهندسة بدورها هي الأخرى. ولولا الاستطراد الطويل الممل لاذي يتسم به الكتاب من أوله إلى آخره، ولولا شيء من البعد حيناً عن الإمكان في بعض نواحي الخبرة البشرية لكان بأسلوبه الأمثل في الابتعاد عن جانبي الإيجاز المخل والإطناب الممل خير ما ألف في هذا الباب من أبواب الأدب. أما آداب الغرب فتظل على صمتها بعد ايزوب إلى أن يترجم إليها. كتاب كليلة ودمنة، ثم يقوم لافونتين ويزخذ عنه وعن ايزوب عدداً وافراً من القصص وينظمه في تحوير قليل أو دون تحوير في شعر بلغ الذورة من سلاسة التعبير وسلامة البناء وجمال الأداء حتى قال فيه أحد نقاد الغرب، إن لافونتين هو، الشاعر الافرنسي الوحيد الذي يستطيع أن يخاطب حميع الناس ويفهمونه، ووهو الشاعر الذي لا يفوقه شاعر في تعدد نواحيه الإنسانية وصدقها. إننا نحبه حباً جماً ونضحك معه، بل ونضحك عليه الحين بعد الين ونود أبلغ الود أن نمر به يوماً من الأيام في صحبة الخالدين.

وبعد هذين الحكيمين عالج هذا الضرب النفيس من ضروب الأدب نفر من الكتاب الغربيين والشرقيين نجح بعضهم بعض النجاح وأخطأه البعض الآخر، ولكن لم يستطع أحدهم على كل حال أن يبلغ ولو قريباً من المنزلة الرفيعة التي بلغها كليلة ودمنه وكتاب لافونتين.

ومن كتاب الشرق الذين عالجوا هذا الفن من فنون التعبير شوقي، عالجه فيما أذكر في بضع عشرة أقصوصة بعضها مقتبس وبعضها موضوع وكلها عليها الطابع الشرقي المألوف من حيث نصوع الديباجة ورشاقة التعبير وقرب المأخذ وعفو الأداء وسلامته. ومنهم كذلك جبران في ك تابه المجنون، وهو في رأيي خير كتبه في

العربية. والانجليزية على السواء فهو يخلو من عيوب جبران في صوفيته القائمة في أكثر كتبه الانجليزية وفي بعض كتبه العربية بالرغم من عنوان الكتاب الذي يوحي بلا غراب أو الأبهام أو الشرود. وممن عالجوا هذا الفن شعراً على نطاق ضيق جداً، أبو ماضي، وله في ديوان الجداول بضع قصص كالعدير الطموح والوردة الذابلة والضفادع بلغت مبلغاً بعيداً من سداد الحكمة وصدق التجربة وسلامة التعبير. وممن عالجوا هذا الفن نثراً من كتاب الشرق كاتب هندي باسم أيار. وقد ترجم كتابه إلى العربية الأستاذ حسن عبده الزيات. وإذا كان كل الكتاب أو جله في جودة الأمثلة التي اقتبستها عنه الرسالة يومئذ في معرض تقديمه إلى القراء فهو كتاب في درجة عالية من الجودة والنفاسة. أما كتاب جنة الشوك للدكتور طه حسين فلا ندري أنستطيع أن نضيفه إلى هذا الضرب من ضروب التعبير الفني أم هو بما فيه أو في معظمه على الأقل من وعظ سافر أدنى إلى غير هذا اللون من ألوان الأدب وألصق به.

إذا أنتما تريان أيها القاريء والقارئة أن المؤلفين البارزين في هذا الباب من أبواب الأدب لا يكادون يعدون في جميع العصور وفي جميع الأمصار على أصابع اليدين معاً.

وقد تسألان عن علة هذه القلة في معالجي هذه الناحية من نواحي التعبير عن الخبرة البشرية، أهي هوان هذه الناحية على القارئين والكاتبين أم هي شيء آخر ؟ أما الهوان فجوابه أن أروج كتاب في اللغة العربية بعد الكتب الدينية وأكثرها عدد طبعات نفيسة أو غير نفيسة وأدومها عهداً في أيدي الناشئة وأشها إلزاماً بالرجوع إليها بعد ترك طويل أو قصير لتقويم اللسان وتحسين البيان مع إفادة المتعة الطريفة تصاب خلال ذلك في كل مدرسة عربية أو غير عربية في كل قطر عربي هو كتاب كليلة ودمنه. كذلك نستطيع أن نقول أن أروج الأقاصيص وأروج الدواوين في الأدب الغربي هما مجموعة أيزوب وديوان لافونتين. فهما الكتابان اللذان ينطبق عليهما وصف الناقد الغربي من حيث النفوذ إلى كل القلوب في كل الأعمار وفي كل الأمصار، للا يترفع عنهما الكبار ولا يشقان على الصغار.

أما الشيء الآخر في تفسير هذه القلة الغريبة الملحوظة في إنتاج المنتجين في هذا المجال فنعم. وأحسب أن الذي جعل هذا الصنف م صنوف الأدب أقل الأصناف تعداداً هو أنه أشق هذه الأصناف وأكبرها مؤونة على الأدبي المفكر. فالمثل الاقصوصي يجب أن يحوي في أول ما يحويه فكرة مبتكرة وحكمة مصيبة تصور تصويراً جميلاً خبرة أو خلقاً أو مشرباً أو عادة أو مسلكاً أو هوى أو فلسفة أو خلاف هذه من شؤون النفس والحس في ما لا يتجاوز الأسطر أو الصفحة الواحدة أو الصفحات القليلة أشد القلة على الأكثر. ذلك أن المثل إذا تجاوز هذا القدر أصبح قصة تؤثر تأثيرها الآني، ولكن قلما تذكر على تطاول ا لزمن ومزاحمة المؤثرات، وهو المقصود من المثل الاقصوصي لاإضافة إلى متعة الحاضر والتأثير المباشر، وذلك لاشتباك عقد هذه القصص في أغلب الأحيان وتعدد أحداثها وكثرة أشخاصها وطول أوصافها مم لا يتيح لها ذكراً قريباً دائماً على مر الزمن وتطاول الأحداث كالذي يتاح للمثل الموجز أشد الإيجاز المركز

أبلغ التركيز، ثم إن الإيجاز مع الطرافة وابتكار والعمق هي زشق ما يتصدى له المؤلفون ويعانون· ومن هنا يؤثر الأديب أن يقصر قوى الابتكار عنده على فكرة أو فلسفة واحدة أو اثنتين أو ثلاث أو عشر أو عشرين ويبني على كل منها بناء ضخماً من الفروع والأوصاف والتشخيص والحوادث في رواية أو روايات قليلة مطولة على أن يصرف جهوده أجمع على مئات الفكر يشتقها من خبرته وخبرة الناس ويبني على كل منها أقصوصة الأسطر أو الصفحة أو الصفحات القليلة، فلا يتجاوز إنتاجه الأدبي والحالة هذه مدى الحياة كتاباً واحداً أو كتابين، إلا إذا كان من جبابرة الفكر الذين يستطيعون أن ينتجوا أضخم الإنتاج في كل لون من ألوان الأدب والفن والمعرفة ويكونون من المجلين فيها جميعاً·

وقد يأخذ الآخذون على قصة المثل القصير أنها لا تتسع لأكثر من إبراز الفكرة، فلا مجال فيها للتلوين العاطفي وتوكيد المشاعر وتعميق الإحساس مما يكسب الفكرة قوة ونفوذاً بالغين في نفوس القارئين، وأجيب هؤلاء الآخذين المحتملين أو الواقعيين أنه كما يستطيع الشاعر من الشعراء أن يضع في المقطوعة لا تتجاوز أبياتها عدد أصابع اليد الواحدة من إحساسه وروحه ما تخطئه في المطولة من المطولات أو حتى الديوان الكامل من الدواوين المغسولة يستطيع الكاتب من الكتاب أن يشحن المثل القصير بشحنات من الإحساس لا تجدها في ألوف الصفحات المنثورة المائعة ميوعة الماء الباردة برودة الماء كذلك·

وقد يقال أيضاً أن فكرة المثل قد تجيء في أكثر الأحوال أبسط تركيباً وأضيق أفقاً من فكرة الرواية الكبيرة أو المتوسطة، فلا يصح والحالة هذه أن يقارن بين إنتاج الروائي ذي الروايات القليلة ذات التفريع والعتميق والتعقيد والبسط والتحليل وروائي الأمثال الموجزة والمركزة· والجواب السريع هنا أن كثيراً من قصص الأمثال أو القصص القصيرة جداً من غير الأمثال قد جعل أساساً ونو،اة لتمثيليات وروايات ضخمة ناجحة كل النجاح، مما يدل على أن فكرة المثل الجيد لا تقل شمولاً ولا عمق أولا صلاحاً لتكون أساساً للرواية الضخمة من الفكرة الروائية تجيء خارج نطاق المثل القصير· وأقرب مثال على ذلك وأدعاه إلى جلب أشد الانتباه رواية تهذيب الشريرة لشكسبير (او مارلو كما يريد ناقد أميركي حديث يصر على أن مارلو هو صاحب كل ما ينسب إلى شكسبير من شعر ونثر)· فأصل هذه التمثيلية أقصوصة قصيرة للروائي الاسباني جوان مانويل الذي عاش بين عامي 1282و 1349· ولست أشك أن روايته هذه ترجع بدورها إلى أصل عربي أندلسي· فأبطالها عنده من عرب الأندلس، وهي مما يرويه العامة في الأردن في مجالسهم الخاصة وسهراتهم المنزلية للتندر في ما بينهم كلما جاء ذكر الزوج القوي يخضع الزوجة السليطة المناكدة المناكفة بألوان من الشدة والعنف لا تقع عليها مباشرة وإنما تقع في مشهد منها على غيرها من الاحياء، ثم كلما جاء ذكر الزوج الضعيف الذي يرى نجاح هذا الاسلوب الطريف في تهذيب الزوجة الشريرة، فيحاول تقليده، ولكن يفشل أخجل الفشل وأزراه لما سبق لعلم زوجته

من ضعفه وخنوعه. فالراجح إذاً أن أصل هذه التمثيلية هو أصل عربي من أدب الخاصة ضاعت أصوله فيما ضاع من أصول الأدب العربي، أو هو من أدب العامة انتقل فيما انتقل مع العرب إلى الأندلس، وتداولته الألسن أمداً طويلاً هناك حتى انتهت الاقصوصة إلى الأديب الإسباني المذكور، ومنه انتقلت إلى شكسبير.

هذا، وقد أخذت عدداً من مجموعت القصصية المثلية في العربية ومن مجموعتي الأخرى الشعرية المثلية في الانجليزية، وهي في عدد المجموعة العربية أو تزيد عنها قليلاً، وبنيت على حبكتها وفكرتها قصصاً مطولاً أو متوسط الحجم، وأعتقد أن ما أصبته من توفيق هناك فيما ألفت لا يقل عما وفقت فيه، مهما يكن مقداره، فيما اصطنعت له فكرة وحبكة من خارج هاتين المجموعتين. وقد جرى ايري من الكتاب المحدثين على هذا الأسلوب واصطنع رواية قصيرة له أو لغيره من الكتاب، فنجح فيها مثل نجاحه في الفكرة أو الحبكة تستجدان ولا تؤخذان من بعيد أو من قريب.

ولمناسبة الحديث عن تهذيب الشريرة ورجوعها في الأرجح إلى أصل عربي في الفصحى أو العامية أود أن أنبه أبناء البلدان العربية مرة أرى، كما نبهتهم منذ عشرين عاماً على صفحات الهلال ونلت على ذلك كالذي نال سنمار إلى أن لعامة أدباً وفناً يجب ألا نترفع عنهما ونزم الشفاه تيهاً وخيلاء كلما سمعنا أقصوصة أو مثلاً أو قصيدة عامية، فقد يكون ينها ما لا تجد له مثيلاً في الطلاوة وصدق التجربة وشمول الخبرة في كتابته الفصحاء ونتاج البلغاء من قدماء ومحدثين. وقد تنبه الغربيون إلى خطر الأدب الشعبي من حيث دلالاته النفسية والاجتماعية والتاريخية على أصحابه، ثم من جهة اتخاذه مادة حية ينسجون منها ويبنون عليها أبنية فنية خالدة، فأسسوا له في جامعاتهم الكراسي الكاملة، ورصدوا له الميزانيات الفخمة للرحلة بين العامة والدراسة والتدوين أو للتدريس والتأليف والتحليل والنشر.

وفي مجموعي العربية والانجليزية نحو ستين أقصوصة أو دون ذلك بقليل كانت نواتها مثلاً عامياً سمعته أوقرأته في صحيفة أو كتاب. وفي هذا الجزء الذي أقدم الآن نحو عشر قصص ترجع إلى مثل هذه الأمثال، والذين لم ينقطعوا عن بيئتهم في الأردن يستطيعون أن يهتدوا إليها بسهولة ويروا مقدار صلاحها لتكون أساساً لحبكة ناجحة تبرز فكرة فلسفية أو أدبية أو خلافها.

وأعود بعد هذا الاستطراد القصير إلى الحديث عن مجموعتي هذه وأشير إلى أن عناوينها كلها، ما عدا قلة قليلة جاءت شطرة من بيت أو قولاً مأثوراً مشهوراً، هي مما لخصت به عبرة الاقصوصة أو حكمتها أو فلسفتها، أو ما شئت فسمها، وهذا لا يعني أن كل أقصوصة من هذه الأقاصيص أجريت هذا المجرى، فإن بعضها جاءت عبرته زو مغزاة ي ختامه كلما، جرى على ذلك ايزوب وابن المقفع ولا فونتين في أكثر ما قصوا، وبعضها الآخر تركت فيه استخراج العبرة زو الفلسفة التي أتوخى لفطنة القاري، فلا تفوته لذة الاستكشاف واصطناع الخيال للوصول إليه.

وأود قبل الانتهاء من هذه المقدمة أن أوجه كلمة إلى أبناء الأردن خاصة، وهي أنني أؤمل أن يكونوا أكبر ثقة بأنفسهم وأنقى دواخل وأشرف بواطن من أن يحسبوا كل مغزى موجهاً إليهم بالذات وكل طعنة مسددة إلى صدورهم لا إلى صدر أحد غيرهم، فلا يصدق عليهم حينئذ المثل الأردني المعروف كل وسخ في البلد ياخذ المعنى عليه، فيصدق عليهم بعده القول المأثور كاد المريب أن يقول خذوني إنني كتبت هذه الأقاصيص في العربية والانجليزية علي السواء والنماذج العالمية لا سواها وأعمالها وصفاتها أمامي، لا النماذج المحلية الأردنية· فليكن الأردنيون أكرم نفوساً وأصفى طباعاً وأنقى ضميراً من أن يحسبوا أنفسهم هم المعنيين بهذا المثل أو ذاك المثل مما سيقرأون·

وأخيراً، أو قبل الأخير، أهيب بالسارقين والمتسترين على السارقين ممن سطوا على هذه المجموعة أو سطا غيرهم عليها لحسابهم، وسطوا على شقيقتها الانجليزية كذلك، وسطوا على غيرهما من إنتاجنا الأدبي أو العلمي إن هذه فرصتكم أيها اللصوص وأعوان اللصوص، فآروني وجوهكم إن كانت بقيت لكم وجوه، واتركوا الائتمار والتدبير من وراء الأستار أو الضرب والطعن خالين إلى أنفسكم وإلى المعجبين والمعجبات ببراعتكم في اللص والاستراق دون أن تروني أو أراكم: هذه فرصتكم يا هؤلاء، فأروني وجوهكم إن كنتم تؤمنون بصدق ما تقولون وتدعون·

وفي الختام لا يسعني إلا أن أشكر السيد سلوم الحلو صاحب مطابع الحسين في مدينة عمان لنبالة قصده وأريحيته لما أخذ على عاتقه بالاشتراك مع الشاب الشهم السيد يوسف سليمان عباسي طبع هذا الجزء على نفقتهما، بعد أن حفيت قدماي دون جدوى وأنا أدور بمخطوطته أو غيرها من إنتاجي الأدبي أو العلمي على مطابعنا العربية في فلسطين والأردن وسوريا أو أكلف من يدور بنماذج منها على المطابع، ثم بعد أنت أملني وأبرمني إلى حد التغثية الشديدة المتبرعون بالطبع باللسان، فإذا جد الجد وقلت هيا إن كنتم صادقين، تقاعسوا واعتذروا أو غابوا عن عياني ومشاهدتي غيبة غراب نوح فإلى هذين الشابين الشهمين شكري مرة أخرى مضاعفاً، غير مضنون به ولا مقسور

أنبل الأخلاق

توفيت أم الأسد، فجاءته جميع الوحوش معزية إلا الفهد· ولم افتقده الأسد قيل له: إنه معتكف منذ أيام لا يبرح منزله· فأرسل الأسد في طلبه، ولما حضر سأله الأسد ما الذي منعه من المجيء لتعزيته بوالدته كباقي الوحوش· فأجاب الفهد: توفي لي ابن عزيز علي، فوجدت لفقده الوجد الذي ترى آثاره في وجه وخشيت إن أنا جئت معزياً وهذا حالي أن تحسب حزني على وليدي حزناً على والدتك، فأكون زيفت لك حزني وهو ما لا أحتمل ولا أسيغ·

ولما انتهى الفهد من حديثه التفت الأسد إلى سائر الوحوش حوله وقال: زه، زه! هذا واللّه أنبل الأخلاق، هذا أنبل الأخلاق·

لما أخذا حذرهما

جاءت الهرة يوماً إلى أمها وقالت: يا أماه، أنت ترين أن الجرو الصغير جرو ظريف واجب صحبته· فقالت الأم: لا بأس يا بنيتي، ولكن عليك أن تأخذي حذرك، فإن من عادة الكلاب تحدينا والاعتداء علينا كما ترين أم هذا الجرو تفعل بي كلما صادفت مني غرة· فإذا صحبت هذا الجرو فلا تغفلي طرفة عين عن الحذر من نزواته وسراته المفاجئة· فأجابت الهرة الصغيرة: لا تخشي بأساً، فإنني سأظل حذرة محتاطة ولا أدع له سبيلاً لمباغتتي والاعتداء علي وأنا لاهية·

ورأى الجرو الهرة الصغيرة فاستظرفها وأحب صحبتها، فمضى إلى أمه وقال: أمه أود صحبة الهرة الصغيرة التي في بيت صاحبنا، فهي هرة ظريفة حقاً وصحبتها كسب ومتعة، فهل تأذنين لي بصحبتها، فأجابت الأم: لا بأس يا بني، ولكن عليك أن تكون حذراً محتاطاً لغدرها وإسراعها إلى الأذى· فالهرة من أكثر خلق اللّه غدراً وغيلة· فأجاب الجرو: لا تخشي سوءاً، فستظل عيناي عليها ولن أمكنها من غدري·

واصطحب الجرو والهرة أحسن اصطبحاب، ومضت أسابيع وهما على أشد ما يكونان رفقة طيبة وحسن أخاء، ونسيا التحذير الذي حذرتهما أمهما ولم يدر في خلد أحدهما خاطر من خواطر العداء أو الاعتداء·

ورأت الهرة والكلبة ابنيهما يلعبان ساهيين لاهيين ذون أن يبدو من أحدهما ريبة أو توجس، فاستدعت الهرة ابنتها وأنبتها تأنيباً شديداً على غفلتها واغترارها بمسالمة الجرو، ثم قالت لها: إذا أحببت أن لا تجيئي يوماً بكف مهيضة (مكسورة) أو فك مهشم أو شعر طائر فعليك أن لا تغفلي عن نفسك هذه الغفلة المميتة وتركني إلى ظاهر الود والطيبة والوداعة في هذا الجرو الذي تصطحبين وتلاعبين كأنه دمية لا تعتدي ولا تؤذي· فأجابت الهرة الصغيرة: سزكون هذه المرة من الحذر والحيطة كما تشائين، فلا يركبك الهم من نحوي·

واستدعت الكلبة جروها ولامته أشد اللوم على ما بدا لها من غفلته واستهتاره باتخذ الحيطة والحذر كما أوصته ثم قالت: إذا شئت أن لا تجيئني يوماً بآذان مشرطة ووجه مشوه وعيون دامعة أو دامية فعليك أن تكون حذراً محتاطاً في ملاعبتك هذه الهرة التي لا تخرج عن كونها هرة· فأجاب الجرو: سألكون هذه المرة كما تودين يا أماه، ولن أغفل عنها طرفة عين، فاطمئني ولا يأخذك الهم من قبلي·

وعاد الجرو والهرة إلى اللقاء· ولكن لم تلبث الهرة أن ذهبت إلى أمها تعول وتموء

أشد المواء وفي يدها مغرز نابين قويين، ولم يلبث الجرو كذلك أن مضى إلى أمه يصرخ ويتفيث وأراها وجهاً دامياً وأذنين مشروطتين.

وقالت الهرة لانتها: ألم أحذرك مرتين أيتها الطفلة الغبية؟ فذوقي الآن نتيجة الاغترار والاستهتار بنصائح الوالدين الثمينة.

وقالت الكلبة لجروها: هذه نتيجة عصيان الوالدين وعدم المبالاة بما ينصحان ويرشدان، فذق الآن طعم العصيان والخروج على إرادة الوالدين المقدسة.

السرور والإنشاد لا يقتلان الأحياء

قالت حشرة دؤوب للجدجد: ألا تكف شيئاً عن الإنشاد في هذا الصيف وتجمع لك شيئاً يقيك غائلة الموت جوعاً متى حل الشتاء ؟ وشيء آخر أود أن أنبهك إليه، فقد بت مضغة في أفواه الناس وصرت مضرب المثل في التبطل والسخف ولقد قارنوا بينك وبين النملة الدؤوب فسبوك أشنع السباب في شعرهم ونثرهم وتغزلوا بالنملة وأثنوا عليها أطيب الثناء في شعرهم ونثرهم بل وفي ك تبهم المنزلة أيضاً· فقال الجدجد: إنهم سخفاء كالنملة، ومن هنا يعجبون بها ويتغزلون أن الحياة أقصر من أن نضعها في فضول الجهاد والسعي والدؤوب كما يفعل هؤلاء الناس الذين ذكرت والذين يخرجون من الحياة دون أن ينالوا منها شيئاً· لقد أنساهم الحياة السعي في سبيل هذه الحياة: إنهم لقوم سخفاء·

وعادت الحشرة تقول: ولكنك ستموت وتنقطع ذريتك إذا لم تجد وتكد وصرفت كل وقتك في التبطل والإنشاد· فأجابها الجدجد: أما الموت فلا يجيئني وحدي ويتركك ويترك النملة ويترك هذا الإنسان الذي ذكرت· أما ذريتي واستزارها وكثرتها فلعلك لم تمري قط في حرج، ولا سيما حرج من الصنوبر ذي الرائحة الزكية الفواحة· إنك لو مررت هناك لرأيت أنه لا يكاد يعمر الحرج إلا الجداجد وأبنائها وحفدتها· فهل ثم دليل أكبر من هذا الدليل على أن الإنشاد والسرور والمتعة لا تقتل الأحياء في هذه الحياة القصيرة·

ولم تجد الحشرة ما تود به على الجدجد وانصرفت لشأنها· أما هو فقد عاد إلى الإنشاد ولسان حاله يقول: سأظل أنشد وأغني حتى لا يبقى في حنجرتي فضلة من غناء وإنشاد·

بين ديك وهرة

قال الديك للهرة: أمرك عجيب أيتها الهرة: تصيبين الفارة أو العصفور أو خلافهما مما تصطادين من ذوات الأحجار أو الأشجار وتسرعين إلى صغيرك وتلقين بصيدك ذاك بين يديه دون أن يتجاوز طعمه الشهي شفتيك، ولكني أراك تصرخين وتزبئرين وتضربين بالكف إذا ألقى إليك أهل منزلك باللقمة التافهة العجفاء وجاء صغيرك يهم لكي يأخذها منك· فما ذاك الإيصار العجيب وهذه الاثرة الغريبة تمزجين بينهما هذا المزج ؟ إنني لا أفرق بين جيد صيدي ورديئه في إيثار ذوي به على نفسي· فأنا إذا وجدت حبة قمح أو حبات أو قطعة خبز أو ثمرة نسيها أهلها أو طرحوها لفسادها بادرت إلى دعوة زوجاتي وفراخي دون أن أدخر لنفسي شيئاً، فكيف تفسيرن علك ذاك إن يكن له تفسير ؟

فأجابت الهرة وقد أغمضت عينيها قليلاً: لا تنس أولاً أيها الديك أننا إلى قريب كنا من أهل الغابة والعائشين على سننها وقوانينها· وكثير منا يعود إلى عيشته تلك راضياً مختاراً ولا يفكر قط بعدها في العودة إلى الحضر لاستجداء اللقمة أو سرقتها بدل أخذها عنوة واقتداراً كما يفعل في الغابة· ثم لا تنس أيها الديك أننا من ذلك القبيل الذي يهز بصولته وجبروته وبطشه أرجاء الغابة· وأعي قبيل الأسود والنمور والفهود وما إليها، وإن كنت ترانا نقل عنها حجماً قلة بالغة، ويعترف كرام الناس والعارفون بأقدار ذوي الأقدار بأصلنا هذا، فلا يأبون أن يطلقوا على سيد الغاب لقب الهر· فأنت ترى أننا نرجع إلى أصل أصيل وعرق نبيل واننا نستطيع أن نعود إلى الغابة في غاية من السهولة واليسر، ومن هنا نستطيع أن نذكر ولا ننسى ذلك الأصل الرفيع وأخلاقه وتقاليده· فالقمة أو القم التافهة أو الدسمة تلقى إلينا إلقاء هي سداد من جوع وحسب، ولا تستحق أن ينشأ وليدي على النظر إليها كمنتهى أمله وغاية سوله، فهي مهما تكن جيدة أو رديئة لا تعدو كونها لقم التسول والاستجداء مما يعرف عنه ذوو العزة والكرامة ولا يقبلونه إلا تحت ضغط الحاجة والضرورة· أما ما يصاد صيداً ويصاب عنوة فهو طعام الحرية والكرامة الذي لا نشتهي شيئاً قبله ولا تؤثر عليه سواه، ولست أرغب في أن أرى صغيري ينظر إلى غير ذلك الصيد نظرة الاعزاز والتفضيل· فهل ترى الآن معنى ما أنصع وأمزج بين ما تدعوه اثرتي وإيثاري ؟ فأجاب الديك: أجل، إنني أرى الآن، ونعم ما نصنعين أيتها الهرة، وليتني كنت على مثل ما تقدرين قادراً، إذاً لكفيت بني وذوي وكفيتني مؤونة الاتكال على هؤلاء الناس الذين يطعموننا ويسمونا لإحبابنا وإيثاراً لنا ولكن طمعاً ببيضنا أو لحمنا أو كليهنما معاً

العمل الذي لا يعد عملاً

زار صاحب المصنع مصنعه ورأى عاملاً ذكياً يحمل بعض ما يحمل عامة العمال، فسأله ما عمله الخاص وهل هو مسرور منه، فأجاب العامل بأنه لا يعمل شيئاً! فاستغرب صاحب المصنع هذا الجواب، وقال: ولكنني أراك تحمل الأثقال، وهو عمل شاق، فكيف تقول أنك لا تعمل شيئاً؟! فأجاب العامل: أجل إنني بلا عمل، وإن كنت أعمل، لأن خير كفاياتي معطل هنا في هذا العمل· ففكر صاحب المصنع قليلاً ثم قال: وماذا ترى أنك تحسن من عمل أكبر الإحسان؟ فذكر العامل فرعاً من فروع العمل في المصنع، فأمر صاحب المصنع بأن يوكل إليه ذلك العمل من يومه·

وبعد اسبوع عاد صاحب المصنع وسأل رئيس المصنع عن عمل ذلك العامل وما هو سيره في عمله الجديد· فأطراه رئيس المصنع إطراء حسناً وقال: حقاً لقد ضيعنا على العمل وعلى هذا العامل أمداً طويلاً وخيراً كثيراً من حسن العمل وحسن الجزاد بما شغلناه بعمله السابق وحجزناه عن عمله اللاحق هذا الذي يعمله الآن·

وأقبل صاحب المصنع على العامل وهو مكب على عمله مستغرق فيه جاداً منشرح الصدر، وسأله: والآن هل أراك تعمل شيئاً؟ فرد العامل مبتسماً: كلا يا سيدي، والآن كذلك لست أعمل شيئاً! فاستولى مزيد من الدهشة على صاحب المصنع لهذا الجواب، وقال: كيف تقول هذا، وأنت نفسك اخترت العمل الذي تعمل الآن لأن عملك الأول كما قلت يعطل كفايتك؟ فأجاب العامل: أجل يا سيدي هو عين ما تقول، ولكن العمل إذا صادف هوى في النفس وجاء وفق الكفاية والاستعداد عاد لهواً ومتعة فأنا لذلك لا أعمل الآن بالمعنى الشائع لكلمة العمل، إنما أتسلى واستمتع·

وسر جواب العامل صاحب المصنع سروراً شديداً وأمر بترقيته، فوجد أهلاً للترقية· ولم يمض وقت نطويل حتى أصبح وقت طويل حتى أصبح رئيساً لأحد أقسام المصنع الأساسية

نجاح الأحمق

رأت النملة الأرضة تعالج الحجر لتقوضه، فقالت : يا هذه أنه الصخر الأصم، أم لا تبصرين؟ فردت الأرضة: بل لعلك لا تعلمين، فقالت النمية: بل أعلم، فانت تقرضين الخشب وتقرضين العظم وتقرضين الشجر وترضين البيوت والمدائن إن كانت من خشب مادتها، ولكنه هنا الحجر يا هذه، ولا شيء غير الحجر· فردت الأرضة: من يصنع كل الذي ذكرت والذي لم تذكري فلن يعجزه شيء· فاكفيني مؤونة تطفيلك أيتها النملة وامضي لشانك·

ولم تشأ النملة أن تطيل الوقوف بعد الذي سمعت، وانصرفت وهي تقول: أحسب أنني سأرى الحمقاء في الغد جثة باردة أو بفكين مهشمين إن سلمت من الموت على هذا القرض المبيد·

ولما مرت النملة في الصباح الباكر حيث رأت الأرضة تقرض الحجر أول الليل رأتها هي وعدداً كبيراً من الأرض جثثاً هامدة أو في نسيس (1) من الروح يوشك أن يزول· فمضت النملة وهي تقول: إن نجاح العاقل يزيده علماً بقدرته وحدود هذه القدرة، فلا يتهور ولا يتصدى لما لا يطيق ويحتمل· أما الأحمق الجاهل فيرى على النجاح يزداد غروراً وافتتاناً بقدرته ويعود لا يرى حداً لهذه القدرة تنتهي عنده ولا أمداً تقف من دونه، فيقدم حيث يجب الأحجام ويصر حيث يجب اللين والمهادنة، فيجيئه الهلاك من جانب القدرة التي لم تجد عقلاً يسددها والنجاح الذي لا يحسن التفريق بين الإمكان والاستحالة: إن نجاح الأحمق النجاح الحليل يغريه بالمستحيل، والمستحيل أبداً أغلب·

إنما لم أحتمل أن يفوز أخبث الخصمين

هاجم الهر الثعابن وأخذ يلطمه لطمات دامية بينما كان الثعبان يبذل أقصى جهده ليصل إلى أنف الهر· ولكن الهر لم يدع سبيلاً إلى ذلك، فقد كان يلطمه بكف ويتقي بالكف الآخر· ولما خارت قوى الثعبان وأخذ دمه يسيل غزيراً من جراحه العديدة قال للهر: يا هذا، إنك محارب غير شريف· قأنت تتقي بكفك وأنا ليس معي ما أتقي به، فلو تركت الاتقاء لتعادلنا وكان الفوز الذي يصيبه أحدنا فوز المحارب الشريف· وأصغى الهر إلى مقالة الثعبان وكاد يقتنع بصحة ما قال وادعى· ورآه الكلب الذي كان يشاهد المعركة من قريب فقال: ماذا تنوي أن تصنع أيها الزحمق ؟ فأجاب الهر: أود أن أدع الاتقاء فلا تبقى لي مزية عليه· فإذا غلبته كانت غلبة السلاح المتعادل والقتال الشريف· فقال الكلب: أنسيت أيها المغرور السم الذي في نابيه؟ أم أنساك بعض النصر الذي أحرزته واجب العقل والحيطة ؟ فقال الهر: صدقت واللّه! وعاد يلطم الثعبان لطمات أشد وأدمى·

ولما أجهز الهر على الثعبان أقبل على الكلب يشكره على ما نبهه ويطلب صداقته وصحبته· فقال الكلب: إمض يا هذا فلست بصاحبك ولست بصاحبي، وإنما لم أحتمل أن يفوز أخبث الخصمين·

مني تحمد الأثرة ومني يحمد الإيثار

وعظ واعظ الطير في مجلس سليمان في موضوع الأثرة والإيثار فأجاد أحسن الإجادة· وعند ختام وعظه استدعى سليمان إليه ثلاثة طيور بينها البومة، وأعطى كلا منها هدية نفيسة من الطعام· أما أحدها فقد أقبل على هديته يلتهمها بشغف شديد· وأما الثاني فقد حمل حصته ووضعها أمام فرخ صغير من فراخ غيره من الطير· أما البومة فقد حملت حصتها ووضعتها أمام ابنها الصغير·

وأعاد سليمان عمله، ووزع على الأطيار الثلاثة ثلاث هدايا أخرى نفيسة، ففعل الطائر الأول كفعله في الأولى وفعل الطائر الثاني كفعلته الأولى· أما البومة هذه المرة فقد حملت حصتها ووضعتها أمام فرخ الطائر الثاني·

ووزع سليمان مرة ثالثة هداياه على الأطيار الثلاثة· فأكل الطائر الأول حصته، وقدم الطائر الثاني حصته إلى فرخ غريب· أما البومة فقد أكلت حصتها هذه المرة·

واستدعى سليمان الأطيار الثلاثة إليه، وقال للأول: أما أنت فلم يفدك الوعظ شيئاً، لأن شهوتك أكبر من قلبك· وقال للثاني كذلك أنت لم يفدك للوعظ شيئاً لأنك آثرت الاجماع على وحي السليقة·

ثم أخذ سليمان البومة ووضعها على كفه وربت على رأسها، وقال: فسري لجماعة الطير يا حكيمة الأطيار معنى الذي صنعت· فقالت البومة: أما في الأولى فهو ابني ويحتاج من العطف والبر مثل غيره من سغار الطير على الأقل· ولو تخطيته إلى غيره لكان ألمه مضاعفاً: ألم الحرمان نفسه أولاً ومجيئه على يد أمه ثانياً، لا على يد غيرها ممن لا ينتظر عندها أشد العطف وأبلغ البر· أما في الثالثة فلقد كاد قلبي ينفطر حزناً لفرخ الطائر الثاني لما رأيت أمه تتخطى ابنها مرتين متواليتين وهو يرمقها بعين متوسلة، فوضعت حصتي أمامه كما رأيت· أما في الثالثة فإنني لم أشأ أن أفسد ابني أو أن أنسى نفسي أشد النسيان·

فقلا سليمان بعد ما سمع شرح البومة: بوركت يا حكيمة الطير: إنك أبداً لا تخيبين أملي برجاحة عقلك وسداد رأيك وبالغ حكمتك·

خير صلاة الخطر هي العمل

هاجم ذئب قطيعاً من الغنم، فتفرق القطيع في كل ناحية، وطارد الذئب شاتين اتخذتا مهرباً واحداً. وقبل أن يصل إليهما الذئب شوهدا إحداهما تركع وتأخذ في الضراعة وللصلاة إلى اللّه أن يرد عنها أذى هذا الباغي وينجيها من فتكه، أما الأخرى فقد ظلت تركض جهدها غير ملوية على شيء، ولما بلغ الذئب مكان الشاة الراكعة الضارعة قال لها ماذا تصنعين يا هذه ؟ فأجابت: ركعت أصلي أن يردك اللّه عني ولكن يظهر أن اللّه في شغل عني أو لا يسمع صلاة. فأجاب الذئب ضاحكاً في تكشيرة قبيحة عني أنيابه. بلى أيتها الحمقاء! إن اللّه نيحسن السماع لمن يحسن الصلاة. لقد صلت صاحبتك الناجية تلك، فسمع صلاتها وأهمل صلاتك. فقالت وماذا كانت صلاتها ؟ فأجاب: صلاتها أنها نسيت صلاتها وذكرت أرجلها.

من الناس من يورطه العجز، فيدعي الاختيار ليخفي عجزه

شاهد رجل عدداً من الأحداث يقفزون في طريقهم فوق قناة قريبة الغور، فيصلون إلى العدوة الأخرى بسهولة لخفتهم ورشاقتهم· واستحيا الرجل أن لا يفعل فعلهم، فجمع قوته نوقفز قفزه خالها ستوصله عدوة القناة الأخرى، ولكنه بدل أن يجد نفسه على اليابسة في الجهة المقابلة وجد نفسه يتخبط في القناة لما قفز تلك القفزة، فضج الصغار بالضحك لما رأوه على تلك الحال، فقال: وما الذي يضحككم أيها الأحداث الأغرر المغرورين الهيابين ؟ إنني أردت أن ألقي عليكم درساً في المغامرة والرجولة، فآثرت أن أخوض القناة خوضاً معرضاً نفسي لخطر الغرق، ولو شئت أن أفعل فعلكم لحملتني رجلاي إلى أبعد مما حملتكم أرجلكم·

وضج الصغار مرة أخرى بالضحك، وقالوا: صدقت يا عماه، وإن كانت القناة لا تغرق طفلاً أو دجاجة·

من ليم على الإحسان لا يلام على الإساءة

لما رأى الصياد الأرنب أطلق كلبه وراءه· ولكن بينما كان الكلب منطلقاً رأى ثعلباً ذا فرو نفيس يجري أمامه فتحول عن مطاردة الأرند وانطلق وراء الثعلب ولم يلبث أن أدركه وأصماه· ولما بلغ الصياد حيث كانا قال غاضباً: أين الأرنب أيها الكلب الخائب ؟ فأجاب الكلب في أشد الدهشة: ولكنني قد اصطدت لك مكانه هذا الثعلب ذا الفر النفيس ! فأجاب الصائد وهو ما يزال غاضباً أو يتكلف الغضب: ولكن حاجتي الآن هي إلى الأرنب لا إلى الثعلب·

وأطلق الصياد مرة ثانية كلبه وراء أرنب آخر، فلما أدركه أو كاد انطلق من أمامه خشف غزال، ولكنه لم يلتفت إليه، وأمسك الأرنب· ولما جاء صاحبه قال: رأيت حيواناً غير الأرنب يعدو أمامك، فماذا كان ؟ فأجاب الكلب: ذلك خشف غزال· فاستشاط الرجل غيظاً وقال: أيها الكلب الأحمق! أيرى الغزال ويلحق الأرنب ؟! فرد الكلب على الفور: أنسيت الثعلب قبل حين لما تركت الأرنب وأمسكته لك ؟

ولم يجب الصياد بشيء، ثم أطلق لكلبه الحرية فيما بعد أن يصطاد كل ما يعن له من صيد حسب اختياره ورضاه

إن عين ما يزيد أهل الخير خيراً يزيد أهل الشر شراً

رأى الاعرابي الحنضل يشبه البطيخ في كل شيء إلا في الطعم، فقال: قد تكون حلاوة البطيخ من الري ووفرة السقي والماء ومرارة الحنضل من قلة الماء في الصحراء، فلا سقين هذا الحنضل عسى أن يغلب الماء العذب على مرارته فيساغ.

وسقى الأعرابي بيتاً من الحنضل أياماً، ولكنه لما ذاق ثمره وجده قد ازداد مرارة بدل أن يحلو ويساغ.

حمل النفس على ما تكره في غير ضرورة ملجئة وتغرير غير مأمون العاقبة

شاهدت عصفورتان على غصن شجرة هراً يتسلق ساق تلك الشجرة نحوهما فأسرعت إحداهما إلى الهرب وحطت على شجرة قريبةس· أما الأخرى فقد بقيت على غصنها حتى كاد الهر أن يدركها وعندها طارت ضاحكة هازجة، ونزلت حيث نزلت صاحبتها، وقالت: ما أجبنك يا هذه وأسرعك إلى الهرب! أما أنا فقد أحببت أن أروض نفسي على الشجاعة فصابرتها ولم أطعها في شهوة الهرب إلا حينما أوشك الهر أن يصل إلي، فانتقمت منه بتخييب أمله وأتحت لي درساً من دروس الشجاعة والثبات· فردت صاحبتها: كل شجاعة في غير ضرورة ملزمة عبث وتهور وتغرير وصاحبها غير محمود حتى مع السلامة· فعادت الأولى تقول: طبعاً لا يسعك· وقد أظهرت من الجبن ما أظهرت، إلا أن تذمي الشجاعة وتحمدي الجبن·

وفي اليوم التالي كانت العصفورتان على غصنهما لما شرع الهر يتسلق الغصن إليهما كاليوم الفائت· فأسرعت الأولى في الهرب كشأنها بالأمس وبقيت الأخرى تنظر وتنتظر· بيد أن الهر هذه المرة لم يتبع خطته الأولى من الزحف إلى العصفورة من أدنى إلى أعلى، بل دار بعيداً بين أغصان الشجرة وانحدر على الغصن الذي كانت تقوم عليه العصفورة من أعلى، وظل ينحدر والعصفورة تنظر إلى أسفل حيث كانت تقدر أن يجيئها الخطر، وفي مثل لمح البصر انقض عليها الهر من أعلى، وإذا هي بين أنيابه تصيح: سيق، سيق، فصاحت بها صاحبتها: سيق، سيق، أيتها الحمقاء المغرورة! لقد حذرتك، ولكنك لا تسمعين

السمكة الطموح

قالت السمكة لصاحبتها: لم لا نحاول أن نخرج من هذا السجن ؟ أكتب علينا ألا نسير على بر كما يسير سكان البر على البر وألا نطير في جو كما يطير أهل الجو في جوهم ؟ فأجابت صاحبتها: يجب أن يرضى كل بما قسم له· فأهل البر قانعون ببرهم وأهل الجو قانعون نبجوهم، وعلينا نحن كذلك أن نقنع ببحرنا· فقالت السمكة الأولى: بل من الطير وحيوان البر ما يستطيع أن يشاركنا في سكنى الماء كما تعلمين· والإنسان، وهو ألصق الحيوان بالأرض ومن أكثر الأحياء بعداً عن المهارة والرشاقة، يستطيع بعد جهد يسير من التمرين أن ينزل إلى البحر ويسير ما يسير وهو آمن نمن الغرق· فعلام لا نفعل كما يفعل هذا الإنسان فنخرج إلى البر ونتمرن على السير فيه؟ ولم تستطع صاحبتها أن ترد ع ليها وسكتت·

وقفزت السمة من الماء، فإذا هي على البر تنقلب ظهراً لبطن ومر بها عالم يدرس الشط وأشياءه وشاهدها تتقلب في غمرات النزاع الأخيرة فقال لها: ماذا جاء بك إلى هنا يا بنيتي حتى صرت إلى هذا !؟

فقالت: أحببت أن أسير على البر كما استطعتم أن تسيروا أنتم في البحر·

فقال: نحن نستطيع أن نعود إلى البحر بعد جهد من التمرين لأننا كنا فيه آماداً طويلة ــ أو على الأصح كان آباؤنا فيه ــ ثم خرجنا منه، لهذا نحن مستطيعون العودة إليه ولو في جهد غير قليل: أما أنتن فلم تخرجن ولم يخرج أسلافكن قط إلى بر، ولهذا أصابك ما أصابك وبتْ تعانين ما تعانين الآن· فأجابت السمكة: لست آسفة، فإنني غامرت وجربت وعرفت، ومن لم يصبه الموت اليوم أصابه غداً·

إذا لم يقتلع الظلم جذور الهادئين الخانعين اليوم فسيقتلعها غداً

ثنتان : أماً واحده فقد مضت مجاهده

لما ارتمت عاصفة عن كل عصف زائده

عسى توقي شرها عسى تظل صامدة

أما التي في جنبها فقد بدت كراقده

ذاك بأنها نمت من أصلها محايدة (2)

في جانب قد ارتمت كطفلة ووالده

فإذ أتت من دونها تلك الرياح الماردة
لم تلق منها عنتاً كصاحبتها الصاعده
لم تنحرف عن سمتها قيد ذراع واحده
* * *
واشتدت الريح ولم تقو عليها الجاهده
فانتثرت جذورها وخلقتها الحاصده
إلى التي في جنبها لما رأتها ساجده
قالت: جزاء من أبت الا سوي القاعدة
واقتلعتها،لميفد ما قد نمته حائده
فردت الأولى وقد رأت إزاها راقده
تلك التي نقد غيرت ـــ أما ، وباتت واحده
نهايتانا، انني أحسبلست بائده
فإنني قد خضتها لم آلهامجاهده
* * *
إذا الأبا أوذلة لم يأتيا بفائده
فستقيم القاعده ولوتكون آبدة(3)

قد يحملنا على إيداء أنفسنا جهلنا ذلك الأذى، فإذا بلوناه وسلمنا لم نعد إليه قط

ألقى أحدهم بنفسه في النهر يبغي الانتحار، ورآه أحد السباحين الماهرين، فأسرع إليه وانتشله نبعد أن أشرف على الهلاك· فلما أفاق أخذ يشتم منقذه أسوأ الشتم لأنه أنقذه وأعاده إلى جحيمه الذي يعيش فيه· فقال منقذه: يا هذا رجلاك ما زالتا قادرتين على حملك إلى ضفة النهر، والنهر ما في مكانه، وليس عليك لتنال الذي تريد من موت وفناء إلا أن تسير بضع خطوات وتلقي بنفسك في النهر كما فعلت في الأولى· فقال محاول الانتحار: هيهات! أبعد الذي ذقت من هول الموت أعود إليه ؟ لقد ذقت من عذاب النزع ما يحبب إلي كل عذاب سواه،

إذا حمل القوي على شر ادعاه حتى لا يحمل على العجز

ظل البركان أمداً طويلاً يغالب القوة المحركة في صدره حتى لا يثور ويهلك المدينة دونه، ولكنه لما عجز عن المغالبة وغلبته تلك القوة، فاضطرب وثار وغطى المدينة بحممه الملتهبة شرع يقول: تستاهلين هذا وشراً منه أيتها المدينة المستهترة العابثة فذوقي العذاب الذي تستاهلين· وسمعه البركان الخامد بجانبه، فقال، ما هذه الشماتة أيها الجار ؟ لقد رأيتك إلى وقت قريب من ثورتك هذه تغالب نفسك أشد المغالبة حتى لاتثور وتهلك المدينة، فما الذي غيرك هذا التغيير السريع ؟ فأجاب البركان الثائر : إن الذي فعلت يمزق صدري تمزيقاً، وإنما أقول ما أقول لأوهم نفسي وأهم غيري أنني غير مغلوب على أمري مقسور على ما أتيت

لا يعترف الأحياء بنجاح الصدفة ما أمكنهم ادعاء القصد

شاهد الصياد الغزال يرد الماء، فأطلق عليه بندقيته، ولكن بدل أن تصيب الطلقة الغزال أصابت أسداً كان كامناً للغزال وراء شجرة قريبة· ولما حضر زملاء الصياد ورأوا الأسد ممدداً يجود بآخر أنفاسه سألوه من قتله: فأجاب: طبعاً أنا قاتله فقالوا: ولكنك قصدت إلى الغزال لترميه بالرصاص ولم تر الأسد ولم تقصده· فقال إنني لما رأيت الأسد كامناً للغزال وراء الشجرة انصرفت عن اصطياد الغزال إلى صيده· وعندها لم يسع زملاءه إلا تصديقه، فالدليل على صدق دعواه قائم لا يستطاع تكذيبه، ولم يدر في خلد أحد منهم أن الصدفة، والصدفة وحدها، هي التي جعلت صاحبهم من صائدي الأسود·

ما زاد عن حاجة أهله لا يصح الاستئثار به

أصابت شاتان مرعى خصباً واختلفتا في أيهما أحق به من صاحبتها· ومر غزال بتلك الناحية وشاهد الشاتين تختصمان، فقال: ما شأنكما، وما بالكما تختصمان ؟ فقالت: إننا نختصم على هذا المرعى لمن هو، ونريدك، وقد ساقتك الصدفة إلينا في أحوج الأوقات إليك، إن تحم أينا صاحبة المرعى بعد أن تسمع حجة كل منا·

ونظر الغزال إلى المرعى الخصب الواسع وزيادته زيادة فاحشة عن حاجة الشاتين معاً، فقال: هو لكما جميعاً ولغيركما· فأسرعت الشاتان تحتجان مستغربتين وقالتا: ولكنك أيها الغزال لم تسمعبعد حجتنا، فكيف تحكم هذا الحكم ؟ فأجاب الغزال وهو منصرف: هو لكم ولغيركم وإن لم أسمع لكما حجة·

شعب اللّه المختار

ساق التاير أمامه السمكة بقوة وعنف، ثم انحدر صببا نحو الهاوية السحيقة· ورأت السمكة بعد الهاوية وهي تهوي مع الشلال هوياً سريعاً، فأيقنت بالهلاك القريب فشرعت تدعو وتتوسل: يا اله الماء، يا إله الأرض، يا إله السماء، أنقذني أنقذوني،

وكأن العناية استجابت لدعاء السمكة، فلم تلقها الصخور الناتئة الناشرة عند آخر الشلال فتمزق جسمها شر ممزق، إنما لقيتها بحيرة رحبة فانتفلت من ماء إلى ماء ولم يصبها أذى قط فاستولى عليها أشد السرور لهذه النجاة التي لم تكن تقدرها إلا أضعف التقدير، وأحست كان اللّه قد اصطفاها ولاحظها بعنايته الخاصة من دون بقية الأحياء، فهي لذلك إذاً مختارة اللّه ومصطفاته· ولكن لم تلبث أن انقبضت نفسها إذ خشيب أن يكون غيرها من السمك سبقها إلى الدعاء والصلاة، فتكون البحيرة قد انداحت هناك بفعل صلاة غيرها من السمك لا بفعل صلاتها ولنجاتها فأحبت السمكة حينئذ أن تستيقن من الأمر، فمضت إلى السمك تسأله أي صلاة صلى لما نزل مع الشلال· فضحكت الأسماك لسؤالها السخيف وقلن: لم نصل أية صلاة يا هذه· وعندها رجعت تلكم السمكة في أقصى حد من الجذل والحبور وقالت: على حد منطنق كل أحمق مغرور، إذا لم تخلق البحيرة من أجهلهن إذا هي خلقت لنجاتي، وإذا لا شك بأنني أنا لا غيري من الأسماك مصطفاة اللّه ومختارة العناية ومكان الرعاية الإلهية التي خفت لنجدتي وإنقاذي من الهلاك المحتوم·

وجاء مع سرور الحمق المغرور، فأحست السمكة كأنها من طينة غير طينة الأسماك، وإلا لما كانت خصتها العناية باستحداث العجائب لنجاتها· واستقرت هذه العقيدة الحمقاء استقراراً عميقاً في نفسها، ثم لم تلبث أن لقنتها لزول جيل من أبنائها، ولقنها هذا التالية، وهذا للذي بعده، حتى بات شطر غير قليل من سمك البحيرة يذهب إلى أنه هو وحده موضع عناية اللّه ورعايته وان غيره من السمك ليس بشيء في نظر اللّه، وإلا لكان استحدث له من العجائب مثل ما استحدث لأسلافه·

وانقسم سائر السمك في البحيرة، ما عدا السمك المغرور، قسمين: قسم نظر ساخراً إلى دعوى السمك المختار ولم يزد على ذلك، وقسم لم يطق ذينك الغرور والدعوى وأخذ يطارد أصحابه مطاردة عنيفة ويفتك به أشد الفتك· ولولا أن قيض لذلك السمك المغرور صنف ثالث من رعاع السمك وهمجه أسرع إلى تصديق خرفاته، فأيدها وثبتها بعد أن كادت تزول لزال ذلك السمك اجمع وزالت معه كل الشرور التي صحبت مذهبه من ذلك الحين إلى يومنا هذا·

إذا شكى الصبور فلنستمع إليه

قال الجمل لصاحبه: لقد أثقلت كاهلي يا صاحبي وبالغت في زيادة حملي فأجاب صاحب الجمل: أنا أدري بقدرتك· فلا تشك شكوى من يود أن يتخلص من الأعباء والواجبات مهما يسرت وهانت·

ومضى الجمل في طريقه· ووصل غايته سالماً· فقال صاحبه: ألم أقل لك؟ لقد حققت ظني السيء فيك أيها الجمل الجزوع قليل الصبر· ولكني سأريك·

ولما حمل صاحب الجمل جمله ذاك مرة ثانية زاد في حمله زيادة غير قليلة· فقال الجمل: سيقتلني هذا الحمل يا صاحبي· فرد عليه صاحبه: أسكت أيها الجمل خائر الهمة قليل الصبر· أنا أعرف بقدرتك·

ومضى الجمل بحمله ذاك بعض الطريق ثم برك· ولم يقم قط من بركته تلك

الحزم أول الأعمال

استطاع صبي أن يصيد بفخه عصفوراً نادراً أعياه أمداً طويلاً اصطياده، فاستولى عليه أشد السرور والغبطة وهو مقبل على فخه ليخلص منه العصفور· ولكنه قبل أن يأخذ العصفور من الفخ وينتف بعض ريشه حتى يأمن عليه من الانفلات ركع وأخذ يصلي شاكراً اللّه الذي مكنه من ذلك العصفور بعد امتناع طويل منه على فخاخه وأشراكه· وفي خلال صلاة ذلك الصبي استطاع العصفور أن يخلص عنقه أو رجله من الفخ، إذ كثيراً ما يمسك الفخ برجل الطائر دون عنقه، واستطاع أن ينجو بحياته بعيداً·

ورأى لاصبي إلى الطائر الناجي مذهولاً، ورآه رفيق له فقال: كان عليك أيها الأحمق أن تخلصه من الفخ أولاً ثم تنتف ريش قوادمه لتأمن عليه من الفرار، وبعدها تصلي إلى ربك ما شئت أن تصلي· فأجاب الصبي سبقت حماقتي تدبيري وهو درس لن أنساه ما حييت

عدل الغربان

حفت جماعة من الغربان بغراب منها، وأخذت تلغط لغطاً شديداً معتدلاً في الشدة بادى الأمر، بينما كان هو يصوت ويلغو لغواض شديداً· وبقى الحال هكذا حتى استطاع غراب من تلك الغربان أن يأتي بصوت أقوى من صوت الغراب الذي كانت تحف به جماعة الغربان فأرتفعت فجأة أصوات جميع الغربان، وعلا لغطها علواً شديداً، وعندها لم يسمع صوت الغراب المحاصر رغم ما كان يحاول رفعه وزيادته· ولما عادت الغربان لا تسمع إلا أصواتها ولا تسمع صوت الغراب المحاصر هجمت عليه دفعة واحدة ومزقته إرباً·

وكان على مقربة من تلك الغربان طار غريب يسمع ويرى، فلما شاهد ما فعلت الغربان بغراب الوسط استولى عليه كثير من الدهشة وبادر إلى أدنى الغربان يسأله عن معنى الذي رآه أولاً وآخراً، فأجابه هذا: محرم عاقبناه على ما جنى وأجرم· فعاد الطائر الغريب يسأله: وما الذي أثبت لكن جزمه فصنعتن الذي صنعتن وأنتن واثقات من عدل ما صنعتن ؟ فأجاب الغراب: عجز عن أن يرفع صوته على أصواتنا لما اشتدت شدتها التي سمعت فعلمنا أنه مجرم يستحق الاعدام ويستأهله· فقال الطائر الغريب: أو هذا كل وسائل معرفتكن نجانب العدل الذي اشتهر عنكن بين الناس؟ فأجاب الغراب هو وجماعة آخرون من الغربان· وهل في ذلك من بأس أيها الطائر الغريب؟

فطار ذلك الطائر الغريب وهو يقول ويردد القول: عدل غربان ولا ريب وهو أشد سواداً من لون ريشها وأقبة نغماً من لغطها وتصويتها، ولا يمكن أنت يكون للغربان غير هذا الضرب من العدل العجيب وغير هذا الاسلوب من المحاكمة لاحقاق الحق وإزهاق الباطل·

لا بد من ثمن لكل كسب

قالت شجرة صنوبر لشجرة تفاح بجانبها وقد رأتها اكتست حلة قشيبة من الخضرة الناضرة والبياض الزاهر· كم تعرين أيتها الجارة وتكم تقاسين برد الشتاء وزمهريره لتكتسي مثل هذه الحلة ذات الوي والبهاء! فردت شجرة التفاح، وقد أدركت أي العواطف يحوك في صدر الصنوبرة، لا بأس، با بأس أيتها الجارة فكل كسب لا بد له من ثمن، والتجديد أعظم المكاسب وهذه الحلة القشيبة التي ترين هي شارته وعنوانه، والعري الذي تعرى شتاء هو ثمنه· ومهما حاول محاول أن يغض من قيمة هذا الكسب فنحن لا نرضى منه بديلاً ولا نحس مراره ولا خيبة حينما نذكر ما دفعنا فيه من ثمن·

متى اصطلى الذين يحرضون على الشر بناره مباشرة

أراد حاكم حصيف في بلاد كانت لا تزال عادة المبارزة المؤذية متفشية فيها أن يبطل تلك العادة على أهون سبيل، فأصدر أمراً بأنه يود أن تبقى عادة المبارزة على حالها ولكنه يشترط شرطاً أساسياً يعاقب مخالفه بعقوبة الموت، وهو أن على شاهدي كل متبارزين أن يتبارزا قبل المتبارزين ذاتهما، ثم يسمح بعد ذلك للمتبارزين أن يتبارزا،

وقد استقبل الناس ذلك الأمر بشيء من الاستغراب الممزوج بعدم الاكتراث وحسبوه نزوة من نزوات الحاكم الغريبة التي لا تقدم ولا تؤخر في المسألة شيئاً ولكن لم يمض وقت طويلاً حتى قلت حوادث المبارزة قلة ملحوظة ثم لم تلبث بعد وقت آخر أن انقطعت انقطاعاً كاملاً. وعندها أدرك الناس أي حاكم حصيف مدرك لأهواء النفوس ونزعاتها كان حاكمهم.

العقلاء يا يسمحون باختصامه فيما بينهم ليلهو بهم غيرهم

كان في منزل هر وكلب· وكانا كلما التقيا لا يلبثان أن يفترقا وفي جسم أحدهما أو كليهما جراح وخدوش· وقد أعجبت خصومتهما وقتالهما ابن صاحب المنزل، فكان يتوخى أن يغري أحدهما بالاخر، وإذا لم يجد منه ميلاً إلى القتال أخذه بيديه وطرحه على خصمه طرحاً· ولكن لما تكرر ذلك من ابن صاحب المنزل انقطع الهر والكلب عن القتال، وعاشا كأحب الأصحاب بقية عمرهما·

المراكز العالية لا يتسنمها إلا الزواحف والنسور

نزل نسران على قمة جبل مشرف صعب المرتقى، فلم يريا هناك من أصناف الحيوان إلا الزحافات، فقال أحدهما يسأل الآخر: ماذا يجعل هذه المة خالية من نجميع الأحياء إلا من هذه الزواحف البطيئة؟ فرد عليه صاحبه: هذا أبداً دأب المراكز العالية لا يتسنمها ويحتلها إلا أولو المثابرة ولو بلغت أشد البطء وإلا ذوو الأجنحة القوية أمثالنا.

كل وما خلق له

قالت مطوقة لأخرى دونها ما أسخف الخفاش في الأطيار!

كل سواه كما أرد له الذي من خلقه ذو الضرس والمنقار

في النور اكمه، والظلام له هدى وكما ترين معلق بالغار

راس إلى أدنى، ورجل فوقه هل يسلم الغافي بدون قرار ؟

فأجابت الأخرى إذا ما شمته لم يتخذ درساً من الأغيار

لا تعجبي، فكذاك كل منابذ (4) لم يستفد من صحبة الأخيار

* * *

وبدا حديث الجارتين على مدى في الصدق للخفاش، والمقدار

واحب أن يبدو على غير الذي أوحى إلى الثنتين بالأنكار

وإلى قرار الغار ألقى نفسه لكن إلى حضن الردى وبوار

فلقد أبت جنحانه لما أبت رجلاه ـــ من قصسر ـــ على الأسفار (5).

ومضى زمان والتراب فراشه حتى انتهى من شدة وأسار

بالموت، لا بالعيش مؤتنفاً له يسعى أشق الليل دون حذار

من يلزم الطبع السليم فسالم ويضيع محمول على التيار

ليس مضطر كمختار

أصاب الذئب صيداً وفيراً، ولما نال منه قدر حاجته قال: لن أدعه لغيري يستمتع به دني وهو لم يبذل في اصطياده أي جهد· وعمد إلى الصيد وجره إلى موضع حمأة (6) وغمره فيها ومضى·

ولم يتيسر لذئب يومه ذاك ولا في اليم التالي أي صيد، فآذاه الجوع أذى شديداً وذكر بقية الصيد الذي خلفه في الحمأة، فعاد إليه وتبشه وأخذ يميط عنه ما علق به من الطين والوحل ليأكله·

ومر الثعلب وقال للذئب: ماطا تصنع أبا ذؤالة؟ فأجاب: صيد أصبته البارحة وخبأته لك، فهيا اشركني فيه· فلما قرب الثعلب من بقية الصيد استقذره وقال: إن الضباع أو الكلاب لا تطيق أكل مثل هذا الطعام: إني لست بذائقه لو بقيت عمري صائماً· وعندها أقبل عليه الذئب والشرر يتطاير من عينيه وقال: إن لم تأكل منه بقر بطنك· فاضطر الثعلب المسكين أن يكأكل وهو يكاد يتميز من الغيظ·

ولما انتهيا قال الثعلب للذئب: ما الذي حملك على اضطراري إلى الأكل من صيدكالقذر ؟ فأجاب الذئب: لم أحب أن أنفرد بالدناءة وحدي، فأحببت أن تشركين فيها· فرد عليه الثعلب: هيهات! ليس مضطر كمختار·

الثعلب العاشق

شاهد هو ثعلباً يطوف بكن الدجاج، فقال:

ـــ فيم تطوف أيها الثعبان ؟

ـــ أطوف بمنزل هاته الحبيبات

ـــ وي! أو أصبحت عاشقاً بهذا المقدار ؟

ـــ وهل في العشق من بأس يا أخا السنانير ؟

ـــ لا بأس، ولكن قل لي بربك ماذا تعشق فيمن تطوف حولهن هذا الطواف ؟

ـــ أعشق أرواحهن الذكية ونفوسهن القدسية.

ـــ بل تعشق أجسادهن الشهية ولحومهن الطرية.

ـــ وهو سبيل إلى الأرواح أيها الفضولي البليد بغير الأجساد ؟

ماذا يصنع الحب

شاهد مشاهد زهرة وفراشة على فرع واحد· ولما دنا منهما طارت الزهرة وبقيت الفراشة، فاستولى عليه مزيد من الدهشة· فأخذ ما خاله فراشة بيده، فإذا هو زهرة تزيت بزي فراشة، كما تزيت الفراشة بزي الزهرة· فقال: متى صنع الحب مثل هذا فقد بلغ الكمال: لقد نسيت الفراشة أنها فراشة، ونسيت الزهرة أنها زهرة، لأن كلاً منهما كانت في قلب الأخرى·

معرفة الآفاق الضيقة

قال صبي لأبيه: أخشى يا أبي أن أضل الطريق إلى المكان الذي ترسلني إليه فأنني لم أسر فيه إلا مرة واحدة صرفتها على التفرج بما حول الطريق من مشاهد جميلة أو غريبة، وذلك منذ بضعة شهور: فقال الأب: لا بأس يا بني· إن الحمار الذي ستركبه يعرف الطريق جيداً ولو لم يسر فيها إلا مرة واحدة هي المرة التي مضيت فيها عليه إلى ذلك المكان· فدعه يتخذ الطريق الذي يشاء دون أن تزجره مهما بدا لك حائداً عن الرطيق ضالاً فيه· فأطرق الصبي حزيناً· فقال له أبوه: ماذا يحزنك يا بني! فأجاب الصبي أو تحسب يا أبي أن في رأس الحمار من المعرفة والإدراك أكثر مما في رأسي ؟ فأجاب الأب باسماً: هون عليك: إنني لم أقصد إلى شيء مما دار في وهمك· إنما عنيت أن الحمار سيكون أعرف منك بالطريق لأنه لما سار فيها لم ير شيئاً سواها وأما أنت فقد رأيتها ورأيت شيئاً كثيراً غيرها، فمن هنا الفرق بين معرفتكما بالطريق·

ليس أدعى إلى احتمال الشقاء من شماتة الأعداء

استولى يأس شديد على أحد الناس، ولم يجد خلاصاً منه إلا بالانتحار، فألقى بنفسه في البحر. وبينما كان نازلاً يهوي مسرعاً رأته الأسماك، فعلمت هيئة نزوله وبقاء ثيابه عليه أنه ليس بعائد، فأقبلت عليه شامتة، وقالت لا رعاك اللّ ولا أقال لك عثاراً يا عدو الأسماك! كم أخذتنا وأهلكتنا بصنانيرك وشباكك وغير هذه من وسائل صيدك، فانزل، لا عدت سالماً. وسمع الغريق كلام السمك، فانقلب راجعاً يبغي الحياة، وطفا على وجه اليم، وسبح إلى الشاطيء، وخرج إلى البر

إزالة الشر بعر أبلغ منه

مر ذو سلطان بقوم في كهف إحدى الليالي المطارة، فقال لحاشيته: لقد زال شعور الرحمة من قلوب الناس وغادرتها الأريحية إلى غير رجعة: ثم استدعى ذو السلطان ذاك اولئك القوم إليه، وقال: هيا معي· وسار بهم حتى بلغوا كوخاً قريباً، وقال لأهله: أيبيت هؤلاء في الكهوف وأنتم تنعمون بالدفء في بيوتكم دون أن يتحرك في صدركم وتر من عطف· فأجاب أهل الكوخ: لا علم لنا بهؤلاء الناس، وكوخنا لا يكاد يسعنا ويسع أبناءنا كما قد ترى· فقال ذو السلطان: هذا الذي كنت أقدره أيها الأنانيون، فاقدو الرجمة: دعو منزلكم وافسحوا لهؤلاء المنقطعين· واحتج أهل الكهف وقاوموا إرادة السلطان ذاك ولكن دون جدوى، وأخرجوا من كوخهم عنوة واقتداراً، وتركوا في العراء ليلتهم تلك، فلما جاء الصباح وأشرقت الشمس جاء الناس ليروا ماذا حل بأهل الكوخ في العراء فودوهم جثثاً هامدة لهول ما عانوا تلك الليلة دون ستر ولا غطاء بين المياه الجارية والرياح العاوية

نفسية الناجح ونفسية الفاشل

وقعت النحلة على صورة لزهرة أشبهت الطبيعة شبهاً تاماً، وتلمستها قليلاً ثم طارت إذ لم تجد فيها الاري الذي تطلبه وقالت: ليس فيها أري فلأدعها إلى غيرها وسمعتها نعرة، فطارت ووقعت على الصورة وتلمستها طويلاً ثم أخذت تتمطق وتقول، ما أشهى عصيرها ولذ أريجها وأطيب عطرها! إن أشباهها من الزهور قليل!

العوسج والورد

سألت عوسجة في جنبها وردة: مالي أراك صائله

عند آحاد من الزهر بدت بألوف من حراب خاتله

قد نسجت البر، لكن حوله قد نسجت الضر ناراً آكله

كل خير حفه الشر يرى أسوأ الشر لديه نافله

ردت الوردت ما الشر الذي قام عندي غير أيد حائله

دون أيد اخريات دابها أن تنال الطيبات النافلة

دون ما سعي ولا جهد فلا يعرف المأمول حقاً آمله

إنما الشوق على قدر الذي يبذل المشتاق دعوى عادله

ثم درساً آخراِ مني اسمعي يا حمات النحل غير العاسله

قد فقدت الطيب دهراً، فأنبرت منك آلاف علينا قائله

العيوب تستساغ إذا قورنت بما هو أبلغ منها

لاحظ الحمار أنه كلما أخذ في النهيق شرع الكلب يعوي في جنبه كذلك· واستغرب احمار سلوك الكلب ذاك، وقال له: أيها الجار، إنني رأيت من أمرك عجباً: إنني لا أكاد أسمعك تعوي هذا العواء المنغم الممدود إلا إذا شعرعت في النهيق، فهل لذلك علة وهل أطمع في تفسير له منك ؟ فرد الكلب ضاحكاً أجل· هو أنني لأجرؤ أن أسمع صوتي القبيح إلا في ظل صوتك، فأنا أغتنم الفرصة كلما رأيتك ترفع عقيرتك وتأخذ في النهيق، فتتيح لي بذلك الفرصة للاستمتاع بسماع صوتي حيناً دون خجل ولا استحياء·

ولم يفهم الحمار طبعاً ما الذي عناه الكلب بكلامه· وإلا لما سع له صوت بعد ذلك ولكان انقطع عنه انقطاعاً كاملاً·

الببغاء الذي لا يدري أنه ببغاء

قال رجل للببغاء: ما أحفرك ناطقة يا هذه وأهونك متكلمة! فسألت الببغاء: ولم ذاك يا أخا الناس ؟ فقال : لأنك لا تقولين إلا قولا معاداً ولا تلفظين إلا ما يلقى إليك إلقاء، والكلام إذا لم يكن عن فكر وروية فهو صنو اللغو وسواء مع الضوضاء· فقالت الببغاء: وكيف علمت كل هذا العلم الذي تقول يا من لا تقول إلا حكمة ولا تنطق إلا صواباً؟ فأجاب: أمر ذلك بين يقوم عليه ألف دليل ودليل، فكل من كتب عنك من العلماء والعارفين قال ذلك ووصفك بأنك أشبه شيء بالصدى المردد للأصوات المعيد للأنغام واللهجات لا تزيدين عنه قدراً في النطق والبيان فردت الببغاء يا هذا إنني ببغاء وأعلم أنني ببغاء ولكنك كأحسن الببغاوات في حسن الترديد والإعادة، ولا تعلم أنك ببغاء· فأي الببغاوين باللّه عليك أعقل وبالأصداء المرددة أو المرددة أشكل؟

ولم يجد الرجل جواباً لسؤال الببغاء، فانصرف وهو يقول: لعن اللّه الفضول والغرور كم يوردان صاحبهما موارد مهينة ولا يصدران

الهرب في كل أحوال الضعف أولى

قيل للحمل: لم تبتعد عن كل شبح يقترب منك في البرية حتى لو كان أمك وتقترب من كل شبح يسير مبتعداً عنك ؟ فأجاب الحمل: إنني أعلم بغرزيزتي أن الضعيف لا يدنو منه دان لخير يقصده، ولا يمضي عنه ماض لشر ينويه، ويظل هذا دأبي إلى أن أستطيع تمييز أمي على البعد، فلا أهرب منها حينئذ ولا أبتعد أما الآخرون فأظل على توجسي منهم مقتربين وعلى عدم خشيتهم منصرفين· أما لماذا اتبع ما أراه منصرفاً من الأشباح فللأنس أولاً وعسى أن يكون أمي ثانياً ولكن لا أراها الرؤية التي أقطع عندها أهي أم أم خلاف أمي·

من بر جحا

(وهي مهداة إلى الذين يصنعون ما تصنعه الكلام من لعق القيء الذي تتقيأ)

يحكى أن جحا أو شخصاً آخر في عقلية جحا تأخرت له تجارة في البحر وخشي أن يكون أصابها سوء، فنذر إن هي عادت سالمة ليهبنها جميعاً للفقراء المعوزين· فاحتج أهل بيته احتجاجاً شديداً وقالوا: ما فائدة أن تعود تجارتك سالمة، وهي كل ما تملك ونملك، إن كنت مزمعاً أن تهبها إلى الفقراء كما نذرت؟! بيد أن نجحا لم يجب وظل صامتاً·

وعادت تجارة جحا سالمة، فسر لذلك سروراً بالغاً، إلا أن أهل بيته استولى عليهم حزن ووجوم شديدان، فقد أيقنوا بأنهم صائرون إلى أسوأ أحوال الفقر والخصاصة إذا بر جحا بوعده ووقى بنذره·

ودعا جحا أهل بيته إليه وقال: لقد صحت عزيمتي على تنفيذ ما وعدت ونذرت من توزيت تجارتي إذا رجعت سالمة· وها أنتم ترون أنها رجعت كأفضل ما ترجع تجارة سالمة رابحة· وإذا، وقد عدتم جميعاً كأفقر للناس مع هذا العزم الذي عزمت، فقد قررت أن أفرق فيكم هذه التجارة أجمع وأجري على اللّه·

وضج أهل جحا بالشكر لجحا على هذه الفتوى البارعة وقالوا هكذا ليكن أبداً للبر بالوعد وللوفاء بالعهد·

الكريم يؤثر أن يخسر حقاً على أن يحتكم إلى لئيم

اختصم الأسد والفيل في أيهما أحق بملك الوحوش، فقال الأسد: نحتكم إلى النمر ونقبل حكمه، فقال الفيل : النمر من حزبك وعشيرتك، فلنحتكم آلى الثور، فقال الأسد: وللثور من حزبك أنت وعشيرتك· فقال الفيل· فلنحتكم إذاً إلى القرد، فهو من أكلة اللحوم والنبات معاً، وليس لك ولا لي· فقال الأسد: اوثر أن أخسر ملك الغاب لمن هو دونك يا صاح على أن نمضي إلى القر نحتكم إليه·

ولما رأى الفيل نبل الأسد وعلو همته قال: احكم أنت، فأنا راض بحكمك· فقال الأسد: أما وقد حكمتني فأنت لست دني وأنا لست دونك، فليكن لنا ملك الغاب جميعاً· وانصرفا راضيين قانعين· ومن نذلك الحين وللغاب لهما معاً·

أشد الأحياء تلونا وأشدها غدراً

قالت الأفعى للحرباء معيرة: ما أشد تلونك أيها الحرباء فأجاب الحرباء: وأنت ما أشد غدرك أيتها الأفعى: فقالت الأفعى: أنا لست أغدر الأحياء، فهل أدلك على أغدر الأحياء؟ فأجاب الحرباء: وأنا لست أشد الأحياء تلوناً، فهل أدلك على أشد الأشياء تلوناً؟ فقالت الأفعى: هيا زريك وتريني: ومضيا معاً· ولما رأيا أول إنسان أشارا إليه جميعاً· وقالت الأفعى: ها هو، وقال الحرباء: ها هو· ومضيا دون أن يفهم الإنسان لإشارتهما معنى·

كم في الناس من أمثال هؤلاء

مهداة إلى السارقين والمهندمين

حط جماعة من الغربان على سطح منزل ولم يلبثوا أن شرعوا يختصمون ويقتتلون شر اختصام وقتال· ورآهم هر على تلك الحال فقال: ما بالكم تختصمون هذا الخصام وفيما تختصمون؟ فقالوا له: اسمع حجة كل منا واحكم لمن هذا الجبن الذي تراه أمامنا في هذين الوعائين· فأجاب الهر: ولكن هذا الذي تقتتلون من أجله وتختصمون ليس لكم وصاحبه هو صاحب المنزل الذي تقتتلون على سطحه الآن، فكيف تريدون لي أن أحكم لكم فيما لا تملكون أحمع ولا حق لكم فيه! فأجاب الغربان بأصواتهم الكريهة· أيها الفضولي، نحن لم نسألك من صاحب هذا الجبن، وإنما سألناك من تراه أحق به منا·

ولم يشأ الهر أن يطيل الوقوف في صحبة جماعة الغربان، فقد أدرك أي جماعة الحمقى هم وأدرك أن عاقبة أمثالهم في كثير من الأحوال عاقبته وخيمة ولا يحمد الاقتراب منهم·

ولم يلبث صاحب المنزل أن سمع ضجة الغربان على سطح المنزل، فأسرع يرى ما الذي حدث، فشاهد الغربان على ذلك الحال الموصوف وشاهدكم افسدوا جبنه وهم يقتتلون فوقه فخلع حذاءه من رجله وأهوى به طرقاً على تلك الرؤوس الخاوية وظل يفعل ذلك حتى أطار منها ما حوته من حمق واحتشد فيها من سفه·

إذا امتلأ القارب فلا يرقص الملاحون

ظل جماعة من الصيادين أسبوعاً كاملاً يخرجون إلى البحر ويلقون شباكهم دون أن تمسك هذه الشباك شيئاً. وأخيراً استولى عليهم الاعياء الشديد واليأس المرير مضافين إلى ما صاروا إليه هم وعيالهم من بؤس لانقطاع أسباب رزقهم ذلك الاسبوع الكامل، وكادوا يتركون مهنة الصيد مضطرين ليروا لهم عملاً آخر يرتزقون منه.

ولكن في أصيل اليوم الأخير من نذلك الاسبوع الفاشل انتهى الصيادون في عرض البحر إلى مكان خيل إليهم فيه أن كل سمك البحار ترك ماءه وجاء إليه، فكانوا يلقون شباكهم حيثما شاءوا ويخرجونها ملأى كأنما هي تغترف السمك اغترافاً.

وفي ساعة واحدة استطاع الصيادون أن يملأوا قاربهم الكبير إلى قريب سطحه ولم يبق فيه مكان إلا لأرجلهم.

ولما رأى الصيادون هذا الصيد الوفير وتخيلوا المبلغ الضخم الذي سينالونه ثمناً له والطعام الشهي الذي سيأكلونه هم وعيالهم والشراب الهنيء الذي سيشربون والهدايا والألطاف التي سيهدون ويلطفون بها ذويهم بعد ما حل بهم من ضنك وحاق بهم من بؤس كاد يطير صوابهم ويسكرون من دون سكر: فأخذوا يصرخون ويزأطون كمن خولط في عقله، ثم شرعوا يطفرن ويرقصون غير ملقين بالاً إلى القارب المثقل من جهة، فاختل التوازن من جهة أخرى لكثرة ما كان نفي جانبه من سمك، وفي دورة من دوراتهم الراقصة التي علت فيها نشوتهم واشتد حماسهم انقلب القارب بكل ما فيه وكل من فيه.

إذا امتلأ القارب فلا يرقص الملاحون

ظل جماعة من الصيادين اسبوعاً كاملاً يخرجون إلى البحر ويلقون شباكهم دون أن تمسك هذه الشباك شيئاً. وأخيراً استولى عليهم الاعياء الشديد واليأس المرير مضافين إلى ما صاروا إلليه هم وعيالهم من بؤس لانقطاع أسباب رزقهم ذلك الاسبوع الكامل، وكادوا يتركون مهنة الصيد مضطرين ليروا لهم عملاً آخر يرتزقون منه.

ولكن في أصيل اليوم الأخير من نذلك الاسبوع الفاشل انتهى الصيادون في عرض البحر إلى مكان خيل إليهم فيه أن كل سمك البحار ترك ماءه وجاء إليه، فكانوا يلقون شباكهم حيثما شاءوا ويخرجونها ملأى كأنما هي تغترف السمك اغترافاً.

وفي ساعة واحدة استطاع الصيادون أن يملأوا قاربهم الكبير إلى قريب سطحه ولم

يبق فيه مكان إلا لأرجلهم.

ولما رأى الصيادون هذا الصيد الوفير وتخيلوا المبلغ الضخم الذي سينالونه ثمناً له والطعام الشهي الذي سيأكلونه هم وعيالهم والشراب الهنيء الذي سيشربون والهدايا والألطاف التي سيهدون ويلطفون بها ذويهم بعد ما حل بهم من ضنك وحاق بهم من بؤس كاد يطير صوابهم ويسكرون من دون سكر: فأخذوا يصرخون ويزأطون كمن خولط في عقله، ثم شرعوا يطفرون ويرقصون غير ملقين بالاً إلى القارب المثقل من جهة، فاختل التوازن من جهة أخرى لكثرة ما كان في جانبه من سمك، وفي دورة من دوراتهم الراقصة التي علت فيها نشوتهم واشتد حماسهم انقلب القارب بكل ما فيه وكل من فيه.

لقد ذل من بالت عليه الثعالب

كان لجاهلي صنم منصوب يعبده، وذات يوم، وقد أقبل على غزوة من غزواته، مضى إلى ذلك الصنم يسجد له ويدعوه أن يوفقه في غزوته تلك ويرده سالماً، ولكنه وجد ثعلباً قد بال برأس ذلك الصنم المعبود، فاستهون أمره واحتقره أشد الاحتقار وأنشد:

أرب يبول الثعلبان برأسه! لقد ذل من بالت عليه الثعالب

ثم إنه عمد إلى ذلك الصنم وحطمه شر تحطيم ومضى في غزوته تلك ورجع سالماً غانماً، فقال: كم أخافني اللعين وكم سجدت له زوراً وبهتاناً وهو أهون حتى على ثعلب من أن يمتنع أن يبول برأسه: الا كم في دنيانا من أصنام تبول برؤوسها الثعالب وما هو أدنى من الثعالب ومع ذلك تبقى منصوبة قائمة تبعث الرهبة أو الأمل في القلوب لأن الذين أقاموها أجبن وأحمق من أن يمدوا إليها يداً يحطمونها ويخلصون الناس من كذبها وتغريرها.

الثلم الأعوج من الثور الكبير

مر صاحب الحقل بالاكار(7) وهو يأخذ قسطه من الراحة، فألقى عليه التحية ودعا له بالصحة ثم أخذ ينظر إلى ما حرثه ذلك الاكار، فلاحظ أن بعض الأثلام كان أكثر استقامة من البعض الآخر، فقال ملاحظاً أحسب أن ثورنا الصغير، وهو لم يمارس الحراثة طويلاً، سبب هذا الاعوجاج الذي أرى في بعض الأثلام فأجاب الأكار: لا يا سيدي: إن الثور الصغير أعجز من أن يحمل الثور الكبير على الخروج عن جادته والشذوذ عن مساره، إنما ما ترى من اعوجاج وزيغ في بعض الأثلام هو عمل الثور الكبير الذي يجر وراءه نذلكم الثور الصغير كلما رأى قبضة غضة من العشب في متناول فمه وحدثته نفسه أن ينالها، فأحاول عندها رده بالتي هي أحسن أو بالتي هي أسوأ قبل أن يخرج خروجاً كاملاً عن جادته وكثيراً ما يغلبني على أمري ويمضي بعيداً لينال ملء فمه من العشب فهذه هي علة الاعوجاج الذي ترى الآن في بعض الأثلام وليس شيئاً سوى ذاك.

البحيرة المهجورة

وبحيرة مسجورة(8) في مهدها محجوزة من دونها الآلاء(9)
لا الطير آتيها بنغمة شاكر فترد ما يفضي به الأصداء
والدوح لا يهفو عليها من هنا وهنا وثم، وترقص الأفياء
والريح عادت لا تدغدغ صدرها والموج عافت صنعه الأنواء
والنجم أمسى لا يضاحك وجهها لما عرته مسحة كدراء
والبدر لا يستطيع ينزل فوقها متعلقاً بالضوء حيث يشاء
والبهم ليست ترتوي من مائها لما ارتوت من شطها الرمضاء
والناس مذكرهوا الاجاج(10) وطعمه تركوا الاجاج لها وعيف الماء
لما رأت تلك البحرية شطها حفت به مهجورة خرساء
قامت تنادي الأرض يا أرض اسمعي من أين هذي القسمة الرعناء؟
غيري له الظل الظليل ومساؤه مأوى الحياة وشطه اغواء
وأنا، كما قد لا ترين، غدوت لا أدري أظل على اثرى أحياء
أكذا قياس العدل شط مفعم خيراً وآخر قفرة وتواء!!؟(11)
فأجابت الأرض: افهمي أن تفهمي من مجتلب داء عليه الداء
أني سقيتك مذ دحوتك(12) ههنا ماء دلالاً إلونه إرواء
لكن أبيت السير دهراً طوله طول الحياة فحمت الأدواء
ملح إلى ملح فتلكم سبخة(13) يسري عليها البؤس والبرحاء (14)
إن الالى حبسوا عليهم فضلهم حبست عليهم غمة وبلاء

لا يخد عن المرء بدموع الشدة والحرج

كان لرجل طائر أليف حسن الصوت، ولم يكن الرجل يحبسه فث قفص، بل كان يطلقه في المنزل الذي ألفه ألفاً شديداً وهو آمن أن لا يغادر المنزل هارباً.

وكان للرجل هرة بارعة في اصطياد الطيور، فما زالت بذلك الطائر ترقبه وتنغفله حتى صادفت منه غزة فوثبت عليه وامسكته.

وعاد الرجل من شأن له إلى منزله، وافتقد طائره فلم يجده، ونظر فإذا بقايا ريشه ما زالت عالقة في زاوية فك الهرة، فأمسكها بشدة وهيا لها قبضته ليدقها بها دقاً لما فجعته بطائره العزيز، وقال: أيتها الهرة الخبيثة، لقد أبحت لك كل شيء في هذا المنزل فلم يكفك ذلك حتى افترست طائري العزيز فوجعتني به واللّه لن أدع فيك عظماً سليماً قبل أن أطلقك. فأخذت الهرة تصرخ وتولول وتقسم أغلظ الأيمان أنها لم تر الطائر قط ولم تفترسه وفي خلال صراخها وأيمانها كانت دموعها تسح سحاً على وجنتيها حتى أوشك الرجل أن يصدقها ويكذب عينيه وقال: لا أدري أي حاليك أصدق أيتها الهرة: هذه الدموع التي تسحين والأيمان التي تقسمين أم هذا الريش الذي أراه في زاوية فكك؟ فقالت الهرة، وقد شامت بارقة أمل بانفراج الأمر: بل تصدث أيماني ودموع وتدع هذا الريش اللعين الذي أنستني البطة أن أبادر إليه وأزيله فضحك الرجل ضحكة بين السخط والرضى لعبارة الهوة الأخيرة، وقال: اكتفي الآن أن أذيقك بعض ما كنت مزمعاً أن أذيقك، فإذا عدت مرة أخرى إلى القبض على ما أربي من طائر عزيز فإنني أقسم غير حانث لن يخرج ذلك الطائر من أمعائك وأنت حية، وبعد أن هبدها بقبضة يده مرتين أو ثلاثاً أطلقها وهو ما يزال يحذرها. فقالت وقد ابتعدت عنه: ألا لن أفعلها مرة أخرى، فلن ترى مرة ثانية شيئاً من الريش عالقاً بزاوية فمي أو في كفي.

ولم يدر الرجل من كلام الهرة الأخير التائبة هي عن مطاردة طيوره الأليفة أم باقية على ذلك ولكنها ستكون أشد حذراً إقا اقتنصت نبعضها مرة ثانية، فلا تدع في زاوية فكها أو خلافه أثراً من آثار جرمها الذي ستجترم.

كثير من عمل البر مثل هذا

رأى راء باشقا يسطو على حمامة ويحملها بين رجليه ثم ينزل بها قريباً منه ليمزقها ويلتهمها، فقال لاستخلصنها منه لنفسي ولأعدن منها غذائي· وقام لتوه واتجه نحو ذلك الباشق حيث نزل بالحمامة وأزعجه عن صيده فتركها وطار· وطارت الحمامة إلى أهلها ناجية سالمة، ورجع هو إلى أصحابه وهو يقول· لقد كسبت اليوم أجراً، فقد رأيت باشقاً ينقض على حمامة غافلة ويصطادها ولكنني لم أمهله حتى يمزقها إذ قمت رليه ورشقته بالحجارة حتى اضطررته إلى تخليتها لتعود سالمة إلى أهلها وعشها·

من يحجز طويلاً عن النور

لما شقح صاحب البستان بطيخة طال رباطها بعرقها وجد بذورها قد شطأت(15) في داخلها ولما أخذ منها قليلاً بفمه وجده مرا فلفظه وهو يشتم فقالت البطيخة: حجبتنا طويلاً عن النور، وهذه نتيجته.

مرارة القثاء

لما انتهى آكل القثاءة إلى آخرها ألفاه مراً شديد المرارة، فقال في غيظ: لم كانت مرارتك في آخرك ولم لم تكن في أولك، فلا يكون آخر طعمك في فمي هذه المرارة الشديدة؟ فأجابت القثاءة: فعلتها عسى أن يتعلم بعض النفوس الكزة شيئاً من البذل والبعد عن الحقارة

بعض الشر أهو من بعض

أمسك صغير جندباً من رجله، فقفز الجندب قفزة قوية خلفت تلك الرجل في يد الصغير، ومضى هو بعيداً فتبعه الصغير وقال: أبهذه السهولة تدع لي رجلة أيها الجندب أم لا تحس؟ فأجاب الجندب: ادع لك رجلي حتى لا أدع لك سائري أيها المجرم الصغير

الكبرياء تكره نجاح الجدارة

أراد الأسد أن يتبر ولاء حاشيته وصدق نصيحتهم لما خلا منصب من أهم مناصب الدولة بوفاة صاحبه وعزم على اختيار خلف له، فاستدعى تلك الحاشية وذكر لهم أنه يود أن يختار خلفاً لصاحب المنصب الخالي ويطلب نصيحتهم، وأنه عازم على اختياره من الحاشية عينها، وإلا فإن فلاناً من غير الحاشية هو صاحب المنصب ومتوليه، ولم يكن ذلك الفلان الذي ذكر على شيء من القدرة والجدارة، ثم سأل الأسد: فماذا تقولون أيها الحاشية؟ أترون أن يختار أحد من بينكم أم يختار الذي ذكرت من غير الحاشية؟

وطلبت الحاشية الاختلاء، فسمح لهم الأسد بذلك، وبعد وقت وقت قصير عادوا وقالوا للأسد يا ملك السباع: قد رأينا أن مصلحة الملك تقتضي اختيار الشخص الذي ذكرتم من غير الحاشية: وعندها اتجه الملك بالسؤال إلى شخص لم يبد رأيه اشتهر بالإخلاص وحصافة الرأي، وقال: وأنت يا هذا ماذا تقول؟ فأجاب أرى أيها الملك أن تختار صاحب المنصب من الحاشية، فنحن يجب ألا نكون من الكبرياء وخشية الخذلان بحيث نحبب إلى الملك اختيار ذلك المرشح الضعيف من غير الحاش، فنكون أسأنا إليك وإلى مصلحة المملكة أبلغ السوء.

وعرف الملك من هو أكثر إخلاصاً وأكثرهم تقديماً للصالح العام على دواعي الكبرياء والغرور والآنفة الكاذبة، وعرف الذين لا ينظرون إلا إلى أنفسهم فيما يشيرون ويعلمون، وعرف الذي لا يتوانى عن النصح السديد مهما كانت نتيجته بالإضافة إليه واختاره للمنصب الخطير.

من جلب شراً على أهله فهو أحقهم بالعقاب

قالت سمكة لرجل وهو يسبح: لم كانت رؤوسكم أول ما يغرق منكم إذا شرعتم تغرقون؟ فأجاب الرجل: إن من يغرق كان رأسه أولى أعضاء جسمه بالغرق لأنه هو الجاني عليه، فهو لذلك يغرق أولاً.

الكريم لا يذل الكريم

مر الأسد بنمر على صيدله، فقال له تنح وإلا فانت أدرى بما سيصيبك فقال المر: يا أبا الأشبال، إن الكريم لا يذل الكريم، فهل ترى أن يحمل أحدنا أو كلانا على اللؤم؟ فحجل الأسد وانصرف.

لقد نجيته ونجاني

قاتلت زرافة نمراً ببسالة وعزم فائقين حتى ردته عن ابنها وهو في أسوأ حال مما أصابه من ضرباتها العاتية· ورأت مهاة قريبة صنيع الزرافة، فقالت نعم الأم أنت أيتها الزرافة! لقد نجيت وليدك من أشرس الوحوش وأقساها وأشدها فتكاً· فردت الزرافة: لقد نجيته ونجاني· ولو لقيني هذا الفاتك ولا وليد معي أدافع عنه بمهجتي لكان لي معي شأن غير هذا الشأن

مثل هذا بر الكثيرين

نزلت عصائب الطير في ساحة المعركة، ورأت وفرة الجثث وكثرة الطعام فقالت: ما أبر هؤلاء الناس الذين خلفوا لنا كل هذا الطعام!

رب حب آذى من كراهية

قال الساحر للرجل وهو يصنع طلسم الكراهية: عهدنا بالناس يصنعون الطلاسم ليحبهم الناس، وأنت تريد طلسماً يولد البغض والكراهية، فهذا أعجب ما رأيت من مطالب السحر. فأجاب الرجل: رب حب آذى من كراهية وود أنكى من بغضه.

حجة العاجز

تخاصم جماعة وجماعة آخرون· وكانت الجماعة الثانية تحمل العصي، فاستطاعت أن تهزم الجماعة الزولى وتدخلهم منازلهم، فأخذ نساؤهم يسببنهم ويعيرنهم انهزامهم أمام أعدائهم، فقالوا: إنما عصيهم هزمتنا، لولا عصيهم لهزمناهم·

طريق السلامة

قيل لرجل نراك دائماً تخرج سالماً من خصوماتك ومشاحناتك فكيف ذلك؟ فقال: ذلك بقوتي حيناً وبضعفي حيناً آخر. فقيل له: ماذا تعني؟ فأجاب: إذا كنت أقوى من خصمي تغلبت عليه وخرجت سالماً بقتي. وإذا كنت أضعف منه لم تحملني نفسي على مهاجمته وبذلت جهدي في تجنبه، فهذا الذي سلمني علمي بضعفي وإحجامي عن التغرير بنفسي.

صلح الأفاعي

تقاتلت أفعيان، ولما لم يجد سم أحداهما في الأخرى قالتا: ما هذا الشر بيننا، وإلى متى نظل نقتتل؟ واصطلحتا!.

الأذلة الجبناء لا يدعون ذلهم حتى متى زال كل احتمال للنجاة بالتوفي

قال ثور لآخر وهما يساقان للذبح: لقد كدت تقتله يا هذا، فماذا عراك من جنون؟ فأجاب الآخر: أيها الجبان الأحمق، وماذا بعد الذي نحن صائران إليه من شر؟ لو لم تقف موقفك الذليل المسالم وعاونتني عليه لقتلته على الحقيقة لا على المجاز، لكن لعن اللّه الذل والحمق وأهلهما كم يحملان على سخف ويضيعان من فرصة. إنك لا تعلم أولا تريد أن تعلم أيها الأحمق الذليل أنه إذا لم يجد العقل والسلم أية جدوى كانت الثورة والجنون أولى.

متى أمن العاجز فضيحة الامتحان

قال جواد أعرج، عرف وهو نسليم بالتخلف في كل ميدان من ميادين السباق، لجواد سليم: لم جئت ثانياً في السباق؟

لقد كنت اجيء أولاً في كل سباق مضى. فأجاب الجواد السليم: ولم لم تدخل في هذا السباق الأخير فتجيء أولاً؟ فقال الأول: ألا ترى إلى عرجي أيها الصديق؟ فتمتم الجواد الثاني ولم يجد.

بين السنابل

ـــ أختاه ما هذا الصخب ما حولنا هذا اللجب
أفذاك من فرط الجوى أم ذاك من فرط الطرب
ـــ تلكم نفوس القوم تلهبها سياط من غضب
فجد الهم فيه وفيه ضجيج مستعر الخطب
وجهادهم وجهودهم كان الحقود لها سبب
وعلومهم وفنونهم كان الدمار لها أرب
ـــ فيم الحقود وانهم لذوو حجى وذوو كتب
ـــ أما العقول فآلة لهوى قلوب تلتهب
والكتب أجمع بينهم لم تأل تدعو من كثب
لكن نفوس القوم غلف لن تجيب ولم تجب
ـــ قد قلت يوماً أننا مما يضيف إلى اللهب
فلنمض ننمو جهدنا ونزيد في الحبت حب
ونزيل بعض سعارهم ان كان ثمة من سغب
ـــ قد يشبعون إذا رأيت النار يشبعها الحطب
ـــ بل يشبعون متى حوت أفواههم هذي الترب

أبشع الشرور ما هيأته الفطنة معزوال الشعور

قال الكلب للهر: ما أبشع ما تصنع يا هذا! إنه ليس في الاحياء جنس يأكل جنسه إلا أنت والإنسان· وقد زدت بشاعة على الإنسان في أنك لا تأكل أبناء جنسك وحسب بل تأكل أبناءك الذين تجلت راضياً طيب النفس· فأجاب الهر: وماذا نصنع بهؤلاء الاناث من الهررة اللائي لا يلتفتن إلينا ولا يرددن على ندائنا ولا يستجبن لموائنا إلا ما دمن في حاجة إلى الحمل والبنين، فإذا صرن أمهات لا يستجبن لدعوة من دعوات الحب أو صرخة من صرخات الغزام؟ إننا نصنع الذي نصنع لنعيدهن إلينا·

ولما سمع الكلب مقالة الهر انصرف وهو يقول: شيء من الفطنة في أبلد الحس وأحقر النفس وأخس الشعور·

إن من عرف عنهم الشر يجنى مجر معهم على بريئهم

قالت الأفعى للحطاب وقد شطرها شطرين بفأسه: يا هدا لقد جنيت علي في غير ضرورة· فأنا لست من الحيات السامة· ولو فحصت فمي لما وجدت فيه النابين اللذين ينفثان السم· فأجاب الرجل ضاحكاً في سخرية: إذاً لقد كان علي أيتها الأفعى الصالحة أن أمسك برأسك وافتح فكيك وافحص أسنانك لأرى أفيها الأنياب السامة القاتلة أم لا أنياب سامة هناك ولا سم يخرج منهما لما رأيتك تنسابين بين قدمي مقتربة لا مبتعدة، وعندها أقرر أن أخلي سبيلكك أو أقتلك! هيهات يا هذه، هيهات! إن من عرف عنهم الأذى والشر يؤخذ بريئهم في ساعة الشدة والحرج بجريرة غير البري، لا سيما إذا كان بين الروية والأناة والمبادرة إلى الحزم الموت أو الحياة·

خير الغلبتين الأخرى

أصيبت الأفعى بجرح وأسرع رليها الذر وملأ الجرح وأيقنت بالهلاك فبادرت إلى العصفورة التي اعتادت أن تبتلع فراخها كل عام وقالت لها: يا هذه أنا مائت إن لم تنجديني وتخلصيني من الذر، وأعدك بأن لا أؤذي فراخك إذا خلصتني منه· وبعد تردد شديد من العصفورة وأيمان مغلظة من الأفعى أقبلت العصفورة تنقذ الذر بمنقارها حتى أزالته جميعاً من الجرح·

وحال الحول، فإذا الأفعى تتسلق حيث كان عش العصفورة، ولما رأتها طارت وأخذت ترفرف فوق العش وقالت: أين أيمانك وحلفانك التي أقسمت وحلفت؟ فقالت الأفعى: واللّه لولا رغبتي في الحصول على فراخك كل عام لكا كنت في متناول فمي أيتها الحمقاء المغرو،رة لما نجوت من أنيابي· إنك في الذي صدقت من وعودي كالذي يقال له: لقد تغيرت طبائع الأشياء فباتت الجمرة تمرة والعقرب زهرة والذئب حملاً والسم في ناب الأفعى شهداً، فذوقي الآن مرارة تصديق ما لا سبيل إلى تصديقه·

ومضى عام أو عامان آخران وإذا بالأفعى تهرع إلى العصفورة، وإذا بالذر مرة أخرى يملأ جرحاً حديثاً أحدثه ظلف ثور وهو يمر عليها وإذا بها تعيد على مسمع العصفورة حديثها الأول وتضيف إليه عدداً آخر من الأيمان والأقسام·

ولم تكتف العصفورة هذه المرة ان تردها خائبة، بل أحبت أن تنتقم لغفلتها وسذاجتها اللتين انتفعت بهاما الأفعى أفضل انتفاع: فقالت : حباً وكرامة، فنحن معاشر الطير سريعو المغفرة كثيرو المسامحة، ولكن لا بد لي من اتخاذ الحيطة حتى لا تحدثك نفسك بالقبض علي وازدرادي· فقالت الأفعى: أنا أقبل أي احتياط تتخذينه، فماذا تريدين؟ فقالت العصفورة: ود أن تمضي معي إلى جحر أعرفه ثم تدخلي رأسك وجسمك فيه إلى مكان الجرح، فأشرع في تنقية الجرح من الذر وأنا آمن أن لا يصلني رأسك· فقالت الأفعى احتياط معقول: هيا بنا·

وطارت العصفورة والأفعى وراءها إلى أن بلغت جحراً رأت ابن عرس يلجه قبل قليل، وقالت ها هو الجحر، ادخلي رأسك وجسمك فيه إلى مكان الجرح·

وبادرت الأفعى تدخل رأسها وجسمها، ولكن لم تكد تكف عن الانسياب داخل الجحر حتى فاجأها ابن عرس بلطمة قوية على رأسها وأتبعها ثانية وثالثة، فارتدت على عجل· فقالت لها العصفورة، وقد شاهدت شجة كبيرة برأسها وجرحاً بليغاً في عنقها: ما لك يا هذه، وماذا أصابك؟ ألعل ابن عرس هناك؟ فقالت الأفعى: لقد فعلتها أيتها الخبيثة،

ولكن عسى أن تلتئم جراحي، فأريك كيف يكون الانتقام الكامل! فأجابت العصفورة هيهات ذلك، ها هو ابن عرس مقبل، فدافعي عن نفسك إن كنت تستطعين دفاعاً. ولم يمهلها ابن عرس فضربها ضربة قوية فصلت رأسها عن عنقها.

أما العصفورة فقد طارت مغنية منشدة وحطت عند عشها وقالت: لقد غلبتني أولاً وغلبتها آخراً، وخير الغلبتين الأخرى.

سليمان والبوم

قال سليمان للبوم يوماً: أحب أن تذكري لي أي الطير أجمل فراخاً، وإياك أن تكذبيني وإلا قطعت عنقك· فقالت يا نبي اللّه، إنني مخبرتك أي الطير أجمل فراخاً، لكن لي شرط· فقال ما هو؟ قالت: إن تعيرني عينين أنظر بهما تارة وبعيني اللتين وهبني اللّه تارة أخرى· فقال سليمان لك ذلك·

وخرجت البومة، وأطلت في كل عش ونظرت إلى كل فرخ تارة بعينها وتارة بالعينين المعارتين· ورجعت بعد حول كامل ووقفت أمام سليمان· فقال لها: لقد اشتهرت بالحكمة والنظر الصائب أيتها البومة، فأريني حكمتك وصوابك· فقالت: نظرت بعيني وبالعينين المعارتين· أما بعيني ففراخي هي أجمل الفراخ، وأما بالعينين اللتين أعربتني فكثير من الطير أجمل مني فراخاً فقال سليمان: صدقت وأنصفت· لو قلت خلاف هذا لقطعت عنقك·

بين الدوري والخطاف

قال الدوري لطائر الخطاف:

ـــ أتعرف سبباً لهذا الخصام والشحناء في بيت مضيفك؟ فأنت ألصق به وأدرى بأسراره·

ـــ هو ما يجعلهم يدعونني وشأني ويحملهم على ملاحقتك أنت وأفراخك عاماً بعد عام·

ـــ أتريد أن تقول أن غيابك عنهم شطر العام وبقائي معهم بقاء دائماً عاماً بعد عام حببك إليهم وبغضني إليهم؟

ـــ هو ما تقول، ولو عقل هؤلاء الناس لا نفصل بعضهم عن بعض حيناً بعد حين وكفوا مؤدونة الخصام والشحناء، ولكنهم لا يعقلون·

لا يهمه إلا الساعة التي هو فيها

قالت التينة لصاحبها وقد هم أن يهوي عليها بالفأس:

ـــ ماذا أنت صانع؟

ـــ أريد أن أقطعك

ـــ لماذا تريد أن تقطعني؟

ـــ إنك لم تثمري وكل شجرة لا تثمر تقطع وتلقى في النار.

ـــ ولكن هل نسيت ثمري اللذيذ الذي كنت أقدم لك في الأعوام الفائتة، أم أنتم معاشر البشر لا تذكرون إلا اللحظة التي أنتم فيها؟

ـــ نحن لا نذكر إلا الساعة التي نحن فيها ولا يهمنا إلا ما يفيدنا في أمور معاشنا.

ـــ وأود أن أذكرك شيئاً آخر.

ـــ أسرعي، فلم يبق لدي وقت أصرفه في السماع لك والإصغاء لمحاوراتك ومداوراتك السخيفة.

ـــ لقد كان لي أكبر الفضل على أول ابائك.

ـــ وما ذاك الفضل؟

ـــ كنت أول من ستر عورتهماكما لا بد أنك تعلم ذلك.

ـــ ها! ها! إنك لتينة بارعة حقاً. ولكن لعلك نسيت ما قلته لك قبل قليل إنه لا يهمنننا إلا اللحظة التي نحن فيها، فكيف تطمعين أن أعف عنك لفضل موهوم صنعته لآبائنا قبل آلاف السنين؟

ـــ اسرع يا هذا،اسرع إلي بفأسك، فواللّه اني لأوثر أن أقطع وألقى في النار كل يوم ألف مرة على أن أقدم لمثلك ثمرة واحدة أو ساعة من ظل.

الثبات الصدى

سال الميزان في جانبه آخرا كان قليل للعطب:

كل ما فيك أراه صالحاً مسعفاً من قطب لقطب

فلماذا كلما شئت تري ما تري لا تنتهي من لعب

فترى في جانب حيناً وفي آخر حيناً سواه كصبي

دابه يمضي شمالاً تارة وجنوبا تارة في ملعب؟

أفلا خليت شكا أوددا(16) وتأكدت فلم تنقلب؟

فأجاب الجار: لا، لست أرى ما تراه من صواب عجب

درت حيناً ههنا ثم هنا أتحرى جانب الحق الأبي

ومعيني كل عضو صالح مستجيب لدقيق الطلب

لا كما قمت طويلاً يابتاً من فساد لا ثبات المذهب

كثرة الترحيب

أعجب رجل بإخبار الكرماء الأجواد من القدماء، فأحب أن يتشبه بهم لعل أن يطير له ذكر كذكرهم ويخلد له اسم كاسمهم. فأخذ يقف بباب بيته كل صباح ومساء ويدعو المارة بالحاح كان يصل أحياناً إلى درجة التوسل والاستعاطفا. أما كرام الناس فكانوا يبتسمون ويمرون بهذا الالحاف والتوسل والستعطاف مر الكرام، فهم يعلمون من تقاليد الكرم واداب الجود الصميم ما يجعلهم يحتقرون هذا الجود المصطنع الذليل ويتجنبون هذا الكرم المبذول السخيف. أما لئام الناس فقالوا: حباً وكرامة وأخذوا يعمرون بيته في كل صباح وفي كل مساء. ولاحظ الرجل ولاحظت زوجته إن لم يكن بين الضيوف والزائرين الأكل خسيس حقير. فسأل الرجل زوحته فيم ذلك وهو لا يألو جهداً في دعوة الناس نجميعاً كرامهم ولئامهم بالحاف وترحيب شيئين فأجابت الزوجة: لعلك لا تعرف أن نشدة الترحيب لا تأتي أكثر الأحيان إلا بالزائر الحقير والضيف المنتن المخم.

واضطر الرجل أن يعود في آخر الأمر من مغامرة الشهرة وطيب الاحدوثة قانعاً من الغنيمة بالإياب

عظـــة

أكثر خطيب من وعظ قوم أشرار ووالى الوعظ وأسرف فيه، ولكن ذلك لم يجد أي جدو ولم يدعهم في آخر الوعظ خيراً منهم في أوله· وكان في جواره رجل حكيم، فأراد أن ينبهه إلى عدم جدوى ما يعظ ويوالي الوعظ، ولكن بأسلوب لا يستثير عناده وكبرياءه، فعمد إلي خرقة ودلو ماء وأخذ يمسح أرض داره وكانت من تراب· ورآه صاحبه الواعظ، فقال: ماذا تصنع أيها الجار؟ فأجاب: انضف ساحة الدار· فقال لو مسحتها الدهر كله لما صنعت شيئاً، فكيف يستطاع تنظيف التراب فأجابه الحكيم بتؤدة: وأنت لو صرفت العمر كله في وعظ هولاء الأشرار الذين تعظ لما اتعظوا، فاصرف جهدك فيما يفيد وينفع· وقبلها منه صاحبه واقلع عن الوعظ·

ليس للرياء حدود

مر رجل بقوم يهزجون ويعنون ويرقصون، فسأل أحدهم: فيم هم يرقصون ويغنون؟ فأجابه مجيب منهم: هناك عرس، فنحن نرقص ونزهج فرحاً وسروراً. وعاد الرجل يسأل: أين العروسان أو أحدهما على الأقل، فأنا لا أرى عريساً ولا عرزوساً أمام الراقصين أو بينهم كما هي العادة في مثل هذه الأحوال؟ فأجابت عجوز: عميت عيناك! ألا ترى العروسين؟ فسأل وأين هما؟ إنني لا أرى بين القوم أحداً تدل ملابسه أو منظره على أنه أحد العروسين فقالت العجوز: هما ليسا هنا. فسألها: إذاً أين يكونان؟ فقالت: ألا ترى تلك القرية على هاتيك التلة؟ وأشارت إلى قرية على بعد عشرة كيلو مترات أو أكثر؟ فقال بلى، أرى. فقالت: هما هناك.

ومضى الرجل وهو يردد: كنت أحسب أن للرياء حدوداً يصل إليها ويقف عندها، فإذا الرياء شيء لا حد له ولا نهاية.

لا خير في ود لا يجيء إلا بهذه

قال رجل لآخر: مالي أراك قليل الأصدقاء ؟ لم لا تفعل كما أفعل في تكثير الأصدقاء واستبقائهم؟ فسأله صاحبه: وماذا تفعل لتكثر أصدقاءك وتستبقيهم؟ فأجاب: أكثرهم بالتلطف والمداراة والمحاسنة والاغضاء عن الهفوات وتحمل الإساءات وما إليها· فقال صاحبه: لا خير في ود لا يجيء إلا بهذه

نهاية الشر

شاهدت أفعيان عصفورة تزق فراخها، فهاجمتا العش مسرعتين، وأخذتا تستبقان في الوصول إليه، وخشيت المتخلفة منها أن تصل صاحبتها إلى العش قبلها وتنتقي خير الفراخ وتستأثر به من دونها، فعمدت إلى طرف ذنبها وشدت عليه بفمها لتعوقها وتسبقها أو تصلا معاً على الأقل. فانثنت الأخرى وقبضت بذورها على ذنب صاحبتها. ولما صار ذنب كل واحدة منهما في فم الأخرى تحركت فيهما شهوة الازدراد وشرعت تزدرد كل واحدة صاحبتها.

ومر حكيم بتلك الناحية، فشاهد العصفورة لاهية بإطعام فراخها، وشاهد على قيد خطوات من العش منظر الأفعيين الغريب وهما دائبتان في ازدراد كل واحدة صاحبتها، فقال: إى مثل هذا، بمشيئة الحق، ستنتهي كل شرور الدنيا، فيسلم الخير ويأمن أهل البر والصلاح على أنفسهم

من لم يحفظ قديمه أضاع قديمه وحديثه

خلف لابنيه ثروة طائلة· وقبل أن يموت استدعاهما وقال: أنا مائت اليوم أو غداً وأود أن أوصيكما وصية تنتفعان بها في قابل أيامكما وتغنيكما عن كثير من النصح والارشاد ولا يحملكما السير عليها عنتاً كبيراً ولا مشقة زائدة· فأوصيكما أن لا تحتقرا قديمكما إذا رأيتما حديثكما يغنيكما عن هذا القديم· فمن امتهن قديمه ولم يحفظه في سبيل جديده أضاع قديمه وجديده معاً· فكل جديد أساسه نقديم، وإذا أزلنا الأساس لم يبق بناء·

وتوفي الوالد وأخذ كل من الوارثين حصته· أما الكبير فأراد أن يعيش عيشة عصرية رافهة، فباع حصته من الأرض والبيت القديم الذي خرج له من إرث والده وابتنى له قصراً فخماً في العاصمة وأدخل فيه كل وسائل الترف والرفاهية وأخذ يعيش عيشة لاهادي لها إلا الرغبة ولا حدود لها إلا حدود الشهوات إن يكن للشهوات حدود·

أما الابن الصغير فقد أبقى البيت وساتغل الأرض خير استغلال، فتضاعفت ثروته أضعافاً مضاعفة ف يخلال بضع سنوات واستطاع أن يبني منزلاً فخماً في بلدته ويعيشعيشة رافهة ولكن ضمن حدود الاعتدال والعقل وقد ساعده على هذا الاعتدال والاتزان في العيش ابقاؤه على البيت القديم والأرض، فقد ربطاه بهما رباطاً وثيقاً وظلا يذكرانه تذكيراً دائماً بوصية والده التي أوصاه·

وانقطعت أخبار الأخ الأكبر عن أخيه مدة ستة أعوام· وفي ختام العام السادس عاد الأخ الأصغر في أحد الأيم من جولة في مزارعه وحقوله فوجد أخاه ينتظره في منزله، فأقبل عليه وعانقه عناقاً حاراً، ولماا استقر بهما المقام أخذ الأخ الصغير يتفرس في أخيه، فأدرك مما رآه في وجهه وألبسته إلى أي درك من البؤس والشقاء يشير ذلك الوجه وتلك الألبسة واضطر أن يسأله في الذي حدث له منذ تركه وترك الريف ليعيش في العاصمة النائية· فأخبره نبكل شيء وكيف جرفت المعيشة الحضرية العصرية كل ما كان يملك ثم كيف اضطر في النهاية أن يبيع المنزل الذي ابتناه في المدينة وكيف بدد ثمن ذلك المنزل ولم يبق لديه شيء من ثمنه، فاضطر أخيراً أن نيلجأ إليه يستمد العون والمساعد= منه ليقيله من عثرته ويباعد بينه وبين شبح الفقر الذي ظل يلازمه، على حد قوله، ملازمة البوم للخراب أعواماً ثلاثة كل عام منها كان بدهر· ولم يتأخر الأخ الأصغر عن مد يد المساعدة لآخيه ولكن على شرط أن يترك المدينة ويعيش معه في القرية ويكسب قوته مما تغل الأرض له وتجود به عليه، فقبل ما اشترط أخوه وعاش في القرية ولم يلبث ولم يلبث غير قليل حتى تحسنت أحواله

واستقامت أموره استقامة حملته يوماً على تذكير أخيه بوصية أبيه القديمة· فقال له أخوه: هذه الوصية عينها هي التي حفظتني وردتني عن مثل السيرة التي سرت فيما سبق· فكنت كلما سولت لي النفس أن أتخلص من متاعب الفاحة وسآمة الريف انظر إلى البيت وإلى الأرض فاشعر كأنهما يعيدان علي معاً وصية الوالد، فأعود إلى الاتزان وأفيء(17) إلى الرضى والصبر على منغصات العيش في الريف ودواعي السآمة والملالة في القرية

بين الغراب والناس

سئل الغرب وقد مضى يجري كذي عقال:
في أي ما شأن جرىتدعى أبا مرمال؟
أكما يقال بأنها من لوثة وخيال
لما رأى آباؤكم في غابر الأجيال
سرباً من الحجلان في دغل من الأدغال
يجري سريعاً موغلاً كالسيل من شلال
فسعوا ليغدوا مثله في الجري والإيغال؟
فأجاب: لو كنا لكم أكلاً من الآكال
ما كنتم ترموننا بغسولة ووكال (18)
هذي الزرازر مثلنا في الريش والارقال
لما رأيتم لحمها قد لذ للأكال
لم تفردوها مثلنا بالنبز(19) والأقوال
كم صرخة في معدة حسبت من الأمثال

النبتة الطيبة

طفقت النبتة النامية في التربة الغنية ترثي للنبتة النامية قريباً منها على الصخرة الجرداء الماحلة وتقول: لكم يرمضني(20) ويحز في نفسي أيتها الجارة العزيزة أن أراك تتشبثين بهذه الصخرة العارية ولا تكادين تنالين منها قوت ساعتك فضلاً عن قوت يومك العتيد وقوت غداك القريب ثم غدك البعيد، ولكم كنت أسر وأقر عينا لو رأيتك تنتقلين وتصيرين إلى جانبي وتشركينني في تربتي الكريمة وطعامي الوفير!

فردت عليها صاحبتها تلك وقالت: لا يغرنك أيتها الجارة ظاهر فقري، ولا يخدعنك ما يبدو لك من سوء حالي، فإنك لو استطعت أن تنظري في باطن السخر دوني لرأيت جذوري تنزل خلال شقوق عديدة إلى ماء نبع محبوس تحتي، ثم تنبسط هنا وهناك ضاربة في التربة حول النبع وتحته وهكذا تنال الماء والغذاء وترسلها إلي وتيسر لي أسباب العيش والنماء دون أن أخشى ما يخشى النبات عامة من جفاف الجو واحتباس المطر.

فسألت النبتة الأولى: أو هذا شأنك إذا من يسر الحال وحسن المال وإن بدوت على خلافهما؟

فردت عليها صاحبتها: هو ما قلت وأكثر.

ومر يوم أو يومان فإذا النبتة النامية في التربة الخصبة يعلوها الاصفرار ويعتريها الذبول، ثم لم يمض يوم أو يومان آخران حتى جفت وغدت هشيماً يابساً تذروه الرياح.

أما نبتة الصخرة الجرداء فقد لاحظت ذياك الاصفرار والجفاف يدبان في جسم صاحبتها ثم ينتهيان بها إلى الفناء: ولقد أدركت سر ما أصابها أحسن الإدراك لكنها لم تحاول علاجها رغم علمها بذلك العلاج، وقالت: من الفضائل ما هو فضائل ترف واستعلاء أو فضائل خبث ورياء، وهي فضائل أحق شيء بالزوال والفناء. فلتزل هذه النبتة الخبيثة عسى أن يحل محلها ما هو أبرأ صدراً وأطيب عنصراً.

من دل الناس على مقاتله فقد دعاهم إلى قتله

رأت دجاجة النمل ينقل الحب إلى قريته بجد ودؤوب شديدين، فقالت انكن معاشر النمل كثيرات الدأب شديدات الحيطة لا تأخذكن قلة الشتاء وحرجه على غرة كما يأخذان غبركن من الحشرات الكسالى، بل تخزن مؤنتكن من الصيف، وهكذا تأخذن من يومكن لغدكن ومن زمن الرخاء لزمن الضيق والشدة: إنكن لذكيات نشيطات تتخذن قدوة يقتدى بها في رجاحة العقل مع صدق العمل والنشاط مع الفطنة· فرد النمل، وقد سر أبلغ السرور لهذا الاطراء: إنك لتقولين الحق أيتها الدجالجة المنصفة ولا تعدين الصواب فيما وصفتنا وأثنيت علينا،ولكن ما رأيت ليس أدل أعالنا على الفطنة ورجاحة العقل مع الدؤوب وصدق العمل، فإن لدينا من أساليب الحذر والحيطة وطرق الجد والفطنة ما يددهشك أشد الدهش لو رأيته أو سمعت وصفاً له· فقالت الدجاجة أو بعد الذي تعملن من عمل وتحتطن من حيطة عمل أصدق وحيطة أشد؟ فرد النمل: إن من حيطتنا وفطنتنا مثلاً أننا نقنطع الحب الذي نجمع ونفصل الأجنة عن بقية الحب حتى لا ينمو ويفسد متى نزل المطر وأصابته الرطوبة· ومن ذلك أيضاً أننا كلما أمطرت السماء وجاء الصحو صعدنا نبالحب إلى وجه الأرض ونشرناه في الشمس ليجف فلا تفسده الرطوبة· فردت الدجاجة وقد تحلب ريقها لما سمعت كلام النمل الأخير، أو تفعلن حقاً هذا الذي تقلن؟ فأجاب النمل: نعم إننا نفعله ولا نسهو أبداً عن عمله، وإذا أمطرت السماء فإنك سترين صدق ما نقول: فارقبي السماء وأأتي ههنا غب كل مطره يعقبها صحو جميل·

ولم تنس الدجاجة حديث النمل، فلما أمطرتالسماء وجاءت أيام صاحية مشرقة عب المطر دعت بعض صويحباتها وأقبلت على قرية النمل فلما بلغتها شاهدت جميع الحب مقسماً منشوراً على وجه الأرض كما وصف لها النمل في الصيف الفائت، ولم تتوان الدجلجة ولا صويحباتها وأسرعن إلى الحب ينقذنه بسرعة وشره شديدين· ولما رأى النمل ما تصنع الدجاجات كاد يصعق وأقبل مسرعاً نحوهن· ولما رأى صاحبته بالأمس بينهن خاطبها مؤنباً: يا هذه، ما لهذا دعوناك، إنما دعوناك لتشاهدي دلائل فطنتنا وحيطتنا، فما هذا الذي تصنعين أنت وصاحباتك؟ فردت الدجاجة هازئة: ألا تعلمن أيتها الغبيات أنكن بالذي كشفتن من أسراركن كشفتن أيضاً عن مقاتلكن؟ ومن دل الناس على مقاتله فقد دعانم إلى قتله· فذقن الآن جزاء تبجحكن وعدم صونكن ألسنتكن

تجاوب العناصر الطيبة

لسبب غير معروف اتخذت عصفورة عشاً لها في شجيرة مكشوفة وسط الطريق· ورآها الناس وهم ماضون إلى عملهم في الحقول واستغربوا سلوكها ذاك وأخذوا يتساءلون لم تركت العصفورة أرض اللّه الواسعة وآثرت هذا المكان الضنك المكشوف والوضع المهدد؟ أهي غفلة من غفلات الغريزة المهلكة أم شيء آخر؟

أما العصفورة فلم يعنها شيء مما كانوا يتساءلون ويستغربون فقد وقع الأمر وباتت هي وفراخها في متناول يدهم وتحت رحمتهم، رنما أخذت تنظر إيهم وهم واقفون أمام عشها نظرة التوسل في شيء من الثقة والاطمئنان وكأن لسان حالها يقول: أيها الاحباء، لقد وثقت بكم واطمأننت إلى عناصر الخير والأريحية فيكم، فاتخذت عشي في طريقكم ولم أنظر إليكم نظرة التوجس والريبة، ولم أبادر إلى الهرب عنكم والنجاة منكم فلا تفجوني بهذه الثقة ولا تفجوا صغاري بي ولا تفجعوني بصغاري·

وأدت نظرات العصفورة الواثقة وسلوكها المؤمن رسالتها أحسن أداء، فتحركت عواطف الرقة والعطف من مكامنها في النفوس، وأخذ كل واحد من المارة ينظر إلى العش وأصحابه نظرة الاشفاق والخشية أن يطوله غيره بشر أو يصيبه بسوء، فيبادر ويوصي راجياً من يتخذون ذلك الطريق في الذهاب إلى أعمالهم أن يعفوا عن العصفورة وفراخها وأن لا يصيبوهم بسوء ولا أذى·

وكبرت الفراخ واشتدت أجنحتها واستطاعت الأم أخيراً أن تطير بصحبة فراخها هازجة منشدة ولسان حالها يقول مرة أخرى: أيها الأصحاب، لقد جزيتكم ثقة بالغة وجزيتموني رقة وعطفاً، جزاكم الله عني وعن فراخي أحسن الجزاء!

بيد تلك لا بيد هذا

شاهدت العقاب الأرندب وشاهدت الأرنب العقاب في مجثمها ثم شاهدتهما وهي تطير محلقة، فعلمت من المقصود بهذا التحليق· ولم يكن قريباً منها شيء تلتجئ إليه وتحتمي به إلا بضع شجيرات شائكة، فعبرت نحوها تريد الاحتماء، وإذا بابن آوى هناك ولما شاهدها تعدو نحوه نجمع نفسه وهم بالوثوب فقالت الأرنب في نفسها: إن يكن لا بد من الموت فبيد تلك لا بيد هذا· وارتدت إلى حيث كانت·

ذئب يستأسد

أراد الذئب أني تشبه بالأسد فيعوي عواء عالياً إذا شاهد صيده وهم بالوثوب عليه، فينذر الصيد بعوائه كما ينذر الأسد صيده بزئيره وهكذا يتخلص من تهمة الغدر ويكتسب كالأسد نعت المحارب الشريف· ولم يشك الذئب كذلك بأنه سليقي الرعب في قلب هذا الصيد فلا يستطيع حراكاً كما يلقي الأسد الرعب في قلوب الحيوانات بزئيره فلا تساعدها أرجلها على المضي بعيداً·

وعن للذئب صيد فعوى عواء شديداً وزعق زعيقاً عالياً فنذر به الصيد ونفر هارباً لا يلوي على شيء· ولما رأى النمر الذي كان كامناً هناك كميف نفر غواء الذئب ذلك الصيد الذي ظل يرقبه ساعات طويلة ليدنو منه ويثب عليه قام غاضباً من مكنه واتجه نحو الذئب ولما رآه الذئب مقبلاً نحوه تبين الشر في وجهه، فأطلق ساقيه للريح· بيد أن النمر لم يدعه يمضي طويلاً، فأدركه بعد قفزتين أو ثلاث وخبطه نخبطة فصلت ظهره عن كتفيه وشفته من غروره·

نزولاً على حكم السجن

أخذت الضبع تسب النمر إلى جانبها، في حديقة الحيوانات سباً شنيعاً وهو لا يجيب وأخيراً التفتت إلى الثعلب في الجانب الآخر وقالت: انظر إلى أبا الحصين كم أسب هذا النمر وأشتمه وهو لا يجيب: إنه لجبان حقاً لا كما يوصف بالبطش والشراسة· فأجاب الثعلب: اخرسى أيتها الضبع القذرة· إذا لم يجب النمر فذلك كبراً منه وتنزيهاً لمقامه عن مجاراة أمثالك في السفاهة والبذاء ثم نزولاً على حكم السجن الشديد· ولو كان طليقاً وسولت لك نفسك وحماقتك أن تسبيه بعض هذا السباب لما ترك فيك عظماً واحداً صحيحاً·

صحبته غير الأكفاء

رأت الوحوش حمار الوحش يسير في صحبة النمر، فاستغربت ذلك كما تستغرب كل صحبة وصداقة بين غير الأكفاء، وأخذ كل يفسرها علىهواه· إلا أن واحداً منها لم يهتد إلى تفسير مقنع يهدا رليه الخاطر ويطمئن الفكر· وأخيراً قال الثعلب امهلوني أياماً، فقد أستطيع أن أقف على السر:

وغاب الثعلب بضعة أيام ثم عاد وعلى فمه ابتسامة خبيثة· فسألته الوحوش: أي أبا الثعالب، ماذا وجدت لنا؟ فأجاب: وجدت لكم زوجة حسناء ونمراً زير نساء··

وهكذا انكشف للوحوش سر صداقة غير الاكفاء·

مكر ثعلب وغرور ذئبين

وقع لذئبين صيد سمين واختلفا على اقتسامه، ولما لم يستطيعا أن يتفقا قالا: نمضي إلى الثعلب نحتكم إليه، فهو حصيف حكيم ويستطيع أن يحكم بالعدل.

ومضى الذئبان إلى الثعلب وقالا: هذا صيد أصبناه اليوم معاً ونود أن نقتسمه على أن يأخذ أجدرنا وأقوانا النصيب الأوفر. فقال الثعلب أود أن أسمع حجتكما على انفراد، فقبلا بذلك:

وانفرد الثعلب بأحد الذئبين وقال له: يظهر أن خصمك أقوى منك وأجدر، وإذا حكمت اضطررت إلى الحكم له. فقال الذئب: أنا أوثر أن أخسر حصتي لك جميعاً على أن تحكم له بزيادة القدرة والجدارة. فقال الثعلب سنرى في أمركما حينما تلتقيان أمام منصة القضاء.

وانفرد الثعلب بالذئب الآخر وقال له كقوله للذئب الأول: فأسرع الذئب يقول: لا، لا، أنا اوثر أن أخسر حقي جميعاً على أن نتحكم لخصمي بزيادة الفضل والجدارة. فقال الذيب سنرى في أمركما حينما تقفان أمام منصة العدل والقضاء.

ووقف الذئبان أمام الثعلب، فخاطبهما قائلاً: أمامكما أحد أمرين إما أن تدعا الصيد، فلا أحكم لأحدكما بالقدرة والجدارة دون الآخر وإما أن تصرا على طلب الحكم، فاحكم أيكما أجدر وأقدر. فقال الذئبان معاً: نحن نوثر أن نخسر الصيد جميعاً على أن تحكم لأحدنا بالفضل والجدارة دون الآخر، وانصرف الذئبان وتركا الصيد للثعلب خشية أن يسمع أحدهما تفضيل صاحبه عليه.

أما الثعلب فقد أقبل على الصيد السمين وأخذ يقضمه بشهية وبعد أن نال كفايته ضحك ضحكة ثعلبية وقال: أحمقان آثرا أن يخسر أحقهما جميعاً على أن يساء إلى غرورهما.

المنزل الكبير للنازل الكبير

قال فار الحقل لفار المنزل: لو خرجت معي إلى هذه السعة والانطلاق والحرية التي يحسها ساكنو البراري والسهول لحمدت عيشك هناك وأحسست الفرق الكبير بين حياة القيود والحدود وحياة العتق والحرية· فأجاب فأر المنزل: يحس هذا لاذي تصف وينتفع به من كان أهلاً ليحسه وينتفع به أما أنا وأنت نيا صاح فلسنا إلا فئراناً حقيرة مستضعفة همها الأول والأخير الحصول على أدنى القوت واجتناب أحقر الأحياء مما يصطادنا ويفترسنا، إن المنزل الكبير الفخم لا يحس فخامته إلا نازل كبير، أما النازل الصغير فسيان عنده المنزل الفخم الكبير والمنزل المتواضع الحقير·

فضحته المبالغة

رأى الثعلب سرباً من الحجلان، فأسرع واستلقى على الأرض في طريقه ونفخ بطنه نفخاً شديداً وأخرج الزبد من أشداقه· ورأته الحجلان فقلن: هيا ننل من هذا الماء، فالخبيث لا شك ميت وإلا لما خرج الزبد من أشداقه بهذا المقدار، ولما انتفخ بطنه هذا الانتفاخ حتى ليوشك أن يتمزق: فقالت أكبرهن وأحكمهن وأخبرهن بالثعالب لا، لا تدنون منه، وإلا باتت إحداكن عشاءه هذا المساء· فقلن: ولكن ألا ترين أشد علائم الموت والفناء بادية عليه؟ فقالت: إنني أرى أكثر من علمات الموت والفناء في هذا الخبيث وهو ما يريني فالثعلب الميت حقاً مهما خرج الزبد من أشداقه ومهما انتفخ بطنه لن يكون زبده ولا انتفاخه ببهذا المقدار الذي ترين· وقد قيل كما بالغ حي في إبراز مظهر من المظاهر أو صفة من الصفات ففتش عن ضد ذلك المظهر وتلك الصفة، فإنك لا بد واجده هناك·

وسمع الثعلب ذلك جميعاً فأيقن أنه ليس بصائد شيئاً مهماً تلبث وتماوت، فقد فضحته المبالغة· وخشي أن هو أصر على التماوت أن ينشق أو يختنق، فأفرغ جوفه من الهواء وقام يجر ذيله وراءه، وقال لقد أنجاكن من أنيابي هذه المرة شدة الجوع، فقد أنستني واجد الاعتدال، فبالغت ما بالغت، ولكنني لست بعائد لمثلها مرة أخرى، فإلى اللقاء أيتها الحجلان· فقلن: أما نحن فلسنا بمنخدعات بك بعد اليوم انتفخت أم لم تنتفخ وأخرجت الزبد من أشداقك أو لم تخرجه أما غيرنا فنرجو أن يقيض اللّه لهن مرشدة حكيمة كالتي أرشدتنا ونبهتنا هذا المساء كلما عن لك أيها الخبث أن تغرهن وتخدعهن عن أنفسهن·

الدلفين الفيلسوف

قالت الأسماك للدلفين:

ـــ يا هذا إنك تخون جنسك

ـــ كيف ؟ أخبرنني

ـــ هذا الإنسان الذي لا ينفك يسطو علينا بشباكه وحرابه وصنانيره وغير هذه من وسائل صيده، لم تبادر إلى إسعافه كلما أشرف أحد أفراده على الغرق فتضع ظهرك دونه ليمتطيك وتخرج به إلى بر الأمان والسلامة (21)

ـــ لو تركت هؤلاء الأفراد القلائل ممن يشفون على الغرق ولم أبادر إلى إنجادهم أكنتن تنجون مما ذكرتن من وسائل صيدهم؟

ـــ كلا طبعاً، فالذين يغرقون هم لا شيء بالقياس إلى الذين لا يغرقون.

ـــ إذاً لأي شيء نترك هذا العدد القليل ممن يوشكون أن يغرقوا وندعهم يغرقون ؟

ـــ للتشفي والانتقام ليس غير.

ـــ كل انتقام لا يصل في قوته وعنفه الحد لاذي يتعادل فيه مع الأذى الذي أحدثه الخصم هو عبث لا يستحق أن يسعى إليه ويخاطر من أجله، كذلك لا يستحق أن تترك من أجله خلقة من خلال الخير أعمل من أعمال الفضيلة والبر.

فالذي نستطيع أن نحدثه لأفراد من الأذى بتركهم وشأنهم حينما يغرقون لا يعادل فضيلة إغاثة الملهوب ؤرنجاد المستجير فلنسعف هؤلاء الناس ما وسعنا الاسعاف، ولنترك فكرة الانتقام والتشفي. فنحن أعجز من أن نصل في انتقامنا إلى الحد الذي يجعل هؤلاء الناس يحسون هذا الانتقام ويشعرون معه أننا نكيل لهم الكيل بالكيل ونرد اللطمة بمثلها أو أشد

من يجري أبداً مع التيار

كانت الأسماك تجري تارة مع التيار وتارة تعارضه إلا واحدة، فقد كانت لا تنفك تجري حيث جرى التيار، واستغرب الصيدا سولكها فلما دنا منها وجدها ميتة·أما في صياغة أصدق فيجب أن يكون قد رأى جميع السماك تسير مع التيار إلا سمكة واحدة·

حاجته فقط

أسرع الراعي في جز الشاة فأصابها مقصه بجراح عديدة، فقالت شاكية: يا هذا لقد مزقت جليد، فهلا ترفقت قليلاً!؟ فأجاب الراعي وهو ماض في عمله: حاجتي اليوم إلى صوفك أيتها الشاه لا إلى جلدك.

أراه فأنسى الحليب

قيل للبقرة: لم لا تدرين الحليب إلا إذا كان ابنك في مشهد منك؟ فأجابت: أراه فأنسى الحليب.

بين نسرين

قال نسر لصاحبه وهما يداعبان الأهواء: ما هذه الأجرام مدوية بين أجواز الفضاء حتى لتوش أن تسد علينا مسارب الأجواء؟

ـــ أولئك هم الأنس من أهل هذه الغبراء في أجنحته من فولاذ يزجيها نار وماء مما هيأ لهم المعلم وأعد العلماء.

ـــ لكن هؤلاء الذين تصف وتقول لم يكونوا من كثب في هذا العرض والطول وكانوا يبدون في مكادحهم ونحن في سمائنا نجول في حجم الخنفساء المهينة أو ذبابة الفضول،

ـــ ليس ما ترى من زيادة يا صاح زيادة المصحة والنماء إنما ذلكم أرباء الورم وكبر الداء العياء.

درس من الطبيعة

هي عائلة من فئران الحقل. أما الأبوان فقد صعدا إلى حيث انحنى عرنا الذرة على ساقه الطويل وأخذا يقضمان خصلاً صغيرة ويطرحانها، فتبادر للصغار وتنقلها إلى حجرها، إلا واحداً كان أصغرها، فقد أبى أن يعمل وظل يطفر لاهياً لاعباً بين اخوته. وحدجته أمه بنظرة قاسية، ولكنه تجاهل هذه النظرة أو لم يدرك مغزاها، فما كان منها إلا أن طرحت نفسها عليه طرحاً من أعلى الساق وأخذت بأذنيه وراحت تدور به وضتبر به الأرض غير مبالية صراخه وعويله. ولما أيقنت أنها لقنته الدرس الذي تريد تركته وصعدت رلى أعلى الساق. ولم يتوان المسكين وقام ينفض الغبار عن جسمه ويبادر إلى نقل خصل الذرة المطروحة كاخوته. وهكذا لقنته الأم درساً لن ينساه، هو أن من أراد أن يعيش ويأكل عليه أن يجد ويعمل

دفع الشر الكبير بشر دونه

قالت للضفادع بعضهن لبعض: هلم نلتزم الصمت، فلا يدل علينا الحيات في بركتنا إلا أصواتنا ونقيقنا· فقالت أحكمهن: إنكن لن تطقن ذلك· فقلن لها: ولم؟ فقالت لولا نقيقنا وضجيجنا ولولا الحيات وما دون الحيات مما يهتدي إلينا بهذا النقيق والضجيج لما وسعنا الماء وكان في ذلك هلاكنا جميعاً·

نسك النمر

شعر النمر أنه يفقد بصره شئاً فشيئاً، فأحب أن يتدارك أمره قبل أن يفقد بصره فقداً تاماً وتغطي الظلمة عينيه· فأشاع أنه اعتزم النسك والعبادة وأنه ملتزم كهفه لا يبرحه·

وسمعت الوحوش نبأ النمر واعزامه النسك فأكبرته وأخذت تفد على كهفه للسلام عليه والاستفادة من علمه وصلاحه· ولم تنس هذه الوحوش أن تصطحب معها من خير ما حصلت من طعام ونالت من رزق تضعه بين يدي النمر الناسك ليعينه على حياة النسك والصلاح·

وبلغ الثعلب نبأ النمر الناسك وبلغه أيضاً ما اشترط على زواره من وجود مناداته قبل ولوج كهفه والاستئذان بالدخول، لأنه، كما كان يقول، قد لا يكون في الحالة التي يرغب أن يلاقي بها الزائرين أو لأنه قد يكون بين الزائرين من لا يستحب زيارته ولا يرغب فيها· واستراب الثعلب بهذا الشرط الذي اشترط النمر وخيل إليه أن وراء نسك النمر شيئاً غير النسك، ولكنه لم يشأ أن يقطع بالأمر قبل أن يفد على النمر ويتحقق مما خامره بشكل لا يبقى معه شك·

واصطحب الثعلب معه دجاجة برية صادها يوم اعتزم الزيارة ووقف بباب كهف النمر ونادى مقلداً صوت الذئب: يا عماه، لقد وقع لي اليوم صيد غريب فأحببت أن ألطفك به وأنال البركة بزيارتك وأستفيد من علمك وزهدك وصلاحك فأجاب النمر متلطفاً: أهلا بك يا بني، هيا تفضل· ودخل الثعلب ووضع الدجاجة بين يدي النمر· ولم يبد على النمر أنه أنكر الثعلب، وخاطبه قائلاً: كيف حالة أبا ذوالة (22) لقد استوحشنا لطول غيابك عنا· فأجاب الثعلب بخبث لقد أعجبني صلاحك يا عمنا الناسك وقد اعتزمت النسك مثلك والوقوف ببابك فقال النمر متضايقاً بعض الشيء: لا بأس يا بني، ولكن عليك أن تحتال لطعامك وشرابك، فما يأتيني لا يكاد يكفين· فقال الثعلب بخبث أشد، بل سيكفيني ويكفيك وإلا أذعت في الوحوش أن ما بك هو العمى لا النسك، وأنا الثعلب، وهاك صوتي، وقهقه قهقهة ثعلبية طويلة·

وأسقط في يد النمر، فخاطب الثعلب في صوت منكسر: استر أبا ثعالة (23) ما رأيت ولك شطر من خير طعامي كل يوم·

حجة القثاءة المرة

ما هذه المرارة قثاءة الحماره (24)

خدعني مرآك ولم أشأ إلاك

حين بدوت خضرة بطيخة، لا حزة

ومثلها استداره وفقتها نضاره

ـــ لو كنت يا ذا منصفاً قبلت وجهي والقفا

ألم يقولوا قدما من كان غرا قدما (25)

أحب دوماً يسمع كما يشا ويطمع

من صاحب منافق بكل مدح دافق

أما الحكيم الساهر على التهدي الماهر

فان خير صاحب بداله، مصاحب

هو الذي يبكيه مقام ما يرضيه ؟

ـــ يا أيها الثقيله في حكمة عليله

كل الذي أراه أسمعه، ألقاه

آكله أو أشرب فوق المدى يعذي

أليس ذا يكفيني من صاحب يبكيني؟!

لكنه التبرير قد حفه التغرير

والكذب والمداوره في المقدرات القاصره

بين الترس والسيف

ـــ أنت عديم النفع بدوني أيها السيف· فأنا الذي يرد عن صاحبنا ضربات العدو القاتلة وطعناته القاصمة·

ـــ ولكن رد الطعنات القاصمات والضربات القاتلات وحده لا يكفي إذا لم يصحبه ويعززه إرسال للطنات والضربات في صدر العدو ونحره·

ـــ أنا لا أريد أن أنفي أن للطعن والضرب عملاً في كسب المعركة النهائية، ولكنني أريد أن أبين أنك بدوني عديم النفع والفائدة·

ـــ وأنا أقول أن المحارب القدير يستطيع الاستغناء عنك، ولا يحتاج إليك أشد الحاجة إلا المحارب الضعيف· إن أشد الفتوح وأعظم الانتصارات في السلم والحرب لم يصنعها الترس وما هو كالترس من وسائل الدفاع، وإنما كانت من عمل السيف وما هو كالسيف من وسائل الاقدام والهجوم· ولو كان الأمر في معارك السلم والحرب يترك للترس وحده لما استطاع هذا الترس أن يصنع شيئاً· أما السيف فتستطيع أن تسجل له أروع فتوح السلم والحرب· بل أستطيع أن أقول وأؤكد القول أن أخلد الفتوح وأبقاها على الزمن هي فتوح السيف والهجوم التي لم يستعن عليها بالترس وما إلى الترس من وسائل انتظار العدو والتهيؤ لاستقباله ومدافعته·

إنها تعطي بيد وتأخذ بيد

قال الغراب للكنار

ـــ ليت لي مثل صوتك الجميل أيها الكنار· إن مثل صوتك لمن نعم الوجود·

ـــ لا تتسرع، فليس من خير تقدمه الحياة إلا وتقابله بشر·

ـــ وما الشر الذي تقابلك به الحياة بدل هذا الخير الذي وهبتك·

ـــ هو الأمن أو الحرية يا صاح·

ـــ أو لست آمناً، أو لست حر في هذا الغاب ؟

ـــ أما الأمن فأضعف الجوارح يصطادنا، وأما الحرية فسل عنها الأقفاص في دور الموسرين والأغنياء·

ـــ لكأنك تود أن تقول إن ما أنعمت يد الحياة به عليكم من صوت جميل عادت واستردت خيراً منه وهو الحرية والانطلاق والأمن·

ـــ هو ما تقول

ـــ هذا كأن تقول: ومن الفضائل ما يضر بأهله

ومن الفضائل فضله مدخول

أضرب الكلب يستأدب الفهد

كان رجل يقتني في بيته فهداً أليفاً وكلباً: ونسي الرجل يوماً أن يطعم الفهد· ولا حل المساء دخل إلى الحضيرة التي خصصت للكلب والفهد· ولما رآه الفهد احرت عيناه ودمدم ثم عوى عواء تبين للرجل ما يداخله من شر·

وتحفز الفهد للوثوب: فماذا يصنع ؟ إن هو تراجع ازداد الفهد جرأة، وإن هو هاجمه فلا يأمن على نفسه من أنيابه الجائعة، والملاطفة في مثل هذا الحال لا تجدي· وكان الكلب قريباً منه، فأقبل على الكلب وانهال بالعصا عليه ضرباً وبرجله ركلاً، فعوا عواؤه وعويله: فلم يلبث الفهد الذي كان لا يزال متحفزاً للوثوب أن تراخى ثم استدار وانسل إلى أقصى الحضيرة وعينه ما تنفك ترعى الرجل وعصاه رعاية الخائف المذعور· لقد بوغت الفهد بهذا المشهد، فلم يسعه إلا الهرب والانزواء وهكذا تخلص الرجل بسرعة خاطره وبما فطرت عليه الأحياء جميعاً من الاستخذاء والاستكانة إذا شهدت مظاهر الشدة والحزم تقع على غيرها وتجدي جدواها·

لا أريد أن تكون هذه اماً لبني

أخذ كبشان ينتطحان أشد انتطاح حتى أوهيا قرنيهما وأدميا رأسيهما· فجاءت الشاة التي كانا ينتطحان من أجلها وحاولت أن تفصل بينها· فكف أقواهما عن النطاح وقال لخصمه: خذها يا هذا، لا بارك اللّه لك بها· إنني لا أحب أن تكون مثل هذه أماً لبني· وتركهما وانصرف·

الثعلب الغراء والذئب

اختطف نسر قوي ثعلباً وطار به في الجو· وفيما كان النسر يطير قال له الثعلب: ماذا تنوي أن تصنع بي؟ فقال: سترى أيها الماكر الخبيث: سأميتك ميتة لم يمتها ثعلب قط فتغدو عبرة لكل الثعالب الماكرة مثلك·

ولما بات النسر على علو شاهق من الأرض أطلق الثعلب، فنزل يهوي· ونظر الثعلب دونه وأخذ يدعو: اللهم عونك: اللهم سر لي فروة أو بيدراً يجيء تحتي: وظل يدعوهذا الدعاء حتى أحس بلطمة خفيفة تلطمه خلاف ما كان يقدر من قوة ضرب الأرض له وزعزعة مفاصله وتمزيق جسمه· ونظر فإذا تحته فروةصغيرة وتحت الفروة بيدر· فشكر اللّه على حسن ضيعة إذ استجاب دعاءه ويسر له الفروة والبيدر معاً·

وحمل الثعلب الفروة على كتفيه ومضى يسير مزهواً مختالاً· رآه الذئب فقال له: أراك صرت فراء أبا الحصين، فمن أين لك هذه الفروة ؟ إنها ستفيك برد الشتاء خير وقاية·

وأدرك الثعلب محتملات هذا الموقف إدراكاً سريعاً وقال: رباني صغيراً أحد الفرائين، فأتقنت صناعة الفراء من النظر حيناً والاشتراك معه في عمله حيناً آخر· وأخيراً صنعت هذه الفروة وخرجت بها كما ترى· فهل تحب أن أصنع لك مثلها ؟ فأجاب الذئب: أحب أشد الحب، فإن البرد في كل شتاء يكاد يهرأ جسمي· فعاد الثعلب يقول: ولكن الفروة تحتاج إلى عدد من الجلود وتحتاج إلى جزار ماهر يسخلها حتى لا تتمزق· فقال الذئب: إذا جئتك بالخراف أتستطيع أن تسلخها جيداً وتعد جلودها عداداً حسناً لتصنع منها الفروة ؟ فأجاب الثعلب: كان هذا بعض عملي عند الرجل الذي رباني· فإذا لم أستطعه فلن يستطيعه أحد غيري·

وأخيراً اتفق الذئب والثعلب على أن يقدم الذئب الخراف ويسلخها الثعلب ثم يصنع من جلودها الفروة المطلوبة، وله مقابل تعبه وصناعته لحم الخراف جميعاً·

وشرع الذئب يصطاد كل يومين أو ثلاثة أيام خروفاً ويأتي به الثعلب ثم يمضي· ومضى على هذا أسابيع والذئب يأتي بالخراف ثم يمضي بعد أن يسأل الثعلب عن سير العمل في الروة وبعد أن يجيبه الثعلب بأنه يسير سيراً حثيثاً نحو النهاية·

وقرب الشتاء وأحس الذئب بالبرد، فألح على الثعلب بأن ينتهي من الفروة وإلا عاقبه أشد العقاب: فقال الثعلب: عشرة خراف أخرى ثم ينتهي العمل· وأتاه الذئب بعشرة

خراف وقال له بعد أن قبض على عنقه وهزه هزة عنيفة كادت تفصمها! لم يبق لك أي عذر في الإبطاء، فواللّه إذا تبين لي أنك كنت تمكر بي لامزقنك شر ممزق، فلا تظن أنني غافل عنك وعن حيل الثعالب أمثالك. سءعود بعد يومين، فإذا لم أجد الفروة جاهزة فلا تلومن إلا نفسك.

وعاد الذئب بعد يومين وقصد إلى حيث كان يلقى الثعلب كلما أتاه بخروف، فلم يجد الثعلب وإنما رأى كومة من العظام وبقايا الجلود. والتفت حوله فرأى الثعلب يقف بعيداً على تلة مشرفة، فلم يبق لديه شك أن الثعلب كان كل هذا الوقت يخدعه ويمكر به، فناداه وقال: لعل أن الجلود لم تكن كافية أبا الحصين، فهل آتيك بعدد آخر من الخراف؟

إنك إن تلقني غداً هنا سآتيك بخير الخراف وسآتيك بغيره ما دمت في حاجة إلى مزيد من الخراف.

فرد عليه الثعلب من بعيد وهو يقهقه بشدة: هيهات أبا الذئبان: إن من صنع صنيعي وغدر غدري سيجمع إلى الغدر الحماقة وتصديق المستحيل إذا اطمأن إلى عدوه الذي غدر به وعاد إلى القرب منه والانس به وأوصيك وصية قد تعدل بعض ما خسرت من خراف: وهي أن لا تصدق قط من يدعي خلاف عمله الذي يعمله ويتقنه حتى لو كان ثعلباً ماهراً مثلي يحمل فروة على كتفيه ويقدمها دليلاً قاطعاً على إحسانه عمل الفراء.

شهادتان

قال: كنت آكل التمر وأطرح النوى أمامي، فجاءت جماعة من عصفور الدوري وأخذت تعالج هذا النوى لتنال القليل مما ظل عالقاً عليه من بقية التمر· فقلت: إذا كان هذا مقدار شرهها إلى الحلوى فماذا تصنع لو طرحت لها حبات من التمر ؟ وطرحت عدداً من حبات التمر إلى هذه العصافير· فأقبلت عليها من بعيد، ثم دنت منها قليلاً قليلاً، ولما صارت قريباً منها وقفت مرتابة ولم تمد إليها منقاراً· وأخيراً نظرت إلى التمرات نظرة وإلي نظرة ثم طارت مولية ولم تعد····

وفي مرة ثانية كنت أعد سمكاً صغيراً لغذائي، فجاءت الهرة كعادتها لتلتهم رؤوس السمك وبقاياه بنهم وشراهة شديدين كما عهدتها· فأحببت أن أرى إلى أي حد سيبلغ منها الشره إذا ألقيت إليها بسمكة صحيحة، فألقيت إليها بسمكتين، وقلت: سيصيبها ما أصاب حمار بوريدان فلا تدري أياً تأخذ أولاً وأياً تدع، ففي كلا السمكتين الصحيحتين من الاغراء ما هو خليق أن يوقعها في أشد الحيرزة· ولكن الهرة هذه المرة خيبت ظني أشد الخيبة فقد أقبلت على السمكتين إقبالاً ولم تثب عليهما وثبا كما كنت أقدر وأخذت تتشممهما حذرة مرتابة، وبعد لأي أخذت إحداهما وأخذت تقضمها ببطء وعينها إلي! فماذا تقول في سلوك الدويريات ذاك وسلوك الهرة هذا ؟ فقلت: هما شهادتان من أسوأ ما شهد شاهد على بني الإنسان·

شرها أراك خيري

تزوج رجل امرأة جميلة إلى حد الروعة ومطيعة إلى حد الذلة، ولكنه برغم ذلك لم يلبث أن سئمها وصرح لها بأنه سيتخذ له زوجة أخرى، فقالت: إفعل ما تشاء إنما ذلي أسأمك.

وزتوج بامرأة أخرى، وكانت على نقيض تلك شديدة الشكيمة كثيرة العناد، فلم يلبث أن عاد إلى زوجته الأولى يتودد إليها ويشكو من معاملة زوجته الثانية وأسر إليها أنه ينوي تطليقها. فبادرت تقول: إياك أن تفعل! فسألها مستغرباً: ولم ذلك؟ فأجابت: إنما شرها أراك خيري.

هذا الصنف من الرجال لا يخشى

قال لأبيه: يا أبت، ألا تحاول أن تتوقى هذا الرجل الذي يتوعدك أشد التوعد ولا يفتا يعلن أنه سيفعل كيت وكيت من أشر الأمور وأخطر الاعتداء ؟ فأجاب الأب: هذا الصنف من الرجال لا يخشى يا بني، وإنما يخشى الذي لا يبالغ في التهديد والوعيد. وقد قيل: من اختار أكبر الحجارة فقلما يضرب بها.

الصيف ضيعت اللبن

كان لرجل ابنتان· فتقدم يوماً خاطب يخطب الكبرى، وعرض أمره عليها، فقبلته دون تردد· وبعد قليل تقدم خاطب آخر يخطب الصغرى وكان أكثر من كفء لها، وعرض أمره عليها فقالت لذويها، قبلت أختي أول خاطب جاءها ـــ بدون تريث ولا تأجيل، ولو أجلت أو ترددت لحصلت على زوج أفضل وأكرم من زوجها أطيب منه عنصراً وأصلاً، أو على الأقل جعلته يشعر بقيمتها، فلا يمتهنها ويتبذلها إذا صارت إليه· فقال لها أهلها: وماذا تحبين أن ننقل إليه إذاً ؟ فأجابت: قولوا له: إنها ليست راغبة في الخروج من بيت أهلها وشيكاً، فإذا كان يستطيع الانتظار فلينتظر بضع سنوا، وإلا فلينظر غيرنا·

ونقل أهل الفتاة ردها إلى خاطبها· ولكنه لم ييأس، وقال: هذه عادة الفتيات يتمنعن قليلاً ثم يخضعن لحكم الواقع· وأعاد الكرة على ذوي الفتاة، وأعادت الفتاة الرفض، وقالت إلى ذويها: انظروا كيف علقته لكم بين الأرض والسماء، ولو كنت أجبته سريعاً إلى طلبه لقال في نفسه· هذه فتاة رخيصة لا تستطيع أن تغلي نفسها وتعلي قيمتها، وقد يبدو له تحت هذا الإحساس أن يعدل عن طلب يدي عدولاً نهائياً· فسألها أهلها· وماذا تحبين أن ننقل إليه هذه المرة؟ فقالت: قولوا له ينتظر وقتاً آخر، وإذا لم يستطع الانتظارفلينظرله قتاةغيرنا

وسمعت الفتاة أن خاطبها الذي ردته مرتين يخطب فتاة أخرى، فثاب إليها شيء من العقل والرشد وقالت لأهلها: ماذا عليكم لو أرسلتم إليه أننا لا نأنف الزواج منه بعد حول واحد فقط ؟

وأرسل ذوو الفتاة إلى خاطبها يقولون: راجعت فتاتنا فكرها وقبلت الزوواج منك بعد حول واحد فقط· فرد عليهم قائلاً: مثل هذه الدرة المصونة يحب ألا تخرج من بيت أبيها خروجاً وشيكاً، فلتبق حيث هي·

وأبلغ أهل الفتاة فتاتهم رد خاطبها، فقالت· أخبروه أنني قبلت الزواج السريع وأنني بانتظاره·

وأبلغه ذوو الفتاة رغبتها في الزواج السريع، فعاد يقول: قلت لكم إن مثل هذه التحفة النادرة وادرة المصونة يجب ألا تخرج من بيت أبيها، ثم لقد ارتبطت بوعد مع فتاة قبلت أن تتزوجني دون دلال ولا تأجيل ولا تسويف، ولا أستطيع أن أنقض الوعد الذي وعدت، فلتنظر فتاتكم خاطباً آخر غيرنا ترضى أن ينتظرها بضع سنوات

وسمعت عجوز طويلة اللسان بهذه القصة الظريفة فلخصتها لمجالس التندر والفكاهة بهذه الكلمة: طلبوها فتمنعت، وأهملوها فترامت وتبذلت

من منطق الحياة

هجم الذئب على الشاء وأدمى ثم عاثا

وأفاض الصوت راعيها، ولكن لا غياثا

فالكلاب استمعت دهراً ولم تبد اكتراثا

وجميع الشاء لم تعن بأن تنجو حثاثا

ومضى الذئب بشاة بعد أن أصمى (26) ثلاثا

وانثنى في غيضه الراعي وأرغى ثم راثا(27)

حينما ردت كلاب غبرت دهراغراثى(28)

قد ألانالجوع ذاذا، وأذى الجوع أراثا

ونرجي الآن بعد الذئب أن نلقى مغاثا

وأجابت شاؤه شارحة: ما الذئب عاثا

مدية الجزار ردت أنيب الذئب دماثا(29)

من سهل سبيل الإجرام فهو شريك فيه

ألقي القبض على سارق الأغنام وقاتيد أمام القاضي ووقف عن يمينه راعي الأغنام المسروقة· وسأله القاضي: أأنت السارق؟ فأجاب: نعم· ثم سأله· ولم سرقت ؟ فقال· الحاجة ووجود الغنم مهملاً بدون راع· وعاد القاضي يقول: وهل سبق لك جرم من الاجرام ؟ فأجاب السارق: كلا، وسجلك شاهد·

والتفت القاضي إلى الراعي وسأله: أكنت بعيداً عن الغنم يوم افتقدت شياهك؟ فأجاب لم أكن بعيداً، وإنما نمت قليلاً· فقال القاضي: كلاهما سواء·

وعاد القاضي يخاطب السارق وقال: لقد أقررت واعترفت، فتحكم عليك المحكمة بأخف عقوبة السارقين الذين لم يسبق لهم جرم من الاجرام· ثم التفت إلى الراعي وقال: وتحكم المحكمة على الراعي المهمل بأقصى حد عقوبة السارقين، لأنه لولا إهماله لما سرقت الغنم ولما هيأ لرجل لم يجرم قط أسباب الإجرام والمغريات عليه· وقد كان ممكناً أن يجد السارق عملاً سريعاً يرتزق منه لولا سبق هذه التجربة التي هيألها الراعي له باهماله·

وسر الجمهور لحكم القاضي، على غرباته وأثنوا عليه أطيب الثناء، وقالوا: هنا قاض يملك القانون بدل أن يملكه ويستعبده القانون

مكروه الجوار

شكا رجل إلى صديقه أنه مكروه الجوار، فكل جار جاوره ترك جواره غير آسف على ذلك الجوار· فقال الرجل: لعلك تصنع أو تقول ما ينفر الجيران منك ويحملهم على الابتعاد عنك· فأجاب: بل على العكس أحاول من أول نزول الجار عندي أن أشعره بأنني واثق من حسن جواره أكبر الثقة، فلا أغلق لي باباً في ليل ولا نها، وإذا حدث أن فقد لي أحد الأشياء فلا أسأله سؤال المتهم المرتاب، وإنما أسأل سؤال المستفهم ليس غير: فقال له صاحبه: أو يفقد لك أشياء كثيرة من جراء إبقاء الأبواب مفتوحة؟ فأجاب: يفقد لي الشيء والآخر الحين بعد الآخر، ولكنني قلت لك أنني لا أتهم اجواري بل أقول لهم عند السؤال منهم: قد يكون أحد المتسولين أو لصوص النهار غافلنا وأخذ ما افتقدناه، ولكنهم مع ذلك يتركون جواري كما أخبرتك، فهل عندك علاج لهذه الحال ؟ فأجاب صاحبه: أغلق باب دارك ولا تتهم جارك· فاحتج الرجل بأنه لا يتهم جاره أي اتهام· فرد عليه صاحبه بأنه يتهمه بلسان الحال إن لم يتهمه بالمقال، وأنه إذا أراد أن نيحتفظ بجيرانه عليه أن يغلق أبواب منزله، فتقل أو تنقطع الأشياء التي يفتقدها فيبقى له جيرانه·

وفعلالرجلكما نصحه صحبه وانقنطعت الأشياء المفقودة وانقطع سؤاله من جيرانه عنها وعاد هؤلاء الجيران يمكثون في جواره أعواماً دون أن يتحولوا إلى جوار غيره·

دواء الافتتان

صنع رسام صورة وجاءت غاية في الإبداع وأعجب بها إعجاباً شديداً وطفق يقف أمامها ساعات النهار بطولها وجزءاً من ساعات الليل.

ورأته زوجته على هذا الحال وحاولت صرفه عن هذا الإعجاب الخطر بكل وسيلة ولكن دون جدوى. وفي يوم جاءته وقالت: هل لك فيما يدعك تنتج خيرا من هذه الورة البديعة ؟ فنظر إليها نظرة الشك وقال: ما هذا الذي تدعين وتزعمين أنه سيجعلني أنتج خيراً مما أنتجت ؟ فأجابت الزوجة: إذا وعدتني أن لا تتكلم أي كلام أو تصنع أي شيء إذا غضبت حتى تفكر فيما سأصنع وأضع أمامك من أمر أطلعتك على السر الذي سيدعك تنتج وتبدع خيراً من كل ما أنتجت وأبدعت. فقال الزوج وهو لا يدري ما الذي ستصنع زوجته أو تقترح: أعدك بكل ذلك. فعمدت الزوجة على الفور إلى صحاف الدهان وأخذت برؤوس أصابعها منه وأمرته على اللوحة بسرعة البرق.

ورفع الرجل يديه وفتح فاه يريد أن يصرخ. فبادرت الزوجة تقول: اذكر ما وعدت. فأطبق الرجل فاه وكظم غيظه وفكر ملياً فيما صنعت زوجته. ولما أدرك مغزاه قال: أصبت يا عزيزتي. وعاد إلى ألوانه ولوحاته فأنتج وأبدع خيراً من صورته تلك. ثم قال لزوجته: يا عزيزتي لا تترددي قط أن تأخذي بأطراف أناملك شيئاً من الدهان كلما رأيتني أقف أمام لوحة من اللوحات أكثر مما يجب أن أقف.

جزاء الإستكبار على الغدر

وقعت الحرب بين ملك إحدى البلدان وأمير مجاور. وفي إحدى المعارك التي دارت بين المتحاربين استطاع جنود الملك أن يحملوا حملة صادقة على أعدائهم، فانكشف جنود الأمير عنه وأحاط به أعداؤه وبمن بقي معه من جنوده. وقاتل الأمير وجنوده الباقين قتالاً شديداً، ولكن ذلك لم يجد عنهم شيئاً، فأطبق عليهم جنود الأعداء من كل جانب وسدوا عليهم منافذ الهرب وأخذوهم أسرى جميعاً. ووضع الأمير وجنوده في قلعة من القلاع الحصينة وأقيمت عليهم حراسة شديدة حتى لا تحدثهم أنفسهم بالهرب أو يتمكن أعوان الأمير من اقتحام القلعة وتخليصهم.

وكان في عاصمة الملك حزب سري غايته قتل الملك أو خلعه وتولية أحد رجاله مكانه. ولكن الحزب لم يكن من القوة بحيث يستطيع أن ينفذ خطته. فاغتنم رئيسه فرصة أسر الأمير وأنفذ إليه سراً من يقول له: إذا ساعدتنا بجنود من بلادك على خلع الملك أو قتله أطلقنا سراحك أنت ومن معك وعقدنا معك صلحاً بعد أن يصير الأمر إلينا.

ورأى رجال الأمير فيما قاله رئيس الحزب فرصة سانحة للخلاص من أسرهم الشديد والنكاية بعدوهم اللدود، فأقبلوا على الأمير يشجعونه على الدخول فذ هذه المؤامرة. ولكن الأمير أبى أن ينصاع إليهم وخاطبهم قائلاً إن الملك حاربنا بجنوده حرباً علنية مكشوفة واستطاع أن يهزمنا في ميدان القتال المكشوف حيث لا دسيسة ولا ائتمار، وأنه لأشد العار أن نحاول أن ننال منه غدراً مثل ما نال منا جهراً.

وبلغت أخبار المؤامرة الفاشلة مسامع الملك، كما لا بد أن تبلغ مسامع الملك كل مؤامرة فاشلة، فألقى القبض على رجال الحزب وأرسل في طلب الأمير ورجاله، ولما وقف الأمير بين يدي الملك خاطبه قائلاً: أما وقد أبيت أن تكون المحارب غير الشريف الذي يحاول أن ينال بالغدر والائتمار ما يفوته في ميدان الحرب والقتال فإننا مطلقو سراحك، بل ومزوجوك ابنتنا ووريثتنا وجاعلوك معها وريثنا على العرش.

والتفت الأمير إلى رجاله فنكسوا أبصارهم وأطرقوا ينظرون إلى الأرض ولم يفت الملك معنى ذلك، فالتفت إليهم وأنشأ يخاطبهم: لقد كنتم تشجعون الأمير على خير الأمور إليكم واسوائه إليه، فأبى إلا أن يكون المحارب الشريف الذي لا يطعن من الخلف ولا يلجأ إلى الغدر مهما استبان سبيل الغدر فهذا جزاؤه وهذا جزاؤكم الذي تحسون الآن من الخزي والعا، ولولا أن الأمير بات أعز الناس علينا وآثرهم عندنا لما طلع

عليكم نهار آخر.

وزوج الملك ابنته للأمير واتحد البلدان تحت راية واحدة. ولما توفي الملك انتهى إلى الأمير ملك البلاد جميعاً. وهذا كان جزاء الاستكبار على الغدر والطعن في الظهور بدل الصدور.

من كان سلاحه الحيلة

قال الغراب للثعلب: أخبرني هل صدف قط أن تغلبت على أحد أعدائك بالقوة دون الحيلة ؟ فأجاب الثعلب: لقيت كلباً مرة فحملت عليه حملة صادقة واستطعت أن أطرحه على الأرض وأشبعه عظاً وركلاً. ولولا حضور صاحبه واضطراري إلى الهرب لما بقي حياً.

وفيما كان الثعلب يقص أخبار قوته وشجاعته على الغراب سمعا نباح كلب آتياً من بعيد. فقال الغراب: ها الكلب آت: أرني صدق ما تزعم واصمد له.

فقال الثعلب: يا أحمق ومن يضمن لي أن يكون هو الكلب الذي غلتبته أولاً ؟ ومضى مهرولاً وهو يقول: كدت واللّه أورط نفسي، وكاد غروري ودعواي يوقعانني في شر حال: لست بعائد لمثلها، إن من كان سلاحه الحيلة يجب ألا يدعي القوة وإلا ورط نفسه فيما لا خلاص له منه.

القاضي اللبق

وقف كلبان حيال جيفة يتلاحظان بالنظر الشزر دون أن نيجرؤ أحدهما على الدنو منها دون الآخر· ومر بها كلب ثالث، فقالا له: اقض بيننا ولك نصيب· فقال: اذكرا حجتكما· فقال أحدهما: أنا شممت رائحتها ألاً· وقال الثاني: أنا رأيتها أولاً وأراد القاضي أن يستأثر بها دونهما، فقال· إن القانون هنا صريح، فالاستنشاق وحده لا يملك، والرؤية وحدها كذلك لا تملك، وإنما يملك وضع اليد، فمن استطاع منكما أن يضع يده عليها دون الآخر فهي له، ولما انتهى القاضي من حكمه هم بها أحدهما، ولكن الآخر كان له بالمرصاد، فأمسك به ودارت معركة حامية الوطيس دامت ساعة طويلة وسالت فيها الدماء غزيرة· وأخيراً خر الكبان على الأرض إذ لم تعد قوائمهما تقوى على حملهما، فقالا للقاضي: أنت ترى أننا بتنا لا نكاد نقوى على الحركة، وليس أحدنا بمستطيع أن يصل إلى الجيفة إذا لم يدعه الآخر· فأحكم للمشاهدة أو للاسترواح، فنحن راضيان بهذا، فأجاب القاضي: إذا رضيتما أنتما فالعدل لا يرضى· أما وقد عجزتما عن وضع اليد عليها فأنا غير عاجز· وأقبل على الجيفة ينهشها وهما يشاهدانه ولا يستطيعان حراكاً· وهكذا استطاع القاضي اللبق أن يستخلص الجيفة لنفسه·

من حمل عدوه معه إلى القبر لم يمت

هاجم الأفعى حرذوناً· ولما لم يجد سبيلاً للفرار عمد إلى عود وقبض عليه بفمه مستعرضا فقالت الأفعى وهي تداوره وتحاوره لتمسك به من ذنبه: ماذا يفيدك هذا الذي تقبض بفيك أيها الأحمق؟ فقال: سترين· ولم يزد·

وأخيراً استطاعت الأفعى أن تمسكه من ذنبه، فقالت وهي تزدرده: والآن ماذا أفادك هذا الذي بين فكيك؟ فعاد الحرذون يقول: سترين نبعد قليل· ولما بلغت الأفعي في ازدرده إلى حيث كان العود توقفت عن الازدراد إذ لم تستطع أن تمضي فيه مع وجود العود بين نكي الحرذون فقالت له وهي تكاد تختنق: يا هذا لقد سرى السم في جسمك، ولم يبق لك أمل في النجاة والحياة، فهلا تركت هذا العود! فأجاب: ألم أقل لك، سترين بعد قليل؟،، فها أنت ذي ترين الآن· فقالت: ولكنك مائت على كل حال، فأجاب: ولكنك مائتة معي، ومن حمل عدوه معه إلى القبر لم يمت·

كنت أوثر كل هجاء وتشهير على أن يطولني فمك القذر

مر الثعلب بدالية العنب ووجد قطوفها دانية، فقال: إذا أكلت عنقوداً واحداً أو اثنين أو ثلاثة لم أدر ما طعم الأخرى، فيجب أن آكل من كل قطف حتى لا يفوتني طعم قطف من القطوف. وهكذا شرع ينهش كل قطف وينال منه قليلاً ثم يتركه فاستطاع أن يذوق كل عنقود ولكن بعد أن أفسدها جميعاً. ولما انتهى اضطجع تحتد الدالية ونظر فوقه إلى القطوف المهشمة، فأراد أن يترضى الدالية فقال: حقاً إنك لداية كريمة تضنين بخيرك على المارة وعابري السبيل. ولو كنت كتلك الدالية القديمة في الكبرياء والترفع والبخل لمررت بك مر المجانب ولم ينلك مني إلا الهجاء والتشهير بدل المدح والثناء اللذين تسمعين الآن. فردت الدالية ودموعها تسيل من كل عنقود: لقد كنت أوثر كل هجاء وتشهير تهجوني وتشهر بي على أن يطولني فمك القذر ويصنع هذا الذي صنع، ولكن ما حيلتي ؟ إن الذي نصبني هنا لم يرفعني عن نفمك وفم أمثالك القذرين.

منطق

أخذ الصياد يطارد النعامة وسار في خط مستقيم على ظهر جواده، وأخذت النعامة، كعادتها إذا طاردها مطارد، تسير في خط متعرج غير قويم. ومرت النعمة وهي تعدو بجمل يرعى. ورأى الجمل عدوها ورأى عدو الصياد وراءها، فقال لها: السير القويم أنجى لك: تنجين إذا سرت في خط مستقيم وتركت هذا العدو السخيف الذي تعدين.

وثقلت على النعامة نصيحة الجمل وأغضبها تأنيبه، فقالت: إذا كان السير القويم أنجى فلم لا تقوم ظهرك المعوج ورقبتك المحنية ؟

ولم يدر الجمل بماذا يرد وأي جواب يجيب، فعاد يرعى ولسان حاله يقول. لا تحاول تقويم ما لا يستقيم.

أما النعامة فقد نفشت ريشها تيهاً وقالت: لقد أفحمت الأحمق، فلم يدر ماذا يقول رباي شيء يجيب عن جوابي المسكت. ولكي تظهر احتقارها لنصيحة الجمل احتقاراً أشد أخذت تزيد في السير المعوج والعدو المتعرج، فلم يلبث الصياد أن أدركها وألقى حبالته على عنقها.

إطالة التسديد

سأل الذ عاد الماء بجعبة لا تحتوي إلا ضىذل المغنم
ما الي أراني لم أنل بعض الذي قد نلته من كل صيد أكرم ؟
لم آل جهداً أن أطيل وأن أفي التسديد جهد الناظرين ومعصم
لكنني قد عدت أحمل جعبتي أخلى كثيراً من صباحي الاشأم
بينا أرى لك جعبة بات ترى كالزق محشواً إلى أقصى الفم
فأجاب ذو الصيد الوفير: لقد حمى ما رمته من جاثم أو حوم
ما قد أطلت مسدداً ومجدداً كم في الأناة طويلها من مندم!

الخاذل أشبه بالقاتل

خرج اثنان للصيد ولقيهما وحش، فثبت له أحدهما وفر الآخر· واستطاع الذي لم يفر أن يتغلب على الوحش ولكن بعد أن أثخنه جراحاً،

ولما عاد الرجل الذي هاجمه الوحش ذهب إلى القاضي يشكو صاحبه· فاستدعى القاضي رفيق المشتكي وسأله: فيم تركت صاحبك يهاجمه الوحش الهائج ولم تعنه عليه؟ فأجاب الرجل: رمت النجاة لنفسي· فقال القاضي: ولكنك خذلت صاحبك، والخاذل أشبه بالقاتل· فأنا لهذا فجازيك جزاء من حاول القتل ولم يقو عليه·

ومنذ حكم القاضي ذلك الحكم الغريب لم يجرؤ أحد علئ خذل صاحبه إذا وقع في مأزق وكان في وسعه أن يعينه وينجيه·

لسن كلهن سواء

زار رجل صاحباً له، فقال المزور لوجه: احضري لنا قليلاً من العنب أو التفاح· فقالت: لم يبق منهما شيء فقد نفذا منذ الصباح فقال احضري بطيخاً إذاً فقالت: أنت تعلم أن البطيخة التي لدينا فاسدة، فهل تحب أن أقدم بطيخاً فاسداً ؟ فعاد يقول: إذاً احضري شيئاً من الكمثرى· فأجابت: الموجود قليل جداً لا يقدم·

واضطر الرجل أن يسكت في آخر الأمر وهو يكاد يذوب خجلاً أمام صاحبه، وأخيراً أخرج أنة مكومة ثم قال: لعن اللّه النساء! إنهن لا يتجملن ولا يسترن أزواجهن في حاجة أو ضعف أو خلة· فرد عليه صاحبه قائلاً: لا تعجل فلسن كلهن سواء، وسأريك أنهن لسن سواء· هلم معي·

ومضى الرجلان إلى بيت الآخر، فأسرع هذا يقول لزوجته: أحضري لنا شيئاً من العنب والتفاح· فأجابت حباً وكرامة· وغابت قليلاً وعادت بصحفة فيها ثلاث كمثريات، ثم نظرت في وجه زوجها نظرة خاصة لم يخطئ معناها، ووضعت الصحفة أمامهما وقالت لزوجها: هل من حاجة أخرى ؟ فأجاب: كلا بورك فيك·

ولما انصرفت قال الرجل لصاحبه: أرأيت ؟ فأجاب هذا : حقاً إنهن لسن سواء· فمنهن الدرة الثمينة كهذه، ومنهن الأفعى اللعينة كتلك·

بين رجل وديك

ـــ باللّه عليك يا ديكنا العزيز أرني بيضتك متى وضعتها، فإنني جد مشوق لرؤيتها.

ـــ وأنت باللّه عليك أرني طفلك متى وضعته، فأنا كذلك جد مشوق لرؤيته.

ـــ نحن لا نلد الأطفال يا أحمق، وإنما تلد النساء.

ـــ ونحن لا نبيض أيها الأبله، وإنما تبيض إناثنا.

ـــ ولكن الشائع بين الناس أنكم تبيضون معاشر الديكة، وإن تكن مرة واحدة في العمر.

ـــ ونحن يشيع بيننا أنكم تحبلون وتلدون كإناثكم، فماذا تقول ؟

ولم يجد الرجل بداً من الانصراف، فانصرف وهو يقول: قبحك اللّ من ديك كم تغالط في الحقائق!

حتى الجعلان لا ترضى عن أصلها بديلاً

بعد أن ألفى الملائكة تقاريرهم المفصلة المتواترة تبين للباري أن خلة الغرور هي شر ما يؤجج البغضاء في الصدور ويثير الأحقاد ف النفوس ويؤكد الكراهية بين الأحياء جميعاً· فكل صنف من أصناف الحيوان حسب هذه التقارير يتهيأ له أنه أفضل الأحياء وأحقها بالبقاء وأجدرها بالسيادة، ومن هنا تقع الحروب ويشتد النزاع وتبلغ المصيبة وتعم البلوى

وفكر الباري ماذا يصنع لعلاج هذا الحال، فنقال: لو استطعنا أن نستأصل حس الغرور من هذه الاحياء والاعتقاد الجازم بالفضل على الآخرين لاستأصلنا أثبت أصول الشر وأعرق جذور النزاع والصراع بين أصناف الانسان والحيوان·

وبعد تفكير عميق رأى الباري أن خير ما يصنع لاستئصال شأفة الغرور من الاحياء هو أن يستدعيها ويحاول إخضاعها إلى أصل واحد ترجع إليه وتنتسب له·

واستدعى اللّه أولا جنس الانسان وأخذ يسأل كل صنف من أصنافه على حدة هل يعتقد أنه صافي العنصر خالص الدم ولا تدور في جسمه قطرة من دم عنصر آخر أم هو مزيج من عناصر عديدة، وهل هو راض عن عنصره أم غير راض فيود أن يستبدل به عنصراً آخر·

وسأل الباري أول من سأل أهل الشمال من أهل أوروبا ثم أهل الوسط ثم سكان الجزائر ثم سكان الشرق من أوروبا، فوجد هذه الشعوب جميعاً تصر على الانتساب إلى أصولها المسماة إصراراً عجيباً لا يتخلله ضعف ولا استثناء، ووجدها لا ترضى بأي حال أن تستبدل بأصولها أي أص من الأصول الأخرى مهما رغبها بذلك وحببه إليها· فقال الباري: قوم بلغوا مبلغاً عالياً من الحضارة مساهمة متعادلة أو قريبة من التعادل في حمل أعباء العمران، الغرور وأن يحسب كل قوم منهم أنهم خير الشعوب وأكثرها أثراً في العمران، فلا يرون ما يوجب تخليهم عن والانضواء إلى عنصريات أخرى·

واستدعى الباري بعد هؤلاء أهل الشرق من صينيين ويابانيين وهنود وفرس وعرب وأتراك وغيرهم وسألهم السؤال نفسه الذي سأل أهل أوروبا، فلم يجدهم يختلفون في الإصرار على تفضيل أنسابهم واباء الانتساب إلى غيرها عن شعوب اوروبا، فقال: شعوب ذات أصول عريقة في المدينة ولا ترى فضلاً لغيرها عليها إلا فضل الصدفة والزمن اللذين آخراها وفدعا غيرها في سبيل الحضارة والمدنية·

وقال الباري لعل أهل إفريقيا وسكان استراليا وجزائر المحيط يرضون أن يستبدلوا بأصولهم أصولاً أخرى، فيجرؤ غيرهم على اللحاق بهم ممن يرغب في التخلي عن أصله ولكن تمنعه قوة العادة وضغط الرأي العام، وهكذا نقلل من تعدد الأصول ونقرب الناس بعضهم إلى بعض ونقلل من أسباب الشحناء والعداء بين الناس.

واستدعى الباري هذه الشعوب المذكورة وقال لهم: انتم شعوب متخلفة في سلم المدنية والعمران وخير لكم أن تتحولوا عن الانتماء إلى أصولكم المسماة وتنتموا إلى أصول ضرب أصحابها بسهم وافر في الحضارة والمدنية، وهكذا تتخلصون دفعة واحدة من تهمة التخلف والانحطاط.

وارتفعت أصوات هذه الشعوب جميعاً بالاحتجاج وقالت: عفواً يا سيد الأكوان، نحن لسنا بالشعوب المنحطة كما ينعتنا غيرنا، فنحن لنا حضارتنا ولنا ديننا ولنا سحرنا ولنا أشياء كثيرة يعجز أرقى شعوب الغرب والشرق عن الإتيان بمثلها. ثم يجب ألا يغرب عن بال أحد أننا أنقى الشعوب دماً وأشد اعناصر محافظة على أصولها. فنحن وحدنا استطعنا أن نحتفظ بأصولنا نقية خالصة في جزائرنا النائية واحراجنا العاصية وعزلتنا المديدة بينما لم يستطع شعب من الشعوب الأخرى أن يحفظ أصله من الاختلاط والامتزاج بأصول أخرى عديدة وأصبح من العبث الذي ليس وراءه عبث ادعاء هذه الشعوب صفاء الدم وخلوص العنصر. فإذا أردت يا صاحب الجلال أن تقلل الأصول وتوحد العناصر فانصح لهذه الشعوب الأخرى بالرجوع في أنسابها إلينا والانضواء تحت لوائنا.

وأيقن الباري أنه ليس بواجد شعباً واحداً يرضى بأن يقر بفضل شعب آخر عليه، فيخرج عن الأصل الذي ينتمي إليه وينتمي إلى أصل آخر، وقال: هذا مبلغ عصبية الانسان وتناهي غروره، فلننظر في عالم الحيوان لنرى هل ظاهرة الغرور والعصبية هذه خاصة بالإنسان وحده أم هي من إرث الحياة العام الذي يشمل الانسان والحيوان.

واستدعى اللّه الحيوانات العليا كالقردة والفيلة والأسود والنمورة وما إليها وسألها عن أصولها وهل ترغب في التخلي عن أنسابها والانتساب إلى أصول وأنساب أخرى. فأجابت القردة وأجابت الفيلة والنمورة والأسود والفهود بأنها حتماً أرقى الحيوان وأنها لا ترضى من أصولها بديلاً.

ورأى الباري أن الاختبار سيطول إذا سأل كل صنف من أصناف الحيوان هل يحب التخلي عن أصله والانتماء إلى أصل آخر، وأراد الاختصار فقال: ندعو أحقر الأحياء ونسأله في أصله وفصله وهي يجب تغييره والالتحاق بأحد الأصول الأخرى، فإذا وجدناه لا يختلف عن بقية الأحياء، في تفضيل أصولها علمنا أن ظاهرة الغرور والعصبية للجنس ظاهرة عامة ولا علاج لها إلا بزوال هذه الأجناس جميعاً أو خلقها خلقاً جديداً على أسس ومباديء جديدة

فشل القوالب

شاهد كلب رجلاً يضرب إبناً له ويشتمه شتماً شنيعاً ويقول له: إنك لن تصطلح ولنتتوبإلى العقل والرشد ولن تدع هذه السيرة العوجاء أيها الأحمق المأفون كما لن يستقيم وينسجم ذنب هذا الكلب الملتف الملتوي الذي ترى أمامك·

وحزت كلمة الرجل في قلب الكلب فمضى إلى صاحبه باكياً وقال له وهو يكاد يشرق بدموعه: أرجوك يا صاحبي، أرجوك غاية الرجاء أن تخلصني من هذا الذنب المعوج، فقد ضقت به ذرعاً وعدت لا أطيق أن أراه في هذا الالتفاف والاعوجاج الذي ترى حتى صار مضرب المثل في سوء الاعوجاج والالتواء وكراهة الاستقامة والاستواء: إني أريد أن أحمد ذنباً لا أمت فيه ولا اعوجاج كغير من سائر الحيوان، فالهرة مثلاً والخيل والجمال والبقر والذئاب حتى الثعالب تحمل أذناباً مستقيمة مطردة لا التفاف فيها ولا التواء·

فضحك غالرجل بملء فيه وقال: وماذ أستطيع أن أصنع بذنبك يا هذا ؟ أو تحسب أنني مستطيع تغير خلقة الباري التي خلق وثنى بدل الذي خلق وسوى في أذناب غيرك منن ذوات الذيول والأذناب ؟

فأجاب الكلب : لا عليك في هذا وكل ما أبتغيه هو أن تصنع لذنبي قالباً مستقيماً وتشده عليه، وأرجو أن لا يمضي شهران أو نحوهما حتى ترى لي ذنباً مستقيماً استقامة العصا وأشد فقال· الرجل: سنرى·· وبادر إلى صنع قالب من الخشب وشده شداً محكماً على ذنب الكلب·

ومضى شهران أقبل الكلب في نهايتهما على صاحبه وبصيص الأمل القوي يشع من عينيه، ورجاه أن يفك القالب عن ذنبه ليرى ذنباً لا أمت فيه ولا اعوجاج ولا تكوير· وفك الرجل القالب، ولكن ما كاد ذنب الكلب يتخلص منه حتى شال إلى أعلى ثم انحدر طرفه ملتفاً سيرته الأولى قبل ستين يوماً·

ونظر الكلب إلى ذنبه ورأى آماله تنهار دفعة واحدة، فانهالت دموعه على وجنتيه وأخذ يشتم الأقدار التي تأبى إلا هذا الذنب المعوج الذي يرفض أن يستقيم ولو بقي مشدوداً في قالب ستين يوماً صحاحاً·

ونظر الرجل إلى كلبه نظرة عطف وإشفاق وقال: لا تأس ولا يأخذك الهم يا كلبنا العزيز! فلست أنت صانع هذا الاعوجاج كما أم يصنع كثير من الأحياء ما فيه من

اعوجاج الخلقة أو العقل أو الخلق، فآباؤك وأجدادك إلى أول فصيلة من فصائل الكلاب كانت تحمل مثل هذا الذنب الذي تحمل، ولن تستطيع ولن تستطيع القوالب تغيير ما تواتر مجيئه على نسق واحد ألوف السنين والأجيال، ثم لتحمدن ربك أشد الحمد وأخلصه ان جاء الاعوجاج في ذنبك ولم يحل في رأسك أو قلبك كما في رؤوس وقلوب كثير من الحيوان غيرك وفمي طليعة الإنسان ـــ هذا المدعي الذي جعل من أذنابكم مثلاً مضروباً في شدة الالتواء وعدم الاستواء.

أقبل على عملك ودع الضراعة والدعاء السخيف

نصب عدداً من تماثيل الشفعاء والقديسين في منزله وأخذ يضرع إليها ضراعة لا تنقطع في أن توفقه في أعماله وتجنبه المزالق والهفوات. ولكن بالرغم من هذه التماثيل المنصوبة والعبادة الدائمة والضراعة الشديدة أخذت أمور الرجل تسوء وحاله ينتكس، فحار في الأمر وأخذ يتساءل ما الذي قصر في عبادة وفرط في خشوع وتوانى في ذلة اوركوع حتى يتخلى عنه هؤلاء الشفعاء والقديسون فتسوء حاله بدل صلاحها ويحل الاضطراب في مساعيه بدل الاتساق والاطراد. ولما طال تساؤله واستحكمت حيرته تحركت التماثيل من أماكنها وأقبلت عليه وفي عيونها جميعاً كل معاني الغيظ والحنق، فارتاع الرجل أيما ارتياع وأخذ يصرخ ويتوسل ويستنجد ويعد بأن يزداد حرارة في العبادة وشدة في الضراعة وإقبالاً على الصوم وحرق البخور وإيفاء النذور. فأجابته التماثيل من كل جهة: دع هذا الهراء أيها الجثمة الخوار. إنك أحببت أن تتخلص من جهد العمل وعناء الكد بالتسابيح والأدعية وحرق البخور وتقديم النذور، وهذا لن نسمح به ولن يكون، فارجعه إلى عملك وأقبل عليه بعض إقبالك السخيف على الدعاء والكوع، ثم انقلنا إلى حيث لا يقبل علينا ويتوسل إلينا إلا الذين خرجوا خروجاً نهائياً من معركة الحياة ونفضوا أيديهم من كل سعي وتنحوا عن كل غاية إلا غاية الموت والفناء

خبرهم ديناً

اجتمع يهودي ومسيحي ومسلم وهندوكي وأخذوا يتجادلون في أي أديانهم أفضل وأي رسالات أنبيائهم أنبل· وامتد الجدل بينهم وتشعبت مسالكه وتشابكت طرقه إلى أبعد حدود التشعب والاشتباك· ومر فيلسوف معروف بهؤلاء المتجادلين وهم على تلك الحال، فقالوا: نحم هذا الفيلسوف، فمن حكم له كان دينه أفضل الأديان· وعرضوا على الفيلسوف رغبتهم، فقال: اسمعوني ما عندكم· فشرعوا يتجادلون ويتجاورن من جديد والفيلسوف مصغ لما يتجادلون ويتحاورون حتى شعر أنهم أخذوا يدرورن ويعيدون ما قالوه في أول جدهم، فقال: حسبي هذا· والتفت إلى رجل خامس كان جالساً معهم ولكنه لم يشترك معهم في الجدل ولم يقل كلمة واحدة، وقال: وأنت ماذا عندك؟ فإنني لم أسمعك تقول كلمة واحدة، فماذا تقول في أمر دينك؟ فطأطأ الرجل رأسه وقال في صوت يشيع فيه الخجل والاستحياء: معذرة أيها الفيلسوف فأنا وثني لا أدين بدين أحد هؤلاء الأفاضل، وقد قادتني الصدفة إلى مجلسهم هذا، فاسمحو الي بالانصراف·

وهنا التفت الفيلسوف إلى الجماعة وقال: هذا خيركم ديناً وإن لم يكن دينه أفضل الأديان· فبهتت الجماعة لهذا الحكم الغريب· ولما زال أثر الدهشة بعض الزوال من نفوس المتجادين صرخوا قائلين: هذه دعوى غريبة تحتاج إلى الحجة الدامغة والبرهان المبين· فالرجل باعترافه وثني لا يدين بدين، وهو لم يقل كلمة واحدة في الدفاع عن وثنيته، فكيف تحكم بأنه أفضلنا ديناً؟ فعاد الفيلسوف يقول: أجل هو خيركم دينا وإن لم يكن له دين يحسبه أفضل الأديان! وإنني لأعجب من أمركم أشد العجب: تتجادلون في أبعد البعيد ويعييكم ويعجزكم أقرب القريب:

وانصرف الفيلسوف والجماعة تحسبه يهدي أو يتكلم بالألغاز

كي يسبق المتخلف

قالت أم الخيار لأبي الخيار: لقد كاد هذا البعير يقتلني بعنف حركته وشدة اضطرابه وسرعة سيره، فهلا اخترت لي جملاً آخر أقل عنفاً وأهدأ سيراً.

فأجاب أبو الخيار: هيناً سألت أم الخيار، سآتيك بخير أبا عرنا سيراً.

وغاب أبو الخيار قليلاً ثم عاد يقود حملا برمة وأناخه واركب أم الخيار وقال:

ـــ دونك ، هذا جمل سوف لا يدعك تحسين أنت على ظهره أم على الأرض.

* * *

ـــ أحسنت الاختيار لي يا أبا الخيار، فالبعير كما وصفت، وإني عليه راكبة كفاعدة، ولكن ألا ترى أنه غدا في آخر الجمال ؟

ـــ وهل في هذا بأس، أم الخيار ؟

ـــ أتقبل أن تجي مطية أم الخيار في آخر الركب ؟

ـــ وماذا تريدين؟

ـــ أريد أن يكون جملي أولاً

ـــ تسألني أم الخيار جملاً: يمشي وتيداً ويكون أولاً!!

ـــ هذا غير متعذر لو انصفت أبا الخيار

ـــ كيف ؟ إن للنساء لعقلاً وفهماً : أريني ماذا أصنع.

ـــ تقيد بقية الابل ويبقى جملي طليقاً فيجيء أولاً

ـــ بل خير من هذا أن نعقرها، فلا تسير أبداً.

ـــ أفعل ما تراه أخف مؤونة، فأنا لا أريد أن أثقل عليك.

ـــ نعم لا تثقلين يا هذه، ولكن تقتلينبجماليونيحطمتمثالهويرتد إليهعقله

وهذا بجماليون آخر، وهو، كما سنرى غير البجاملة الآخرين ويختلف عنهم أشد الاختلاف في المقدمات والنتائج، فهو غير بجماليون اليوناني وخلفائه الانجليزي والافرنسي والمصري ومن سبقهم أو لحقهم من شيعة البجاملة الذين لم يصل إلينا

علمهم.

وإذاً نحت بجماليون تمثاله البديع أو صبه ـــ فهذا لا عنينا كثيراً ـــ نحته أو صبه من المرمر أو الهجر أو الخزف أو الطين، نخرج، كما لا بد أن يخرج، آية في الروعة وصدق الفن والجمال! ووقع ما ليس من وقوعه بد حسب التقليد البجمالي، فاحب صاحبنا بجماليون تمثاله الرخامي أو الطيني حباً ضعضع حسه وشعوره وزلزل اتزانه وأفقده عقله، فأقبل عليه يتودد إليه ويتوجد به ويدعوه يرجوه أحر الدعاء والرجحاء أن يرق لحاله ويرفق بقلبه فيقبل أن يتحرك وتدب فيه الحياة ويبتسم وينطق ويبادله حباً بحب وهياماً بهيام كما فعل أسلافه الأولون مع أسلافه الأولين. ولكن بالرغم من كل ما أظهر بجماليون من الوجد والحرقة وبالرغم من كل ما ما أن وبكى وحن وشكى وركع وصلى لم تحل الاعجوبة هذه المرة ولم تسرع الآلهة الكريمة العطوف إلى نجدة المثال البائس لتقوم له بهذه المهمة الجنسية المقدسة فتحول الرخام البارد أو الطين الخامد إلى آية حية ناطقة من آيات الحسن البشري والكمال النسوي تهرع إليه من ساعتها وتلقي بنفسها بين ذراعيه المبسوطتين وتغلق فمه وستقرئ وجهه وعينيه يقبل سريعة مداركه ملتهبة يكاد لهيبها يحرق شفتيه ويشعل وجنيته.

وازداد الشوق وبرح الجوى بصاحبنا المثال المفتون، فاشتد بكاؤه وعلا نحيبه وامتد توسله واستعطافه ثم شرع يرقص رقصاً مضطرباً ويدور حول التمثال هاذياً مخلطاً أشد الهذيان والتخليط.

وسمعت الزوجة هذه الجلبة واللغط الغريبين في محترف زوجها، فأقبلت ترى ماذا أحدث هذه الجلبة وهذا اللغط.

وأطلت الزوجة من باب المحترف، فرأت زوجها، على تلك الحال التي وصفنا، فاستولى عليها اليأس الشديد والذعر، وصرخت صرخة عالية، وصكت وجهها وهمت بالندب والعويل. إلا أن زوجها لما رآها أسرع إلى مطرقة قريبة وقال بلهجة جنونية: ماذا جاء بك رلى هنا أيتها الخنزيرة؟ أخرجي، وإلا حطمت رأسك الأجوف بهذه المطرقة. فأسرعت الزوجة إلى الهرب والرعب والذعر الشديد يكادان نيجمدان الدم في عروقها،

ولما رأى بجماليون زوجته تستجيب لتهديده هذه الاستجابة السريعة قال: إذاً يستطيع التهديد والوعيد أن ينالا من المرأة مالا تناله المحاسنة وتستطيع المطرقة أن تبلغ منها ما لا تبلغه الألفاظ المعسولة والقول الرفيق: لقد استطاع مرأى المطرقة أن يطوع هذه الزوجة الفضولية المتطفلة، فماذا علي لو جربتها مع هذا التمثال الأخرس البليد؟

وأقبل المثال على تمثاله وأهوى بالمطرقة على رأسه يستنطقه ويقول على طريقة مخائيل انجلو: انطق، انطق، انطق أيها التمثال الحرون !!

وهكذا انهار التمثال تحت ضربات المطرقة القوية· ولما رآه المثال كومة من الحجارة أو قطع الطين انطلقت منه ضحكة ساخرة قوية خرج معها جنونه وثاب إليه عقله·

منطق الحمقى

اختلفت الرياح الأربع أيها أقوى وأحبت أن تمتحن قوتها في أحد المارة فالتي تستطيع أن تطرحه على الأرض أولاً هي أواهن جميعاً.

وأخذت الرياح تهب بشدة وعنف من الجهات الأربع وأخذ الرجل يستنةد ويستغيث ويطلب إلى الرياح أن يكففن عن الهبوب، فقلن له: ما شأنك وهبوبنا وعدمه؟ أننا نود أن نعلم أينا أقوى وأقدر.

وأدرك الرجل بين أي أربعة من الحمقى أوقعه سوء طالعه، وأدرك أنه مائت حتماً إذا أصر على الوقوف والمقاومة، فأسرع وانطرح في إحدى الجهات وكفت الرياح عن الهبوب، فقد ثبتت القدرةالفائقة لاحداهن

الأفعى المظلومة

قال للأفعى وهو في حشرجة النزع

ـــ ماذا أفدت من قتلي أيتها الأفعى اللعينة ؟ أكنت تظنين في نفسك القدرة على ازدرادي متى قتلتني ؟ أم هو حب الأذى لأجل الأذى وحسب؟

ـــ لقد كنت مدافعة، ومن دافع عن نفسه فما ظلم.

ـــ تقولين انك منت مدافعة، ولكن الدفاع يحتاج إلى اعتداء من جانب آخر، فهل اعتدنيت عليك لتصنعي صنعك بي؟

ـــ أجل، فقد وطئتني وأنا في الحذاء.

ـــ ولكن من أدراني أنك كنت في الحذاء أيتها المجرمة الخبية؟ ثم ما الذي أتى بك إلى الحذاء غير حب الأذى والازماع على الشر مع وجود الوسائل لتبريره.

لا يهمه إلا الريح ولو من جيفة

شاهد البستاني غراس الأشجار التي غرسها في العام الفائت ورآها جميعاً نمت نمواً معتدلاً إلا واحدة نمت نمواً زائداً، فقال: ألا قبحتن أيتها الغراس الكسالى ما أبطأ نموكن لم لم تنمون كما نمت هذه؟ ألستن جميعاً في تربة واحدة وتتلن سقياً واحدة وهواء واحداً وشمساً واحدة؟ فأجبن: لا تعجل يا صاحبنا باللوم وأبحث تحت التربة الظاهرة يبد لك سبب نموها نمواً زائداً.

وبحث البستاني تحت الغرسة، فوجد جيفة منحلة، فقال: وماذا يعنين هذا؟ إنه لا يهمني إلا إسراعكن في النمو فأجابت الغراس: إذا كان هذا رأيك فنحن لا يهمنا أيضاً أرضيت أم سخطت.

الأصل الرغبة

قال رجل لصاحبه: أراك لا تكاد تخطئ في عملك مع إسراعك فيه، أما أنا فأكاد لا أصيب في عملي برغم أناتي وبطني وتحاشي الاسراع فيه، فما علة ذلك؟ فأجاب الآخر: أنا أسرع في عملي وأصيب لأني أحبه، فقلبي فيه وعيني عليه وهما اللذان يجنباننني الخطأ ويعصمانني من المراجعة الفاشلة والابطاء· فاسراعي هنا نتيجة لحبي عملي وإقبالي عليه بقلبي ويدي وجميع جوارحي· أما أنت فقلبك ليس في عملك وعينك لا ترعاه، فتكثر الأخطاء وتزداد المراجعة وتنتهي منهما إلى البطء الذي وصف·

منطق ومنطق

قالت النزور للنثور

ـــ أنا أنجب وأنت أكثر أولاداً

ـــ هذه دعوى تحتاج إلى دليل، فأين دليك؟

ـــ ألم يبلغك قول الشاعر :

بغاث الطير أكثرها فراخاً وأم الصقر مقلات نزور؟

فأنا أم الصفور، كما ترين، وأنت أم البغاث

القراص والناس

رأى أباه يأخذ نبات القراص في غير حذر ولا أناة ولا تلطف في الأخذ وهو مع ذلك لا يحس لدغه ولا يشكو من ابره· أما هو فلم يكن يمد يده حتى يبادر القراص بابره العديدة وبلدغة أشد اللدع وألمه· فالتفت إلى أبيه وقال: أراك يا أبت لا تتلطف في أخذ القراص واجتناثه ثم أنت لا تشكو من لدغه، وأنا لا أكاد أمد يدي إليه حتى يشوبها بابره فأعيدها فارغة إلا من هذه الأبر، فما سر ذلك، أترقى القراص قلا يؤذيكك أم بلغت يداك من الصلابة والخشونة بحيث لا تنفذ فيهما إبره ؟ فضحك الأب وقال: القراص يا بني كالناس، لا يؤخذ بالمهاونة واللين والمياسرة، إنما يؤخذ بالشدة والعنف والمعاسرة، فإذا صنعت كالذي أصنع لم ينلك شره ولم تؤذك ابره·

وفعل الصبي كفعل أبيه، فوجد القراص حقاً لا يؤذي من يباشره بجرأة وفي غير حذر·

(تفسير هذه الظاهرة في رأينا هو أن السرعة والشدة في أخذ القراص لا تدعان لأبره مهلة لتغرس في اليدين وتنفذ فيهما، إنما تطويها اليد القوية المسرعة طياً وتحتها فلا تخز ولا تلدغ)·

لا نجدة ولا خلاص رلا للحجر

قال حمار لصاحبه :

ـــ سأشكوك إلى جماعة الرفق بالحيوان إذا لم تعدل عن ظلمي وظللت تضربني أوجع الضرب وتبهضني بأثقل الأحمال وأشق الأعمال·

ـــ وما هي جماعة الرفق بالحيوان يا هذا ؟

ـــ هي جماة من فضلاء الناس الأخيار تعاقدت وتعاهدت على أن تنجد الضعفاء وتنتصر للمظلومين وتنتصف لهم من ظالميهم·

ـــ إذاً سأمضي إليها أنا الآخر، فأنت تعلم حالي مع زوجتي·

ـــ إن بني الإنسان ليسوا ممن يقع في إختصاص هذه الجماعة إلا إذا كانوا مثلنا معاشر الحمير والبغال والجمال والبقر في حسن الطاعة والإخلاص وطأطأة الرؤوس، فإذا كنت في مثل هذه الصفات والسمات فامض إليها، ورلا فلا نجدة ولا خلاص

العنقاء ورحلة البقاء

قال ذكر العنقاء لزوجة :

ـــ هيا يا زوجتي العزيزة، فلم يبق إلى نهاية عمري سوى بضعة شهور وإلى نهاية عمرك سوى عام وبعض العام، وإذا لم نسرع ونبادر إلى الرحلة فسيطوينا الردى ونخسر الخلود.

ـــ لست بطائرة ولا مرتحلة ولو كان أجلي غعداً، فقد مللت الطيران وكرهت الرحلة.

ـــ وي! لماذا؟ هل كرهت الحياة ومللت البقاء؟

ـــ أجل، فهذه هي الرحلة العاشرة التي نرحل، ومن يعش ألف حول لا أبا لك يسأم.

ـــ ماذا أصابك أيتها الزوجة الحمقاء؟ هل جننت؟

ـــ لا لم أجن، إنما مللت هذه الحياة المتواترة الطويلة وبت أكره البقاء وأشتهي الفناء، وخير لك ولي أن نكف عن هذا البقاء الممل الطويل وندع هذه الرحلة المضنية إلى الشمس نرحلها كل مئة عام.

ـ إذاً أنت لا تودين الارتحال.

ـــ لا، إنني هنا باقية

وهكذا اضطر ذكر العنقاء أن يقوم بالرحلة الشمسية وحده ليجدد شبابه ويصل ما يوشك أن ينقطع من عمره.

أما الزوجة وعشيقها فقد رأيا خطتهما التي اعداها للخلاص من الزوج تنهار سريعاً، فقد كانا يؤملان أن تصرف الزوجة زوجها عن الرحلة فيدركه الفناء ويسرع العشيقان وحدهما إلى الشمس لينالا نعمة الخلود وينعما بحبهما بلا حسيب ولا رقيب. لم يبق بد إذا بعد ارتحال الزوج من اتخاذ ملجأ ناء بعد عودتهما من رحلة الشمس ليغيبا عن عين الزوج الغيور، فلا يكشف خيانة الزوجة ولا غدر الصديق ولا ينزل فيهما أشد العقاب ويذيقهما أمر العذاب.

وقامت الزوجة وعشيقها بالرحلة: ولما كان العشيق جاهلاً بالطريق ولم يقم قط برحلة إلى الشمس فقد تولت الزوجة أمرها. ولكن الزوجة لم تكن أعرف بالطريق من

عشيقها، ذلك أنها في كل رحلة سابقة لم تكن تلقي بالاً إلى السبيل الذي يسلكه زوجها لينجو من أخطار الأجرام السماوية المبثوثة في الطريق بينه وبين الشمس، إنما كانت تتلهى بالنظر إلى النجوم اللامعة والأضواء الباهرة والأشكال الساحرة التي تكونها النجوم من تقاربها وتدانيها على نسق منظوم، فبقيت جاهلة بمعالم الطريق الهادية وصواه المرشدة. ولكنها على كل حال أبت أن تقر بالعجز ومضت في الرحلة.

ولم يطل الوقت بالعاشقين ليدركا أنهما ضلا سواء السبي. وبعد التفافات ودورات عديدة وجدا نفسيهما لا يزالان قريبين من فلك الأرض. واستولت عليهما الحيرة ودب إلى قلبيهما اليأس ولم يدريا ماذا يصنعان. وأخيراً قالت الزوجة: لا كانت الرحلة ولا كان الخلود: هيا نذهب إلى القمر فنرى ما فيه من عجائب وغرائب كان زوجي يصدني بقوة عن رؤيتها، فإذا طاب لنا المقام هناك أقمنا وإلا رجعنا إلى أرضنا.

وانطلق العاشقان نحو فلك القمر، ولما دخلا فيه شعر أن قيادهما خرج عن طوق أجنحتهما وأصبحا يتجهان بسرعة نحو مركز القمر. هنا ذكرت الزوجة لماذا كان زوجها يزجرها بشدة في كل رحلة سابقة حينما كانت ترجوه وتتوسل إليه أن يعرجا على القمر لترى ما فيه من عجائب وعرائب يصفها الناس ويفتنون في وصفها.

وبلغ العاشقان سطح القمر فلطمهما لطمة لم تدع عضواً فيهما على عضو.

أكثر الناس مضايقة أقلهم صبراً عليها

حل رجل ضيف على آخر وبقي في ضيافته أياماً معززاً مكرماً. وكأن حسن الضيافة التي لقيها عند مضيفه أغرته به، فصار لا يدع فرصة تفوته ليستمتع بهذه الرعاية، العناية اللتين كان يجدهما في بيته.

وبرم الرجل أخيراً بصاحبه وبزياراته المتواترة الطويلة وشكا أمره إلى زوجته، فقالت ماذا علينا لو أظهرنا له الجفوة وقلة الاكتراث؟ فقد يثوب الرجل إلى رشده ويكف عن الزيارة أو يقلل أمدها وتواليها على الأقل. فأجاب الرجل: سنلجأ إلى هذا التدبير إذا فشل التدابير الآخر الذي أعددت. فقالت الزوجة: وماذا أعددت؟ فأجاب: أعددت هذه، وأراها لحية مستعارة. فقالت الزوجة ضاحكة: وماذا تود أن تصنع بها؟ ألعلك عازم على تضليل الرجل فلا يستطيع معرفتك؟ أم تراك أعددت لحية أخرى ألبسها أنا أيضاً فنخفي علي الرجل ولا يهتدي إلينا؟ فأجاب الرجل: إنني غائب أياماً وسنرى ماذا يكون. فقالت الزوجة: وهل تدعني وحدي لأشقى بضيافة صاحبة الثقيلة ومضايقته وحدي إذا عن له أن يشرفنا كعادته بزيارة مفاجئة وأنت غائب؟ فأجاب: لا تخشي سوءاً، فلن يزورك وأنا غائب.

ولم تدرك زوجته مغزى كلامه الأخير، فكفت عن السؤال وصمتت، أما هو فقد ودع وخرج منصرفاً.

مضى يومان وعاد الرجل، فتلقته زوجته مرحبة وقالت: الحمد للّه، فإ صاحبك لم يزرنا في غيبتك. فأجابها: ولن يزورنا بعد: فسرت رعشة قوية في جسم الزوجة إذ خشيت أن يكون نزوجها اغتال الرجل لينج من زوراته الثقيلة المتواترة، لا سيما أنها ذكرت اللحية المستعارة التي أخبرها أنه أعدها ليتخلص بها من ضيفهما الثقيل. ولما ثابت إلى رشدها قليلاً أقبلت على زوجها وقالت هامسةك أخبرني ماذا صنعت بالرجل، ألعلك قتلته لتخلصنا منه؟ وهل نتحسب أن هذه خير سبل الخلاص منه وأنه لم يكن لك مندوحة عنها؟ فأجاب الزوج ضاحكاً: إنني قتلته، لا شك في ذلك، وإن يكن لا يزال حياً يرزق. فقالت المرأة وفي وجهها دلائل الحيرة الشديدة تخالطها الخشية والإشفاق إن يكون ما سبق إلى ظنها صحيحاً: لم أعهدك تحدثني بالألغاز والمعميات. فأنت تقول أنك قتلت الرجل ثم هو لا يزال حياً يرزق، فكيف يكون ذلك؟ أخولطت، أم لم أعد أفهم؟ فأجاب الرجل: إسمعي: ذهبت متخفياً باللحية المستعارة ووسائل أخرى ونزلت ضيفاً على صاحبنا. وقد استطاع أن يقبلني قبولاً لا بأس به في اليوم الأول، ولكنه لما علم في اليوم الثاني أنني مقيم أياماً قال لي: أخشى أن لا أستطيع قبولك يا صاحبي

يوماً آخر، فإن لي صديقاً سيزعجه تأخري عن زيارته، فامض راشداً. وعندها أزلت اللحية المستعارة وقلت له: انظر جيداً. فلما عرفني صاح متكلفاً الفرح والغبطة وأخذ يرحب ويعتذر بقوله إنهلميعرفني وأنه لو عرفني من أول الأمر لكان له معي شأن آخر، فقلت يا هذا: لقد قبلناك أولى زيارتك لنا ونحن لا نعرفك ثم لم ننفك نرحب بك ونظهر لك منتهى الود والبشاشة في كل زيارة من زياراتك الأخرى المتواترة. فهلا صنعت بعض الذي صنعنا لك ولو مرة واحدة؟ ولم يجد الرجل جواباً، فصمت وهو يكاد يسوخ في الأرض من الخزي والخجل. ولما بات الموقف لا يطاق قمت منصرفاً، فلما صرت عند الباب ناداني وقال: وهذه اللحية اللعينة، ألا تأخذها معك؟ فأجبت: إنني أتركها ذكرى طيبة لهذه الضيافة الكريمة وسعة الصدر وحسن اللقاء التي كنت تحدثني حديثاً لا ينقطع انها بعض ما تؤنس به أضيافك وتغمرهم به، ثم لتستفيد منها إذا أحببت يوماً أن تجيئنا متنكراً.

وأخيراً قالت الزوجة هب أن الرجل لم يظهر الذي أظهر من خسة ودناءة وإكرام وفادتك وقام على رعايتك خير قيام، فماذا كنت صانعاً في هذا الحال؟ فأجاب الزوج: قدرت هذا التقدير لم يفتني الاحتمال الذي يكرت، وقلت: إذا لم أجد الرجل عند سوء ظني به ولم يكن أنانياً جافي الحس كما بدا لنا من سلوكه معنا فإنني سأبقى في ضيافته أسبوعاً وأسبوعاً آخر وثالثاً إذا أحوج الأمر حتى أشعر أنني أبرمته وأزعجته إلى الحد الذي يلعن معه التطفيل والمتطفلين أجمع. وعندها يغلب أن يتنبه إلى سلوكه معنا ويعدله على أساس ما أحس وقاسي من حرج التطفيل الطويل والضيافة المتواترة. أما إذا حدث الاحتمال إلا بعد ولم أستطع أن أبرم الرجل مهما أطلت إقامتي وبقي يرعاني ويحتفي بي ويبرمني كأنني نازل عليه ضيفاً من ساعتي لهو على كل حال خير منا وصدافته لا تفوت مهما كلفت من ثمن

في كثير من الأحيان يكون الخوف من الأعداء أبلغ في الأذى من خيفة الأعدء

قال قائل من الحيوانلحنش رآه يهاجم أحد الناس في يوم سابق: يا هذا، إنك لحيوان أهوج حقاً، فإنه ما يكاد يعترض سبيلك أحد الناس حتى تبادره بأشد الهجوم وأنت تعلم أنه ليس في فمك سم ولا أنياب كالأفعى، وليس لك وسيلة أخرى من وسائل الهجوم أو الدفاع، والناس يعلمون ذلك أفضل العلم· فأجاب الحنش: إنني أهاجم الناس إذ أهاجمهم ينيوب الأفعى وسمها، ولا أفشل إلا مع من تفشل معه الأفعى، وذك أن خوف الناس أسبق إليهم من أدراكم· فإذا رأوني هاجماً سبقت إليهم صورة الأفعى واستولى عليهم الرعب من أنيابها وسمها قبل أن يجيئهم الإدراك أنني لست بالأفعى وليس في فمي سمم ولا أنياب· ثم لا تنس أن خير سيلة من وسائل الدفاع هي الهجوم· فلو كنت في كل حالة أولي مهاجمي الأدبار لا عطيته خير الفرص ليقضي علي، لأنه في مثل هذا الحال يهاجمني ثابت النفس هاديء الأعصاب، لا خرف يشل حركته ويزيغ إصابته· وبرهان ما أقوله الآن هو ما رأيته بالأمس فقد هزمت خصمي أقبح هزيمة رغم ما كان يحمل بيده من هراوة ثقيلة ورغم ما كان قادراً على رجمي بالحجارة الكبيرة والصغيرة التي كانت في متناول يده·

من منطق الجبناء

انسل ابن عرس ذات ليلة إلى كن الدجاج واختار دجاجة لعشائه ومضى· ولاحظت الدجاجات في الليلة التالية أن الديك أخذ أقصى الكن من الداخل مبيتاً له، فقلن له ألا اتخذت مدخل الكن مبيتاً لك لترد عنا عادية ابن عرس لو عاد إلينا، ولا شك هو عائد إن لم يحضا صاحبنا منه؟ فأجاب الديك: لو: اتخذت أول الكن مبيتاً كما تردن، وأخذني ابن عرس من زول ليلة فمن يرد عنكن في الليالي التالية؟ إنني أدخر نفسي لحمايتكن يا هاته، لأجبنا وزلة أنني الاحتياط في الجيش والاحتياط يدعى في آخر الأوقات وأحرجها·

لما جد الجد

ظل يهتف بالموت وياديه: أيها الموت إلا تجيء وتخلصني من هذه الحياة البائسة والوجود البغيض؟

وسمع ملك الموت نداء صاحبنا، فأقبل مسرعاً بوجهه للكريه وسحنته المنكرة وقال: لبيك، لبيك! بأي شيء تأمر؟

ولما رآه صاحبنا كاد يصعقه الرعب فأسرع يقول بصوت متقطع لا يكاد يبني: لا شيء، لا شيء، يا هذا إنما أحببت أن أستوثق من بعدك فقط· فمعذرة إن كنت أزعجتك!

وخرج ملكالموت وهو يشير مهدداً: إياك أن تدعوني مرة أخرى يا هذا، وإلا فستجدني يومئذ أقرب إليك وألصق بك من حبل الوريد!

فرد الرجل وهو يكاد يموت من الرعب: لا، لا، لن أدعوك مرة أخرى، لن أدعوك فامض بخير، وأنت المحسن المتفضل·

لا يلهينك أمر دون ما يجب

انطلق الكلب وراء الثعلب كالسهم وأوشك أن يدركه، فألقى إليه الثعلب دجاجة كان يحملها في فيه، فوقف الكلب حيالها يفحصها ويتشممها ليرى أيرضى بها صاحبه بديلاً من الثعلب، وبعد الفصح السريع تبين الكلب أن الدجاجة ليست مما صاد الثعلب وأنها في الأغلب مما مات في القرية بوباء الدجاج ونبذه أصحابه منذ أيام، لأنها لو كانت من صيد الثعلب لما تركها حتى يدب فيها الفساد وتنتن وتتفسخ كما شمها وشاهدها.

ولما أدرك الكلب أن الثعلب طرح الدجاجة ليلهيه بها عن مطاردته وأنها لن ترضي صاحبه بديلاً من جلد الثعلب تركها وعاد يطارد الثعلب مطارة شديدة، ولكن الثعلب الذي تخفف من الدجاجة المنتنة واضطر الكلب إلى الوقوف عندها قليلاً استطاع أن يبتعد عن مطارده ويجأ إلى وكر قريب وينجو من أنيابه الحانقة الأكيدة.

ولما بلغ صاحب الكلب حيث كان كلبه ألقى عليه نظرة حانقة شديدة وقال له: ما الذي حملك عن الكف عن مطاردة الثعلب بعد أن كدت تنوشه بأنيابك؟ فأجاب الكلب وهو يداري أن تقع عين صاحبه في عينه محاولاً ستر الموقف: لقد استخلصت لك من الخبيث صيداً حسناً، وها هو قريب منا.

ولما بلغا موضع الدجاجة وفحصها الرجل التفت إلى الكلب وقال: ألا قبحت من كلب خاسر! لقد ألهتك دجاجة منتنة عن غايتك التي أطلقتك ورءاها وانطلقت خلفها، فأضعت عليبهوان همتك وحقارة مطلبك جلد الثعلب الثمين وأضعت على نفسك لحمه الشهي السمين أقسم لئن عدت لمثلهالأمزقن جلدك برصاص هذه البندقية، فخير لك ولي أن نخسر أي شيء من أن يصرفنا عنه دجاجة منتنة.

لم يخطئ من أحسن ظناً بأعاظم الرجال

اشتهر ملك بحسن التدبير وبعد النظر واختيار الرجال الصالحين لمختلف الأعمال· واحتاج يوماً إلى رجل قدير يشغل منصباً خاصاً في المملكة له أكبر قدر من الخطورة لأنه يحتاج إلى أكبر قدر من الجرأة مع حسن الفراسة وصدق التقدير مع سرعة التقرير والحسم، فأعلن في جميع أطراف المملكة أنه في حاجة إلى رجل يشعل منصباً خطيراً، ولكن على الذي يشرح نفسه لهذا المنصب أن يقدم امتحاناً خاصاً، فإذا اجتازه ولي المنصب وإذا فشل في احتيازه عوقب عقاباً شديداً·

وكان الامتحان كرة ضخمة من الحديد منصوبة على أربع قوائم في ساحة القصر، فمن طمع في المنصب عليه أن يجرب رفع هذه الكرة بين يديه، فإذا رفعها ربح المنصب، وإذا فشل دحرجت هذه الكرة على صدره وهو مستلق على الأرض·

وجاء الرجال من مختلف أنحاء المملكة يحدوهم إلى المجيء غرابة الامتحان والرغبة في نيل المنصب الرفيع· ولكنهم لما شاهدوا ضخامة الكرة خيل إليهم أن الملك يتوخى العبث والدعابة أو أنه أصيب بعارض من الجنون، فقد بلغت هذه الكرة من الضخامة مبلغاً لا يحلم عشرة من أشد الرجال بزحزحتها من موضعها فضلاً عن رفعها بين اليدين، فتحاشاها الجميع ولم يجسر أحد على أن يمد إليها يداً خوفاً من العقاب العتيد·

وأخيراً استطاع أحد الرجال ممن اشتهر بالجرأة وصدق الفراسة وحسن التقدير للزمور أن يكشف السر الذي ينطوي عليه هذا الامتحان، فأقدم عليه في غير وجل ولا خشية·

فتقدم إلى الملك برغبته قال: لقد أتيت لرفع الكرة يا صاحب الجلالة، فأرجو أن تأذنوا لي بذلك· فقال الملك: إننا نسمح لك بذلك، ولكن عليك أن تذكر الشرط الذي اشترطنا على من يحاول رفع هذه الكرة ويفشل في رفعها· فأجاب الرجل: إنني أذكر ذلك الشرط جيداً ولم أجيء إلا وأنا موطن النفس على قبول الثواب أو العقاب الذي استحقه·

فأعلن الملك في كافة أنحاء المملكة: إن هناك رجلا يزعم أن في وسعهرفع الكرة المنصوبة، فمن أراد أن يشهد ثوابه أو عقابه وكرامته أو هوانه فليحضر إلى ساحة القصر في يوم كذا من شهر كذا·

وفي الموعد المضروب أقبلت وفود الناس من كل حدب وصوب نحو قصر الملك لشهود الامتحان الغريب والعقاب الأكيد يتلقاه هذا المغرور الذي يحسب أنه يطيق ما يعجز عنه عشرة من أشد الرجال.

ولما حلت ساعة الامتحان عمد الرجل إلى الكرة وطوقها بساعديه ثم فعها فآذا هي بين يديه ككرة من العهن المندوق.

وعندها التفت الملك إلى الرجل وقال: أحسبك تفرست وأحسنت الفراسة ولم يسوء ظنك بنا كما ساء ظناً بنا كافة الناس فقالوا: ملك عابث أو مهوس، ففسر للناس مغزى ما رأيت وعملت

فأجاب الرجل. أحسب أن الملك أحب أن يعرف من من الرجال يستطيع أن يثق بحكمته وصواب رأيه مهما بدا لأول مشاهدة صعب التنفيذ أو غريباً، وذلك أن من الأعمال، وخاصة أعمال هذا المنصب، ما يحتاج إلى أشد الحسم والجرأة وأقل الكلام والمناقشة. فإذا بدا لمن يتولاه أن الملك يطلب أمراً يصعب إنفاذه أو يستحيل وتهيب الإقدام عليه وتجريب القدرة المخلصة فيه، ثم أخذ يجادل ويناقش فيه أضاع على الملك مزية الإسراع في العمل، هي هنا مطلوبة أشد الطلب، وأضاع عليه كذلك مزية الخيار، وذلك أن المرء سيبقى سيد عمله وله أكمل الخيار فيه وأتم القدرة على توجيهه ما كتم أمره وحفظ سره،وليس أشد أفساداً للسر من كثرة الكلام وطول الجدال وشهوة المناقشة. هذا ولم نعرف عن الملك في كل تصر حب العبث لنقول، كما قال غيرنا، إنه أراد العبث في اختباره، ولم نعرف عنه كذلك حسب التعجيزلنقول إنه أراد التعجيز. أما أن يكون الملك قصد إلى اختبار القوى الجسمية ليختار أقوى الناس جثة لهذا المنصب فأمر بعيد عن المنطق والواقع. فلو حسبنا أن قوة الجسم مطالبة لهذا المنصب فالمعقول المنتظر أن يجعل الملك الاختبار بحيث يجوزه على الأقل واحد من الناس لا أن يرفعه بحسب الظاهر إلى المستوى الذي لا يقوى عليه عشرة من أشد الرجال أو أكثر. بعد أن استبعدت هذه الاحتمالات الأخيرة رجعت إلى الاحتما الأول الذي وصفت وقلت: أراد الملك أن نيعرف من يقدم الجرأة على الحذر والثقة والعمل على الجدل، فإذا نجح فيما كلف من عمل نال أحسن الجزاء وأثيب خير ثواب، وإذا فشل كان الملك، كما نعرف ذلك أفضل المعرفة، أسرع الناس إلى عذره أو الاستماع إلى رأيه. هكذا تفرست وهكذا وثقت بحكمة الملك وأحسنت الظن بصواب رأيه وأحمد المولى أن لم تخب ثقتي ولم تفشل فراستي.

ولما انتهى الرجل من تفسيره التفت الملكإلى الجمهوروقال: هذا هو رجلناوضالتنا، فانصرفوا بسلام

وانصرف القوم وهم يعجبون من طرافة الأساليب التيي يصطنعها الملك فياختيار الرجال لأهم الأعمال من حسن فراسة الرجل وجرأته وحسن تقديره للأمور.

أعقل ولكن هل أسعد

دار الجدل الآتي بين الإنسان وجماعة الحيوان:

ـــ إننا أعقل منكم معاشر الحيوان وأسعد

ـــ أعقل، نعم، أما أسعد فكيف ؟

ـــ ألا تعلمون أننا بالعقل ننال أشياء أنتم منها محرومون ونتوقى أشياء أنتم معرضون لها في كل حين، ومن هنا يتهيأ لنا من الخير والمتع ما لستم به تحملون ؟

ـــ مثل ماذا مثلاً ؟

ـــ مثل الطيران، فقد أصبحنا بفضل العلم ننتقل من أي مكان إلى أي مكان آخر في مثل لمح البصر.

ـــ كذلك أصبحتم بفضل هذا العلم والطيران تهدمون المدن بعضكم على بعض في مثل لمح البصر.

ـــ هذا في أزمنة الحرب، أما في السلم فيكفي أحدنا ليحس أنه أصبح من الآلهة أو قريباً منها أن يمتطي صهوة إحدى هذه الهادرات المدويات، فإذا صار فوق أطباق الغيم حيال أعلى الذروات أحس ذلك الاحساس الذي لا يعدله إحساس، إحساس المقيد فكت عنه القيود والمسجون أزيلت من حوله الحواجز والسدود.

ـــ أين الذي تصف مما تحس وتنتشي ذوات الأجنحة منا؟ فأنتم تطيرون على أجنحة من حديد ونار هي تطير على أجنحة من حياة وإحساس وشعور. وأنتم منذ تطيرون إلى أن تهبطوا تضلون تترقبون الموت، فماذا يبقى لكم لتحسوا من نشوة وتذوقوا من متعة؟ أما المجنحون منا فيستطيعون أن ينسوا كل شيء إلا هذه الأحساسي والأحلام المجنحة يحسون ويحلمون وهم يحومون ويدومون في كل سماء. وأنتم في هذه الطائرات التي تركبون كالقاعد على الأرض مع فارق واحد وهو أن القاعد على الأرض لا يخشى للسقوط والتمزيق أو الاحتراق بينم أنتم لا تستطيعون أن تغفلوا لحظة واحدة عن ذكرها وتصورها والارتجاف لهول الصور التي تصورها لكم أخيلتكم وتستعيدها ذواكركم. وذوو الأجنحة منا يحسون، كلما حلقوا في الهواء وخفقوا بأجنحتهم وراقصوا الرياح وداروا مع التيارات أو عارضوها ـــ يحسون مثل الإحساس العجيب الذي لا تستطيعون أن تصفوا والذي تحسون في لحظات عابرة سعيدة حينما ترونكم تطيرون في نومكم على أجنحة الأحلام، فتصوروا أي هناءة حرمتم وأي نعيم سلبتم لما حرمتم

الأجنحة الخافقة المصفقة· ثم أنتم كلما أمعنتم في التحليق وارتفعتم ازدتتم حظاً من الخطر ونصيباً من الهلاك الذي يرقبكم، أما المجنحون منا فإنهم يزدادون أمناً كلما نأوا بأجحسامهم عن الأرض، فأعجب هنا لأمركم وأمرنا: تزدادون حظاً من الخطر واحتمال الهلاك كلما ابتعدتم عن الأرض ويزداد ذوو الأجنحة منا أمناً وسلامة كلما ابتعدوا عنها!

ـــ ولكن فوائد العلم لا تقف عند حد القدرة على الانتقال السريع والتحليق في كل سماء فوق الذرى والوهاد والشوامخ والانجاد· بل تتعدى ذلك رلى أمور لا يحصيها عد أو يحيط بها إحصاء·

ـــ أّذكرلكم الطب وما يصنع من عجائب في مداواة العلل وتخفيف الأوجاع وتهوين الألم، فهل لديكم ما تطبون به لأنفسكم وتخففون آلامكم وتهونون عللكم؟

ـــ هون عليك يا هذا: فليس الطب للنفس ومداواة العلل وتهوين الألم مما انفردتم به دون غيركم من الأحياء، وأستطيع أن أزعم وأنا لا أخشى أن أكون مبالغاً أنه ليس ثمة جنس من أجناسنا إلا وله طبه الخاص به يمارسه بالغريزة المباشرة وللطبع الموجه الهادي، وهو في أكثر الأحوال أنجى من طبكم وأنجع من دوائكم وأهون من علاجكم· أما الأمراض الفتاكة التي تجتاحنا وتجتاحكم فلستم منها أنجى ولا بردها أعرف منا جماعة الحيوان·

ـــ ومن فائدة العلم أنه أعاننا على اصطناع أحسن الآلهة وأكثرها وفاء بحاجات الجسم·

ـــ خير ألستكم وآنق ما ترتدون لا يبلغ في روائه ومقدار نفعه ما تبلغه ألبسة ذوات الريش والفراء منا· فأي ألبستكم بلغت من الحسن والرواء ما بلغته ألبسة للطواويس والديكة والخضاري مثلاً؟ وأي ألبستكم بلغت من النفع والملاءمة للحاجة ما بلغته ألبسة ذوات الفراء؟

ـــ وقد استطعنا بعملنا أن نرى أبعد البعيد ونسمعه معاً، فأصبحنا بفضله مثلاً نشهد الرواية الرائعة تمثل ونسمع النشيد الساحر ينشد في أقصى البلدان ونحن قعود حول أجهزة صغيرة هي من السحر أو السحر بعينه·

لستم في هذا الذي تصف وتبالغ أسعد منا فيما نسمع ونشاهد سماعاً وشهوداً دائمين على مسرح الطبيعة الطلق الفسيح· هذا وأنتم تعلمون جيداً أن خير إنشادكم وخير تمثيلكم هماماً سايرتم فيه الطبيعة ونسجتم فيه على منوالنا وأسوأ تمثيلكم وإنشادكم هو ما خالفتم فيه الطبيعة وخرجتم به عن الطبع·

ـــ ولكننا حتماً سنمتاز منكم بهذه الكتب العظيمة تهيؤها عقول عظيمة مثلها وتخرجها لنا ألواناً شتى وصنوفاً عديدة في مختلف نواحي الأدب والفن، فتتذوق أبلغ اللذة وأخلص المتعة·

ـــ ومكاتبكمهذه التي تطرى وتبالغ في الإطراء، وما قيمة فنونكم وآدابكم أليس نصف ما تكتبون وصفاً لشهواتكم الممتنعة البعيدة والنصف الآخر سباً وشتيمة لهذه الشهوات بعد أن تحققت وزالت غشاوة الأوهخام ومبالغة الخيال عن عيونكم وعقولكم؟

ـــ ونمتاز منكم بالدين والعبادة، فالإنسان هو الحيوان المتدين الوحيد وهو من عمل العقل والنظر الصائب.

ـــ وماذا فعل لكم الدين وأي خير أنالكم ؟

ـــ إنه يخفف آلامنا ويضمد جراح نفوسنا ويبعث العزاء إلى قلوبنا.

ـــ تقول هذا القول وتدعي السعادة!؟ فهذا من أعجب العجب. أحسب يا هذا أنكم بالدين تحبون أن تهيؤا لكم سعادة وراء القبر لما فشلتم في بلوغها أمامه.

ـــ وبالعلم استطعنا أن نرتاد أبعد آفاق السماء ونقف على عوالم يحار العقل ويظل الخيال في بعدها وعظمتها.

ـــ كذلك تصغرون وتتضاءلون بنسبة بعد ما ترتادون وعظمة ما تكتشفون.

ـــ وبالعقل والخيال نقدر أن ننظر أمامنا وخلفنا فنستعيد الماضي ونصور المستقبل، فنحقق في حياتنا الواحدة ثلاث حيوات.

ـــ ومن هنا آلامكم التي لا تنقطع ودموعكم التي لا تجف، فأنتام إذا خفت آلامكم الراهنة أو كفت قليلاً حتى لم عد كافية لتعذبوا بها أنفسكم رجعتم إلى الماضي والمستقبل وأخذتم من رصيدهما في الآلام لتضيفوا إلى ثروة الحاضر، وهكذا تشربون كأسكم مترعة غير منقوصة.

والآن عم مساء أيها العاقل السعيد، فقد طال الحديث، والحديث إذا طال انتهى من المتعة إلى الإملال. عم مساء مرة أخرى.

مهما يكن عملنا: إن سرنا فهو لنا

مر جاهل وحكيم عند الظهيرة برجل يحصد حقلاً وهو يغني· فالتفت الجاهل إلى الحكيم وقال: ما الذي يحمله على الغناء؟ أهو اشتداد الحر حتى ما يكاد يطاق الوقوف فيه يله العمل الشاق المضني، أم هذه الهوام الطائرة التي تلدغه أدوم اللدغ وأشده إزعاجاً، أم هذا العرق الذي يسح على جبينه حتى يكاد أن يغطي على بصره، أم هذا الغبار الذي يغلف وجهه ويسد خياشيمه؟ فأجاب الحكيم: رجل يعمل لنفسه ويحصد ما زرع، فهو سرور العمل المفيد والجهد المثمر· فعاد الأول يقول: ولكنه ليس بصاحب الحقل، فهو عامل مأجور، وأنا أعلم مؤجره وحقارة أجره، فرد الحكيم: إنه مع ذلك يبقى صاحب عمله· فالذي يجد قدرة على السرور والإنشاد وهو يعمل فالعمل عمله سواء أكان صاحب العمل أم كان عاملاً بالأجر· ولم يزد الحكيم على هذا، وافترقا والجاهل يظن أن الحكيم يهذي أو يغالط ويكابر في الحقائق·

كل شيء لمنفعته

وقف رجل أمام شجرة غير مثمرةودار بينهما الحوار الآتي:

ـــ لا خير فيك أيتها الشجرة،

ـــ لا خير في لمن ؟

ـــ لنا معاشر الناس طبعاً

ـــ وأنت أي خير لنا فيك ؟

ـــ ولكن الشجر وغير الشجر خلق لمنفعة الانسان وخدمته·

ـــ طبعاً، والوحوش الضارية أيضاً والحيات والعقارب والبعوض والبق وأصناف المكروب وغير هذه أشياد كثيرة خلقت لمنفعتكم وخدمتكم، أليس كذلك؟

وأغلق الرجل فاه ولم يقل شيئاً

رسالة البعوض

ـــ ألا قبحاً لك وسحقاً أيتها البعوضة ما أشد إزعاجك وأبلغ أذاك! إنك وجماعتك لا تنامين ولا تنيمين.

ـــ ما هذه الشتائم أيها الإنسان؟ لقد واللّه كدنا نيأس من صلاحك وتهذيبك، وعدنا لا ندري أنحن واصلون في رسالتنا منك إلى شيء سوى قبح الطباع والخفة والطيش وحب النزاع.

ـــ وأي رسالة أيتها البعوضة؟! لم يبق رلا أن تكون للبعوض رسالة. يا هذه خيل إلي أنك تقولين رسالة وكلاماً آخر، فهل أنت أيضاً صاحبة رسالة تحرصين على أدائها؟

ـــ وهل عندك شك في ذلك ؟

ـــ ما هي رسالتك يا صاحبة الرسالة؟ اذكري ما رسالتك لنؤمن بها ونصدقها أشد الإيمان والتصديق. فهل لك رسالة غير رسالة التطفيل والازعاج وامتصاص الدم؟

ـــ إنك تهذي يا هذا وتهرف بما لا تعرف. أتحسب رسالة التهذيب السديد والفن الرفيع أزعاجاً وتطفيلاً وامتصاصاً للدم ؟

ـــ أي واللّه! حتى البعوض يتكلم في التهذيب السديد والفن الرفيع! أي فن يا هذه وأي تهذيب ؟!

ـــ ألا تعلم ؟ فما هذه الموسيقا الرفيعة التي لا تفتأ نصبها في أذنيك كل مساء ؟ أم أنت لا تؤمن إيمان فلاسفة اليونانوغير اليونان في أن الموسيقى الجميلة ترهف الحس وتهذب الشعور؟

ـــ لعلك تعنين هذه الدندنة المؤذية والازعاج الشديد اللذين لا تنفكين تدندنين وتزعجين الناس وتمتصين دمهم؟

ـــ طبعاً أنت تسمي هذه الموسيقى الرفيعة دندنة وإزعاجاً لأن نذوقك الفن لا يزال قجاً بدائياً بعيداً عن لأرهاف والرقة ويحتاج إلى أجيال عديدة من الصقل والتهذيب وحسن التوجيه. أما هذه القطرات القليلة التي نأخذها من دمكم فليست أجراً على عملنا الإنساني النبيل ورسالتنا المقدسة. ذلك أن عملنا ورسالتنا يجلان عن الأجر والجزاء إنما هي شيء لا بد منه لنقوى على أداء رسالتنا خير أداء ونقوم بواجبنا أفضل قيام. ولو كان الطمع في دمكم كل همنا لكان لنا مندوحة عنكم بغيركم من الأحياء.

ـــ وما علامات الذوق المرهف والحس الدقيق عندكن؟ وإذا صار لنا بحسن تهذيب البعوض وإرشاده وفنه الرفيع ذوق مرهف وحس دقيق وتهذيب رفيع أتكفين أنت وجماعة البعوض عنا ؟

ـــ طبعاً، نحن لا بد ماضون عنكم وذاهبون متى هذبناكم وثقفنا نفوسكم وأرهفنا شعوركم وذوقناكم فنحن لا يحملنا على لزومكم، كما ذكرت قبل قليل، ولا يدعنا نحتمل غلظتكم وأذاكم إلا ذلكم الواجب المقدس، وهو واجب لن نتخلى عنه ما بقيتم على هذا الحال من جفوة الشعور وقسوة الإحساس· أما علامات التهذيب الصحيح وأمائر الذوق والشعور الدقيق فهي أن نشد ما نشاء ونقع على وجوهكم ما نشاء دون أن تبادرونا باللطم كما لا يزال هذا دأبكم معنا إلى الآن·

ـــ وأحسب أننا إذا صرنا لكن كما تقترحين فلن تذهبن ولن تدعن وجوهنا ليلاً ولا نهاراً·

ـــ أنت واهم، فما عليك أنت وقومك لندعكم وشأنكم إلا أن تثبتوا لنا بالعمل لا بالقول إنكم بتم في هذه المرتبة المرجوة من حسن الذوق ورقة الشمائل والتهذيب والمسامحة، فما بنا حاجة إلى دمكم، إنما هو كما قلنا وكررنا القول رسالة نبلغها وأمانة نؤديها وحسب· ثم ماذا يضيركم بعد أن تصلوا هذه الدرجة المرجوة من المسامحة وجودة التهذيب ورقة الشمائل ـــ ماذا يضيركم أن نلزمكم ونعيش معكم عيش الاخاء والمحبة؟ بل يخيل إلي أنكم لن تصلوا ما نشاء من مستوى التهذيب والذوق الرفيع ولن تبلغوا ما نود لكم بلوغه من رقة الشعور والإحساس ما لم تصروا على بقائنا معكم نمتص القليل من دمكم ونمضي في تثقيفكم وتهذيبكم ونحن آمنون عليكم من الانتكاس، والانتكاس كما تعلمون شر من ابتداء المرض وآذى·

ـــ آمنا وصدقنا أيتها المؤذية الثقفية والمدندنة اللعينة·· فأنت وجماعتك البغيضة معنا الآن لتهذيبنا، وغداً وأبداً معنا لتحولي دون انتكاسنا وعودتنا إلى عدم التهذيب والذوق· فامضين في أداء رسالتكن المقدسة ما دمنا عاجزين عن ردكن والاقتصاص منكم إلا بقدر·

قاعدة تمليك كل ذي عمل عمله

كان يعيش في بلدين متجاورين ملكان: واحد كان يطلق لوزرائه وعماله وقواده وجميع موظفي مملكته حرية العمل ضمن حدود النفع العام، فعم الخير وتقدم العمران وازداد الابداع في العلوم والفنون والصنائع، والآخر كان يقيد وزراءه وعماله وجميع موظفي مملكته بقيود ثقيلة ولا يفتأ يتدخل في كل كبيرة وصغيرة سواء أكانت من اختصاصه أو لم تكن، فألفى الوزراء والعمال والموظفون أنفسهم مسلوبي الإرادة مشلولي الأيدي محصوري الفكر، فلم تتقدم صناعة ولا تجارة ولم يبدع أحد شيئاً في علم ولا فن· ولاحظ الملك الفرق الكبير بين أحوال مملكته وأحوال المملكة المجاورة وهاله الفرق العظيم بين أحوال المملكتين، فعقد مجلساً من وزرائه وكبار قواده

وموظفيه وحكماء مملكته وطلب إليهم أن يدرسوا ويبحثوا أسباب هذا التأخر الذي أصاب المملكة، لاسيما إذا قورنت بأحوال المملكة المجاورة التي نالت من العز والسؤدد أكبر نصيب.

وأخذ الحكماء والوزراء وأصحاب الرأي يبحثون ويدققون في البحث، فاستبان لهم أخيراً أن تدخل الملك في كل شأن من شؤون المملكة هو الذي شل العمل وصرف العاملين عن المغامرة والإبداع. واستقر الرأي على أن يبلغوا الملك ما انتهوا إليه من رأي ويصارحوه به مهما كان وقعه عليه ثقيلاً.

واختار المؤتمرون أجرأ وزراء الملك وأكثرهم دالة عليه وكلفوه بأن يبلغ الملك رأيهم في سبب سوء أحوال المملكة وماذا يرون من علاج لها.

واستأذن الوزير على الملك، فتلقاه مرحباً باشا وقال له: عسى أن تكونوا وجدتم الداء ووصفتم الدواء. فأجاب الوزير: أجل، لقد درسنا أحوال مملكتنا وقارناها بأحوال المملكة المجاورة ودرسنا أسباب التقدم هناك وأسباب الجمود هنا فوجدناها جميعاً ترجع إلى أمر واحد، فإذا سمح الملك بأن أطلعه عليه فعلم وإلا فليردني من حيث أتيت. فقال الملك: لم نعقد هذا المؤتمر العام إلا ونحن على عزم أن نسمع كل شيء ونذعن لكل شيء سيفضي رلى تحسين الأحوال والمضي في سبيل العمران قدماً كما مضى غ يرنا وبلغ فيه شأواً بعيداً.

ولما سمع الوزير من الملك ما سمع قال: اعلم يا صاحب الجلالة أن المؤتمر انتهى بالاجماع إلى أنكم أنتم السبب في كل ما حل بالبلاد من تدهور وجمود وهبوط. ولم يرجع المؤتمرون ذلك إلى سوء نية منكم إنما ارجعوه إلى اجتهادكم اجتهاداً في الملك لا يتلاءم مع أحوال العمران الراهنة وما فيها ن اشتباك الأعمال وتعقدها واتساعها بحيث لا يستطيع السيطرة عليها والإلمام بها عقل واحد وجهد واحد مهما بلغ من الأرباء على المستوى العادي بين الناس.

وبهت الملك لدى سماعه هذا التصريح وطلب إلى الوزير أن يزيده بياناً. فشرح له الوزير وجهة نظر المؤتمر شرحاً دقيقاً وافياً. ولم يكن الملك عاجزاً عن الفهم وقبول الحق، فاقر المؤتمر على رأيه وأعلن أنه سيسير في قابل الأيام سيرة أخرى تختلف عن سيرته الأولى كل الاختلاف، وسيكون مدار هذه السيرة وأساسها تمليك كل ذي عمل عمله، ولكن ضمن حدود المصلحة العامة وعلى أن يعاقب المقصر زشد العقاب لأنه بات مسؤولا مباشرة عن عمله.

وبر الملك بما وعد ولم يمض غير وقت قليل حتى تحسنت الأحوال وعم الرخاء وتقدم العمران وكثر الإبداع والابتكار في العلوم والفنون والصنائع وجميع مرافق الحياة الأخرى.

عبيد المظاهر

قال الإنسان للغراب:

ـــ يا هذا ألا تعلم أن صوتك من أنكر الأصوات وأشدها إزعاجاً وتنفيراً، فلم لا تغلق فاك وتكفي الناس مؤونة سماع صوتك المزعج الشنيع ؟

ـــ أود أن أسألك هل وجهتم مثل هذا الكلام إلى غيري من الطير؟

ـــ كلا، فليس في الطير من بلغ قبح صوته بغض ما عليه صوتك من قبح.

ـــ بل قل إنكم عبيد المظاهر. فلو بلغ السوء والقبح أشد مبلغ وسيقا إليكم في مظهر حسن كريش جميل مثلاً أو ثياب نفيسة لغضضتم الأعين ونسيتم السوء والقبح اللذين يغطي الريش وتخفي الثياب.

ـــ أنت واهم يا هذا، فلسنا من الغفلة بحيث ننخدع بالمظهر دون المخبر.

ـــ أنت تغالطني الواقع.

ـــ بل أقول الحق.

ـــ أود أن أسألك ما الذي حبب إليكم الطاووس مثلاً، فاقتنيتموه في بيوتكم؟

ـــ إنه من أجمل الطيور إن لم يكن أجملها.

ـــ وإنه من أقبح الطيور صوتاً إن لم يكن أقبحها.

ـــ قد يكون ذلك، فما شأن هذا مما نحن فيه ؟

ـــ يظهر أنك ضعيف الذاكرة أو تريد أن تغالط.

ـــ لم أفهم أي شيء تعني بهذا الكلام.

ـــ أنسيت أنك قلت قبل حين أنكم لم توجهوا طلباً بالسكوت إلى أي الطير إلا رلي ؟

ـــ اذكر هذا الآن

ـــ ثم لعلك نسيت دعواكم العريضة بأنكم لا تخدعون بالمظهر الحسن والرواء والزينة إذا كانت تخفي ورائها قبحاً.

ـــ لا، لم أنس.

ـــ ماذا يبقى لكم إذاً من دعوى عدم الاغترار بالمظهر دون المخبر بعد أن أقررت بقبح صوت الطاووس وإيثاركم إياه، على قبح صوته بالتقريب والمصاحبة ؟

ـــ هذا مثال واحد، فهل تستطنيع أن تورد مثالاً آخر ؟

ـــ لو أوردت مثال ومثالاً لظللت تغالط، فأنتم معاشر البشر لا تذعنون نلحق يخالف ما تؤثرون من وهم وضلال. عم مساء.

نزاهة في الحكم

قرأ عليه صاحبة قصيدة وقال: هي لفلان· وكان هذا الفلان ممن لا يسيغ له شعراً ولا يرى في كل ما نظم شيئاً من الشعر· ولكن هذه القصيدة، على خلاف كل قصائده، كانت قصيدة قويةعامرة الأبيات، فاضطر أن يحكم لها حكماً قوياً، وقال: إن الشاعر يوفق أحياناً إلى شيء فوق قدرته·

ومضت أيام، ووقعت في يد الناقد صحيفة من الصحف المشهورة فإذا بالقصيدة عينها منشورة فيها، ولكن لشاعر غير الشاعر الذي نسب صاحبه القصيدة إليه، حينما ألقاها على مسمعه قبل أيام· فعلم ساعتئذن نزاهته في الحكم قد امتحنت أشق امتحان·

إله الحب وإله الموت يتبادلان السهام

زعمت كوبيد كتب القدماء ذات يوم قد دعا رب الفناء

ولعبث جلسا ثم انتهى بهما العبث إلى هذا البلاء

قد رمى كل إلى صاحبه بعض ما يحمل من رسل القضاء

فحوت جعبة كل منهما من سهام الحب والموت سواء

فلها ما قد يرى من صبوة بمحب قد نضا ثوب الصباء

ولها ما قد يرى من مصرع لمحببعد في عهد الفتاء·

لئيم قذر

اصطبحت اثنان في سفر وعند نهاية الطريق نفذ طعام أحدهما وبقي مع الآخر رغيف زائد عن حاجة· فطلب الأول من صاحبه شطراً من الرغيف، فأبى، فألح ذلك في الطلب· فعمد صاحب الرغيف أخيراً إلى رغيفه وعلقه بلسانه من كلا جهيه، وقال: دونك الرغيف إن كنت تسيغعه· فقال صاحبه: قبحك اللّه ما أحرصك وأقذرك! كله لا بارك اللّه لك فيه·

غير أن صاحب الرغعيف عغغافت نفسه ذلك الرغيف ولم تطعه نفسه على أكله، واضطر أخيراً إلى طرحه إلى الكلاب·

لا يربط جوادان على مذود واحد

ابتاع رجل جوادينوصنع لهما مذروداً مشتركاً· فقالت له زوجه: ما هذا الذي تصنع؟ فأجاب: الذي ترين· فقالت: لا يربط جوادان على مذود واحد·

فقال ذلك لا يعنيكوليس من شأنك

واضطر الرجل أن يذهب لشأن من شؤونه في آخر البلدة· ولما عاد تلقته زوجه عند الباب وقالت: ألم أنبئك بأنه لا يربط جوادان على مذود واحد ؟ فسأل الرجل متوجساً: ما الذي حدث؟ فقالت: تعال وانظر· ودخل الرجل، فشاهد أحد الجوادين بعين واحدة والآخر بركبة واحدة· وسأل زوجه كيف حدث ذلك، فقالت: لم تكد تترك البيت حتى سمعت صهيلاً قوياً وضجة عالية، فهرعت إلى حيث الجوادان ورأيت ما ترى الآن، واضطررت أن أستنجد بالجيران، فاستطاعوا أن يفصلوا بينهما بعد لأي وبعد أن عرضوا أنفسهم لأشد الخطر·

واضطر الرجل أخيراً أن يقول مع زوجه: حقاً لا يربط جوادان على مذود واحد

شـــر يفضي إلى خير

كان لناسك حمار هزيل أعرج مقطوع الاذنين والذنب، وكان يركبه الحين بعد الحين وينزل من صومعته إلى البلدة ليشتري بعض حاجاته ويرى بعض أصحابه· وفي يوم بينما كان راجعاً على حماره وقف الحمار في منتصف الطريق ولم يتحرك، فقد بلغ منه الاعياء والعجز مبلغاً لم يعد قادراً معه على تحريك قوائمه فاستحثه الناسك وركله برجليه وصاح به ولكن دو جدوى· وأخيراً خاطبه قائلاً: إذ لم تسر أيها الحمار وتوصلني إلى صومعتي فإنني سأدعو عليك وأمسخك حيواناً آخر· فأجاب الحمار مكرراً الإجابة بضع مرات: ادع، ادع··· أي شيء خير من عيشي معك هذا ثم هذا الذي أنا فيه من هزال ونقص في الأعضاء إلا أن الناسك لم يدع عليه طبعاً ولم يمسخه حيواناً آخر، وعاد يترضاه ويتودد إليه أن يوصله صومعته· ولكن الحمار ثبت موضعه وأبى أن يتحرك أو يسير، وعاد يلح على الناسك بأن يمسخه حيواناً آخر، فقد سئم العيش معه والذهاب والأياب إلى البلدة ومنها في ذلك الطريق الوعر الذي يصل بين الصومعة والبلدة وسئم هذا الغذاء التافه الذي يقدمه له كل فصول العام فلا يتغير ولا يزيد· ثم لو استطاع أن يمسخه الناسك حيواناً آخر كائناً ما كان ذلك الحيوان لتخلص على الأقل من هذه العيوب والهزال التي تجمعت عليه·

وطال الجدل والمناورة والمداورة بين الحمار والناسك· وأخيراً، بعد أن يئس الناسك من حمل الحمار على السير قبل شروط الحمار التي اشترط عليه ليوصله صومعته هذه المرة· وكانت هذه الشروط تلخص في أن يقلل الناسك من زيارة البلدة وأن يسير ماشياً في كل صعود وهبوط في خلال الطريق وأن يزيد له كمية العلف الذي يقدمه له وينوعه·

وعاد الناسك إلى الصومعة وانقطع عن زيارة البلدة، فلم يقو على تنفيذ شروط الحمار جميعاً، وافتقده أصحابه في البلدة وخشوا أن يكون أصابه سوء منعه من المجيء إليهم وزيارتهم في بلدتهم، فحملوا معهم بعض الهدايا وزاروه في صومعته· وبعد أن استقر بهم المقام سألواه في سبب انقطاعه عن زيارة البلدة، فأجاب: شعرت أن زيارتي البلدة الحين بعد الحين فيها ترفيه وفيها شيء من المتع الدنوية، وهذا لا يتلاءم مع واجبات التقشف والزهد في متع الحياة والنقطاع عنها، فقررت الانقطاع عن زيارة البلدة آملاً أن أرى أصحابي بين وقت وآخر كلما تلطفوا ورأوا أن يزوروني هنا في صومعتي·

وكان الحمار يسمع ويعي هذا الحديث، فلما وصل الناسك من حديثه عند هذا الحد شهق شهقة عظيمة ثم قهقه طويلاً وأخذ ينظر إلى الناسك والزوار نظرات لم تخف

على الناسك دلالتها ومعناها.

وخشي الناسك أن يفضحه الحمار، فأخذ قليلاً من العلف ووضعه أمامه وهمس في أذنه أن اصمت ولك أكثر من هذا كل يوم زيادة على الكمية المقررة لك فصمت الحمار ولم يبح بالسر.

وازدادت شهرة الناسك وذاع فضله وانتشرت أخبار زهده في الحياة وانقطاعه انقطاعاً تاماً عن ملاذ العيش، فكثر زائروه وكثرت الهدايا التي كان يحملها معهم هؤلاء الزائرون وأصبح في حالة من الرخاء حمد معها عناد الحمار وإصراره على شروطه التي اشترط ليوصله إلى صومعته يوم وقف به في منتصف الطريق وأبى أن يتحرك أو يسير.

أما الحمارفقد اصطلحت حاله وزال هزاله، ذلك أن الناسك بر بوعده له خشية أن يفضحه، واستطاع أن يقدم له كميات أكبر من العلف، وهكذا رد له الجميل بمثله.

ولما فطن الحمار إلى سبب كل هذه النعمة التي فاضت عليه وعلى صاحبه لم يسع هو الآخر إلا أن يحمد عناده وهزاله يوم كان هزيلاً لا يطتطيع المضي في الطريق.

حتى الغنم

قال خروف لأمه:

ـــ لم لا أجد حليباً في ضرعك يا أماه ؟

ـــ لأنني لا أجد الماء ولا الكلأ يا بني.

ـــ ولم لا تجدينهما ؟

ـــ لأن اللّه لم يمطرنا ولم ينزل غيثه علينا

ـــ ولم هو لا يمطرنا ؟

ـ لأننا لا نستحق المطر يا بني...!

أبناء النور لا يؤذيهم النور

التفتت نبتة نامية في الظل إلى زهرة عباد الشمس وقالت لها: أراك تتبعين الشمس ببصرك أينما دارت وتحدقين فيها تحديقاً دائماً، أفلا تخشين أن يعشى بصرك من شدة التحديق وقوة النور؟ فردت عليها زهرة عباد الشمس: لا يا صاحبتي، إن من اعتادت عيناه النور فلن تعشيا من الشمس ولن يؤذيهما النور إنما تعشى من النور القوي عيون أبناء الظلام التي لم تعتد رؤية الشمس والتعرض للنور.

آكلها فجة ولا يأكلها غيري ناضجة

كان لرجل بستان وكان في جواره رجل كثير السطو على البساتين، فلم ينتفع صاحب البستان ببستانه ولم يفد منه شيئاً· ذلك أن جاره سارق البساتين كان يعمد إلى أثمار البستان في غفلة منه ويقطف كل ما أدرك ونضج منها· وحار الرجل ماذا يصنع ليصون بستانه، فقد كان اللص من المهارة بحيث لم يجد معه حذر ولا حراسة ولا سهر· وأخيراً استقر رأيه على شيء: ترك اللص وشأنه، ولم يعد يراقبه إلى أن أوشكت الثمار أن تدرك وتنضج· وعندها عمد إليها وقطفها دفعة واحدة دون أن يدع ثمرة ناضجة ولا فجة· ورآه جاره السارق فجاء ووقف مدهوشاً خارج السور ونادى صاحبه وقال: لم يحن أوان قطفها يا جارنا، فإننا نرى أنها ما تزال فجة غير ناضجة، وقطفها وهي على هذا الحال من عدم التضج خسارة لا مبرر لها، فلو تركتها لتنضج لكان ذلك أجدى وأربح فأجابه صاحب البستان: با بأس، با بأس· :كلها فجة ولا يأكبها غيري ناضجة·

ولم يجد للص بداً من الانصراف، فانصرف وهو يردد قولة الرجل

آكلها فجة ولا يأكلها غيري ناضجة·

بدون عنوان

(1)

أطلّ من باب المضيف وأشار إلى صاحبه بزنه في حاجة إليه· فخرج صاحب المضيف وتلقاه خارج الباب وسأله ما الذي جاء به وماذا يريد؟ فقال الرجل: أريدك لأمر هام ذي باب وأُحبّ أن تبتعد عن الناس لئلا يرونا أو يمسعونا فاضطر قاحب المضيف أن نيمضي معه حتى أصبى خارج البلدة وقال له: أنت ترى أننا خرجنا من البلدة ولم يبق خوف أن يسمعنا أحد، فقل لي ماذا جاء بك وماذا تريد ؟ فأجاب الرجل: قليلاً إلى الأمام، فإننا ما نزال قريبين من البلدة وأخشى أن يسمعنا أو يرانا أحد· وأخطر مصاحبه أن نيمضي معه شوطاً آخر حتى وصلا الوادي الذي يقع شرقي البلدة· فقال صاحب المضيف: هنا نلو أطلق أحدنا طلقة لا يكاد يسمعه من في البلدة، فقل لي ماذا تريد· وعندها أخرج الرجل من جيبه زناداً من الذي كان يستعمله الناس قديماً قبل اختراع الثقاب لإشعال النار وقال: أترى هذا الزناد؟ فقال صاحبه: أرى· فعاد الرجل يقول: إنه زناد حسن كما ترى، فهل تستبدل به زنادك؟ وعندها نظر صاحب المضيف نظرة طويلة في وجه الرجل وقال: واللّه لا أدري أينا أشد حمقاً أنت أم أنا بخروجي معك كل هذه المسافة في هذا الأمر التافه·

(2)

الذي لا يفرقه في التفاهة والحقارة إلا أنت· أمن أجل زناد تريد أن تستبدله بآخر تحذر هذا الحذر وتتوقى هذا التوقي؟ إنني أعود فأقول: لا أدري حقاً أيُّنا أشد حمقاً من صاحبه؟ أنت بتفاهتك وتفاهة مطالبك في الحياة أم أنا الذي لم أبين هذه التفاهة وهي تطل من عينيك السخيفتين وتتكلم في وجهك الأحمق!!

وعاد صاحب المضيف من الوادي وهو يقول: ألاكم في الحياة من حمقى بلداء يشغولنك بحماقتهم وتفاهتهم عن شؤونك وهم يظنون أنهم يمتعونك بأبهج الأخبار أو يقدمون إليك أعظم الإحسان أو يسدون إليك أفضل الأيادي·

وقص الرجل قصته وقصة صاحبه على من كان في المضيف، فضجوا جميعياً بالشحك لاشديد واتخذت الحادثة من ذلك الحين مضرباً للمثل في كل مشاورة تافهة ومسار سخيف·

مرض السآمة

قال الملك لأخلص مستشاريه:

ـــ الأمن مستتبٌ في البلاد والعد منتشر والخير عميم ينعم به الكبير والصغير، ومع ذلك فالشعب متذمرٌ كثير الشكوى يتطلع إلى أمور لا يستطيع أن يحددها أو يعيّنها فينحي باللائمة علينا وعلى من يعاوننا في عملنا، حتى لقد بلغت الجرأة من بعض الناس أن يقولوا: لو أُتيح للبلاد نظام من الحكم غير هذا النظام وتولى زمام الأمر ملك غير هذا الملك لفاض النعيم وعمّت السعادة وليم يبق سببٌ من أسباب الشكوى والنقيص.

ـــ هذا الذي يكرت يا مولاي واقع لا سبيل إلى إنكاره وتجاهله، فلقد سمعت بأذنيّ مثل الذي ذكرت وأشد، وهو على كل حال داٌ قديم يصيب الأمم إذا بلغت من الرخاء وأسباب الأمن والدعة مبلغاً كبيراً بلغه شعبنا في ظلّ حكمكم.

ـــ وما ذلك الداء الذي تقول وما دواؤه ؟

ـــ هو داء السآمة يا مولاي ودواؤه دواء غريب.

ـــ ما هو دواؤه ؟ أخبرني ما دواء هذا الحال، فقد ضقت ذرعاً بتقديم الخير للبلاد وهذا الذي نسمع يقدّم جزاء هذا الخير.

ـــ هو أن يعود إلى البلاد شيء غير قليل من الفوضى والاضطراب والبؤس وعدم الأمن.

ـــ ماذ تقول ؟ يخيّل إليّ أنك تتكلم في أمر غير الذي نحن فيه، فارجع إلى ما كنّا بصدده من موضوع.

ـــ لم نزل في الموضوع يا مولاي، ولا بدّ من الفوضى إذا أردنا أن نخلّص البلاد من مرض السآمة. فالناس مطبوعون على حب التغفيير ويكرهون الاستمرار علَى حال واحد ولو كان هذا الحال أقصى ما يوصل إليه من الرخاء والزمن والدعة ويؤثرون أن يبدّلوا منه حالاً آخر ولو كان يمازجه كثير من السوء.

ـــولكنني يا هذا لا أطيق ما تقترح وتصف من دواء.

ـــ لا بدّ منه إذا شئنا أن نخلِّص البلاد من مرض السآمة.

ـــ أليس لدية خطة أخرى أو دواء غير هذا الدواء ؟

ـــ لا دواء يرجى هذا الدواء، ولكن لديّ سبيل لبلوغه غير السبيل الذي تخشى.

ـــ ما ذلك السبيل ؟

ـــ هو أن لا يقع الاضطراب وتعمّ الفوضى على يديكم

ـــ على يدي من إذاً

ـــ تتركون البلاد وتدعون الشعب يدبّر أموره بنفسه. فإذا ثاب إلى رشده من جرّاء ما سيحل بالبلاد ويحيق بها حتماً استدعاكم للحكم بعد أن يكون شفي من دائه. وإذا لم تشفه الأحداث التي ستقع في غيبتكم فلستم في حاجة لحكمه بل من الخير أن تكونوا بادرتم بالذهاب من البلاد قبل أن تتطور السآمة إلى شيء آخر.

وفكر الملك في اليوم التالي أنه سئم الملك وأنه مغادر المملكة إلى إحدى الجزر النائية.

ولم يحتجّ أحد أو يحاول أن يصرف الملك عن عزم، فقال لمستشاره: لقد أحسنت صنعاً فيما بينت الداء ووصفت الدواء. فإن سكوت الناس سكوتاً مطلقاً وعدم الاحتجاج على آزماعنا ترك البلاد دليل على صدف ما تفرّست ودرست.

وفي خلال اسبوع غادر الملك البلاد هو وعائلته وبعض حاشيته ومستشاره المخلص.

ولم يمض غير وقت قصير حتى أخذت أخبار الاضطراب والفوضى ترد الملك في منآه حيث اختار أن يسكن، فقال له مستشاره، هو ذا الشق الأول مما تفرست ودرست بدأ يتحقق وعسى أن يتحقق الشق الآخر.

ومضى وقت آخر وأخبار الفوضى وازدياد الاضطراب ترد الملك من مصادر غير رسمية ومما تذكره صحافة البلاد المجاورة، ثم من مصادر رسمية موثوقة.

وأخيرياً بدأ يفد على الجزيرة كبار المملكة وأعيانها يعرضون على الملك العودة إلى البلاد قبل أن يشتد الاضطراب ويستفحل الشرّ. ولكن الملك أظهر الإباء وعدم الرغبة في الرجوع.. غير أن الوفود أخذت تزداد والإلحاح برجوعه أخذ يشتد حتى لم يجد أخيراً بداً من الانصياع لرجاء الوفود وإلحاحهم، فعاد إلى مملكته، ولكن بعد أن شفتها الفوضى والإحساس بالنقص في جميع مرافق الحياة من مرض السآمة الذي كان فاشياً في الناس

صوت الشعور وصوت العقل وأيهما أولى بالاتباع

دعاالباري إليه ملك الموت وقال له: إمضى إلى فلان وقل له: لقد حانت منيّة أحد ابنك، فاذكر من تشاء منهما للفناء ومن تؤثره بالبقاء.

ومضى ملاك الموت إلى الرجل وأبلغه رسالة الباري، فقال الرجل: أما إن يكن في الأمر خيار فأنا أختار أن تصرف النظر عن ابني وتقبض روحي بدلهما؛ فقد ذقت من خير الحياة وشرها وتناولت من حلوها ومرّها ما فيه الكفاية، أما ابني فلا يزالان في أول العمر لم يكادا يفطنان إلى وجودهما بله الاستمتاع بهذا الوجود والمضي فيه إلى الحد الذي تشرع الحياة فيه تأخذ أكثر مما تعطي، فيهون الفناء ويؤثر الموت على البقاء.

فرزّ ملك الموت قائلاً: لا سبيل إلى ذلك، فالمنايا أقدار والأقدار لا تُحوّل ولا تُبدّل، فاختر أحد ابنك ودع لي الآخر.

فأجاب الرجل: أما هذه فلا، فأنا لن أكون جلا واحداً بنيّ، فإذا لم يكن سبيل إلى صرف النظر عنهما جميعاً فاختر أنت من يحلو لك منهما.

ولما لم يكن ملك الموت أخذ أمراً كيف يتصرف في هذه الحالة الطارئة طار مسرعاً ووقف أمام البري وقال له إن الرجل يأبى أن يختار ويدع لنا أن نقبض من نشاء منهما. ولقد اقرح اقتراحاً آخر وهو أن نقبضه إلينا وندع ابنه، ولكنني أفهمته أن ذلك غير مستطاعغ، فالمنايا أقدار ولا تحويل ولا تبديل للأقدار، فماذا تأمرون الآن يا صاحب الجلال؟

فأجاب الباري: إمضى إلى الرجل وقل له إننا سنقبض إلينا ابنيه معاً إذا أصر على عدم الاختيار، ثم ارجع إليّ وأخبرني ماذا يقول الرجل.

ومضى ملاك الموت إلى الرجل مرة أخرى وقال له: أمرني ربي أن أقبض ابنيك معاً إذا أصررت على عدم الاختيار، فماذا تقول؟

فأجاب الرجل ودموعه تسحّ على وجنتيه: يا هذا، ألا يكفيك أنت وربك أن تحرماني أحد ابنيّ وتصرّان إصراراً عجيباً على أن أختا أحدهما للفناء، فأظل العمر كله في نارين، نار الشكل ونار الإحساس بأنني قاتل أحد ابنيّ وأنني آثرت أخاه بالبقاء واخترته للموت والفناء في غير علّة ولا تبرير؟ قد تقول وقد يقول ربك: هناك فرق بين من يقتل رغبة في القتل ومن يقتل اتقاء أسوأ الشرين. وأجيب أنه لا فرق عندي في

ذلك، فالقتل قتل كيف باشرته وبأي حافز أقدمت عليه· فاعفني يا هذا من الاختيار، ولك فوق أحد ابني حياتي تقبضها متى شئت·

وطار ملك الموت ووقف أمام الباري مرة أخرى وأفضى إليه بكل ما قال له الرجل· فأجاب الباري: ارجع إليه وقل له: أما وقد أبيت أن تؤثر أحد ابنيك على الآخر وكان صوت الشعور فيك أقوى من صوت العقل فإنني صارف الموت عن ابنيك معاً ومنسٍ في أجلك أعواماً عديدة لترى أبناءهما وحفدتهما

لا تحرج أحداً إن كنت في غنىً عن الإحراج

أراد رجل أن يختبر وفاء صديقه وأمانته، فجاءه يوماً وقال له: أنا مسافر غداً سفراً بعيداً، وأريد أن تحل محلي في رعاية أهلي، وقد أوصيتها بأن تلجأ إليك في كل ما تحتاج· فضل الصديق رعاية الزوجة في غياب زوجها، وأخذ يرسل إليها كل يوم يسألها ماذا تحتاج فيرسل بحاجتها فيبتاعها ويرسلها مع أحد خدمه·

وفي ذات يوم أرسلت الزوجة تطلب الرجل إلى المنزل لأمر ذي شأن جليل، كما أوصت الرسول أن يقول: نخشى أن يكون أصابها سوء استدعى هذه الدعوة إلى المنزل، فأسرع إليها· وقرع الباب، فاستقبلته شابة كأجمل ما خلق اللّ النساء· فسألهخا: أأنت زوج صديقي؟ فأجابت مبتسمة: نعم، أنا زوجه· فعاد يسألها فيم أنفذت في طلبه· فشرعت تبدي من العلك وتفرض من الأسباب ما تبين له معه أنها لم تدعه لأمر واضح، فساوره شيء من الشك في مغزى دعوتها· ولكنه تجاهل الأمر جميعاً وودع وانصرف·

وعاودت الزوجة بعد حين تطلبه ليزور المنزل، ولكنه أبى الذهاب، وقال: إن أشغاله تقتضيه كل وقته، فلا يستطيع المجيء· وكررت الدعوة وكرر الرفضض·

وأخيراً جاءه صديقه وصافحه بحرارة شديدة وقال" الآن علمت أنك أنبل الأصدقاء وأوفاهم· فلم يفهم الرجل شيئاً مما عنى صاحبه وطلب إليه أن يفسّر سبب هذه الهزة العاطفية وهذه الشهادة المفاجئة بنبله ووفائه· فقال الرجل: اختلفت أنا وزوجي بشأنك، فهي تقول، إنك رجل كسائر الرجال، وأنا أقول، إن أمثالك قليل· وأخيراً اتفقنا على امتحان وفائك· ولا أريد أن أطيل عليك في وصف خطة الامتحان· ويكفي أن تعلم أنني لم أسافر قط إلى مكان بعيد ولا قريب، وإنما كل الوقت مختفياً في المنزل حتى ثبت لي أخيراً أنك أنبل الأصدقاء وأوفهم، فاسمح لي أن أصافحك مرة ثانية أيها الصديق الوفيّ··· بيد أن صاحبه لم يد يده ولم يصافحه· فسأله لم لا يمد يده ليصافحه مرة ثانية ويشكر وفاءه وإخلاصه العظيمين· فأجابه بمرارة: إن صديقاً يعرّض صديقه لمثل هذه المحنة التي عرضتني لها لهو صديق لا يؤسف على صداقته· فاذهب يا هذا، ولا ترني وجهك مرة أخرى·

وخرج الرجل يجر أذيال الخيبة، وكما أخبر زوجه بما جرى قالت: ألم أقل لك أنه رجل عادي لا يستحق كل هذا الثناء الذي تثني عليه، فنظر إليها زوجها نظرة قاسية وقال: واللّه لا أدري أينا أشد حمقا انتِ أم أنا· لقد فقدنا بحمقنا وسوء تدبيرنا خير الأصدقاء وأنبلهم نفساً·

الطبيعة العادلة

دار الحوار الآتي بين بصير وضرير :

ـــ أراك دائم الشكوى، ولو فكرت تفكيراً مجرداً لخفت شكواك من عمان أو زالت.

ـــ وما الذي سيجعلني أكف عن الشكوى أو أقلّل منها على الأقل ؟

ـــ إنك لو فكرت في الأمر تفكيراً بعيداً عن تفكير المصاب الموتور لرأيت أن الطبيعة لم تأخذ منك شيئاً إلا تعرضك منه أشياء.

ـــ وما هذه الأشياء التي عوّضتني بربك ؟

عوضتك الذكاء المفرط وعوضتك السمع الحاد وعوضتك الحس الشديد والقدرة على تبين الاجاه وأشياء أخرى غير هذه تقوم لك مقام البصر.

ـــ خذو هذه جميعاً، خذوها إن استطعتم أو استطاعت طبيعتكم العادلة التي تذكرون وردوا على بعض بصري، ردوا علي عيناً واحدة أو بعض عين، فأشكركم وأشكر الطبيعة العادلة بدموع الفرح التي ستسكبها هذه العين.

لا يموت الذئب ولا تفنى الغنم

شكا الراعي في صلواته إلى الباري كثرة سطو الذئب على غنمه وطلب إليه بحرارة أن يخلصه من شره ويكف أذاه، فتنعم الغنم بالمرعى الخصب والمهاد الوثير دون أن يروعها مروع. وألحّ الراعي في الطلب وبالغ في الشكوى حتى أرسل إليه الباري ملاكاً بصورة إنسان ليرده إلى العقل والصواب

ووقف الملاك على رأس الراعي ودار بينه وبين ذلك الراعي الحوار الآتي:

ـــ مالي أراك مهموماً يا هذا؟ عسى أن لا تكون فجعت بعزيز أو أصابتك مصيبة في مالك أو في ذاتك!

ـــ هو الذئب يا أخي! وهو لا يكتفي بالشاة الواحدة يقتنصها لغذائه أو عشائه، وإنما يعيث في القطيع عيثاً شديداً ويقتل في كل مرة يستطيع الوصول إليه بين خمس شياه وعشر شياه. وقد ضقت به ذرعاً، فلا الكلاب برادعته ولا سلاحي بحاجزه، فهو من الخبث والجرأة مع الحذر بحيث لم تعد تجدي معه كلاب ولا سلاح. وقد صممت إذا لم يستجيب اللّ لدعائي، أن أبيع غنمي وأخلص من شرّه.

ـــ وماذا كنت تدعو اللّ أن يصنع لك؟

ـــ دعوته أن يكف عني الذئب فتنعم غنمي بالمرعى الخصب والمهاد اللين الوثير

ـــ ولكن الذئب يجب أن يعيش، فإذا لم يصب الشاة بعد الشاة الحين بعد الحين فإنه مائت لا محالة.

ـــ ليمت وإلى جهنم وبئس المصير.

ـــ ولكن اللّه لا يريد له الموت والفناء، وإلا لما كان خلقه كما خلقك وخلق الشياه.

ـــ إذاً ليحيى الذئب ولتفن الغنم! أهذه مشيئة اللّ؟!

ـــ ولا هذه

ـــ إذاً ماذا

ـــ لا يموت الذئب ولا تفنى الغنم

ـــ ومن يضمن لي أن يكتفي الذئب بطعامه لا يزيد عليه ولا يمعن في الأذى كلما سنحت له فرصة الوصول إلى الغنم.

ـــ أنا أضمن لك ذلك

ـــ ومن تكون تى تضمن لي الذئب ؟

ـــ أنا ملاك اللّه أرسلني إليك لأردك رلى الصواب. ثم اختفي الملاك فجأة.

ومن ذلك الحين أخذ الذئب يكتفي إذا عدا على الغنم بشاه واحدة ـــ هذا إذا سالمه الرعاة ولم يحاولوا أن يؤذوه. أما إذا حرضوا عليه الكلاب أو بادروه بالسلاح فإنه لا يدخر وسعاً في تمزيق أكبر عدد يستطيع تمزيقه من الغنم فإنه يعلم أن هذه الفرصة التي سنحت له قد لا تسنح له نبعد أيام طويلة، فهو لذلك في حاجة إلى عدد من الشياه تبقى على الأرض ليعود إليها آمناً متى عاد إليه الجوع.

حاشية : أخبرني بعضهم أنه شاهد الذئب يهجم على بعض القطعان التي جاء بها أصحابها العراقيون إلى شرق الأردن، دون أن يحاول أصحاب الغنم ترويعه أو تنفيره، فعمد إلى أقرب شاة وافترسها مكانه بين الغنم ولم يبد الغنم شيء من الذعر كأنها ألفت ذلك منه. ولما انتهى غادر القطيع دون أن يحاول إيذاءه أذى يزيد على حاجته. وكما سُئل العراقيون في عدم تعرّضهم للذئب أجابوا: طعامه لا بد له منه

المزارع والكنز

كان يعيش في إحدى القرى مزارع نشيط هو وزوجه وبنوه الثلاثة· وكانوا جميعهم يقومون خير قيام على رعاية أرضهم والعناية بها حتى صارت مضرب المثل في القرية في جودة الغلال ووفرتها· فاستطاعت هذه العائلة أن تعيش عيشة طيبة، ولا تقول رافهة، لأن العيش الرافه ليس من خط المزارعين الصغار الذين عليهم أن يكدّوا ويكدحوا ولا يغفلوا طرفة عين عن ملاحظة الأرض وزراعتها وتنقيتها من الطفيليات إلى غيرهن من الأعمال الكبيرة والصغيرة في البيت والحقل والسوق والبيدر·

وفي أحد الأيام بينما كان الأب يحفر في الحقل قطعة من الأرض لا يستطيع فدّان البقر أن يصل إليها أحس برنين معدني تحت ضربات المحصول، فكشف التراب وإيا بصندوقٍ من البرونز، فأزاله من موضعه وعالجه حتى فتحه· وبهت الرجل وفغر فاه وأراد أن يصرخ وينادي بنيهوزوجه، ولكن لم تسعفه حنجرته· وظل على هذا الحال مدة لم يعرف مقدارها· فقد انحصر شعوره ووعيه جميعاً في هذا الذي يأخذ بريقه الأنظار· ولما تاب إليه رشده استطاع أن يقفز على رجليه ويذهب إلى بنيه وزوجه في الطرف الآخر من الحقل ويشير إليهم صامتاً أن يتبعوه·

ولما وصلوا إلى حيث كان الصندوق لا يزال مفتوحاً وقفوا كالمصعوقين وظلوا واقفين ينظر بعضهم إلى بعض نظرات زائغة موزعة دون أن يفوه أحدهم بكلة وأخيراً استطاع الزوج الذي كان أقلهم ذهولا أن يفتح فاه ويقول: أي بني وزوجتي العزيزة، لقد بسم لنا الحظ أخيراً، بل أقول قهقه لنا الحظ، فنحن الآن أغنياء موسرون أشد الغنى واليسر، أغنياء بهذا المال الوفير عن الكد والكدح آناء الليل وأطراف النهار، مستطيعون أن نترك هذه المعيشة المهنية المنهكة التي لا نكاد تختلف عن معيشة الدواب والبهائم شيباً· كما وصل الأب إلى هذا الحد من حديثه بهتت الزوجة والبنون، فهذه أول مرة يشير فيها الرجل إلى عملهم في الحقل هذه الإشارة وينعتها هذا النعت·

وهمت الزوجة أن تتكلم وتحتج، ولكنها عادت وعدلت عن ذلك خشية أن تسيء إلى هذه اللحظات السعيدة·

وانتقل المزارع هو وعائلته إلى المدينة، ولكن كانتقال السمك من البحر إلى البر، فلم يلبث جو المدينة الغريب وعيشها المريب وعاداتها وأساليبها التي لم يكن لهم بها خبرٌ ولا علم أن فعلت فعلها في الأب والبنين· فورّطوا فيما يتورط فيه عادة أهل المدينة الأثرياء من مسكر وميسر وما إليهما ولكن بشكل أشد وأخطر· فأهل المدينة في غالب

الأحوال يكون لديهم شيء من المناعة ضد المضيّ رلى أسوء حدود هاتين الرذيلتين· أما الطارئون على المدينة من أهل القرى، لاسيما إذا كانوا من ذوي الثراء المحدث، فلا قدرة لهم على الاعتدا أو الوقوف عند حد في ممارسة هاتين الرذيلتين وأشباههما· ومما جعل هذه العائلة أكثر تعرضاً لأخطار المدينة فضلاً عن الانتقال من القرية إلى المدينة انتقالاً مفاجئاً وحداثة الثروة أن هذه الثروة جاءتهم في غير كد ولا عناء، فلم يكونوا يحسون بقيمة ما بين أيديهم كما يحس عادة من يجمعون ثرواتهم بالجهد الشديد والعمل المضين·

وأخيراً لا بد مما ليس منه بد· لقد بدد الأب والبنون ثروتهم في خلال ثلاثة أعوام من سكناهم المدينة واضطروا أن يبيعوا منزلهم الفخم ويستأجروا منزلاً صغيراً في حي متواضع من أحياء المدينة·

وحاولت الزوجة أن تحمل زوجها وبنيها على شيء من العقل والتماسك· ولكن الداء كان أعمق مما تستطيع أن تصل إليه· وتبدد ثمن المنزل في وقت قصير· وأخيراً قالت الزوجة في لهجة بين الجد والتهكم: هيا زوجي وأبنائي الأعزاء، لقد طالت فسحتنا وغيبتنا عن حقلنا العزيز· إنه ليخيّل إليّ أن منزلنا الذي أوصدناه منذ ثلاثة أعوام وحقلنا الذي أهملناه يفتحان ذراعيهما الآن وينادينا مرحبين أن هيا رلينا يا أصدقاءنا الأعزاء، لقد طالت غيبتكم عنا وإنا إليكم لمشتاقون·

وفعلت هذه الألفاظ فعلها، فقال البنون: هيا نعود إلى الحقل ونترك هذه المدينة اللعينة· ولكن الزوج التفت إلى زوجته وسأل في نغمة يائسة· ولكن أنى لنا أعمال الذي نحتاج لإعادة الحياة إلى الحقل ونشتري أدوات الفلاحة والبذار والبقر؟! فقالت الزوجة: لا عليك في هذا: لقد ادخرت شيئاً من المال يكفي لابتياع كل ما نحتاج لإعادة إلى الحقل·

وعادوا جميعاً وابتاعوا كل ما يحتاجون لفلاحة الحقل وزراعته· ولكن الأيدي القوية والنفوس القانعة والمعيشة الساذجة لا يمكن شراؤها بالمال· لقد شعر الأب والبنون الآن بالبون الشاسع بين حياة القرية المنهكة المضنية وحياة المدينة الهنية المترفة، ففقدْ هذا الشعور في أعضائهم كما فثّ في أعضائهم من قبل البطل والسهر والشرب، فلم تعد أيديهم تلك الأيدي التي كانت تشد على المحراث وتقبض الفأس بقوة وأيد شديدين·

ولم يستطع الأب ولا البنون أن يضعوا شيئاً، فهجر البنون القرية وتفرقوا في المدن يمتهنون زحقر المهن· أما الزوج والزوجة فلم يقوي على احتما ما صاروا اليه، فتوفي الزوج أولاً وشعبته الروحية·

وهكذا استطاع الثراء الطارئ طروءاً مفاجئاً على عائلته لم تكن تحلم بالثراء ولا أحسته من بعيد أو قريب ـــ استطاع هذا الثراء أن يحطم هذه العائلة تحطيماً·

آمن بالقدر وقتلته الصدفة

اصطحب جبري وصدقي ودار بينهما الحوار الآتي :

ـــ أأنت تؤمن بالصدفة وتنكر القضاء والقدر ؟

ـــ نعم، أؤمن بالصدفة ولا أومن بقضاء ولا قدر

ـــ ولم تؤثر هذا الأيمان ؟

ـــ أوثره لأن يصالحني مع نفسي ويصالحني مع الناس ويصالحني مع اللّه، وهو ، كما ترى ليس بالشيء اليسير.

ـــ ولكن كيف تصالحك الصدفة مع نفسك وتصالحك مع الناس وتصالحك مع اللّه.

ـــ أما مع نفسي فإنني لا أنقم عليها إذا فشلت في مسعى أو قصرت دون غاية، فإن الكثير من أسباب الفشل والنجاح تقرره الصدفة أكثر من يقرره السعي.

وتصالحني مع الناس لأنها تدعني أكثر عطفاً عليهم وعذراً لهم إذا أساءوا إليّ أو إلى أنفسهم وإلى الناس، فإن الكثير من أسباب سلوكهم وأساءتهم ، إذا أساءوا، قررته الصدفة ولا تزال تقرره. وتصالحني مع اللّه لأنني بها أنزهه عن الظلم بفرض أمور محدودة مقررة على الناس لا يستطيعون أن يتخلصوا منها أو يحيدوا عنها.

ـــ ولكن أنت بهذا تنفي عمل اللّ في الحياة والخلق، وهذا غير معقول، لزن هذا الوجود لا بدّ له من موجد يحركه وييسره.

ـــ أنا أنفي عمل اللّه في الحزئيات وأقرّه في الكليات. فاللّه لا يقرر عثرتي إذا عثرت الآن. واللّه لايفتح فمي ويطبقه كلما تكلمت وصمتّ. واللّه لا ينقل رجلي كلما خطوت ويضعها كلما وقفت. وهكذا. بيد أن اللّه رنب هذه الكائنات ووضع لها أنظمة ونواميس تجري عليها وسير بها سيراً عاماً مطرداً. أما التفصيلات فقد تركها لعمل الصدفة التي تظل تعمل عملها في تقرير مصير الفرد وتحديد مآتيه وتوجيهها من قبل أن يولد إلى أن يموت.

ولم يشأ صاحبنا الجبري أن يقف عند هذا الحد من الحوار، بل راح يستشهد بأقوال الفلاسفة وكتب الدين في ضرورة الإيمان بالقضاء والقدر وإرجاع كل الحوادث إلى اللّه وإلزامه بها.

وفيما هما سائران بين الحقول وصلا من الطريق إلى مفترق، فهم الصدفي أن يسير في ناحية، ولكن صاحبه الجبري آثر الناحية الأخرى، فسارا فيها· ولم يمضيا إلا قليلاً حتى صرخ صاحبنا الجبري وقال: لقد لُدغت· والفتا، فإذا أفعى من النوع الذي لا يرجى البرءُ من سمّها تنسبا أمامهما· ونظر إلى الساق فإذا مفرز النابين فوق الكعب بقليل وبادر الصُرَفي إلى منديل وشده شداً قوياً فوق الجرح، وأخذ مدية وشطب الجرح وحوله· ولكن ذلك لم يجد شيئاً وسرى السم في جسم الملدوغ فتمدد على الأرض وبردت أطرافه وأخذه النزع· وقبل أن يجود بالنفس الأخير فتح عينيه والتفت إلى صاحبه وقال: أخبر أهلي وقل للناس: أمن بالأقدار وقتلته الصدفة· وأغمض عينيه وانقطعت أنفاسه وانطفأت شعلة الحياة·

من تواضع ارتفع

زار زائر قوماً في مجلسهم وأحب أن يجري حسب الحكمة المأثورة: من استكبر اتضع ومن تواضع ارتفع· فصرف نظره عن الأمكنة الخالية في الصور وفي الجانبين قريباً من الصدر وجلس في أحد الجانبين قريباص من الباب وجاء زائرون جدد اختاروا الأمكنة الخالية في الصدر، ثم جاء نجدهم واختاروا الزمكنة الخالية في الجانبين، وجاء غيرهم فاخطر الذين كانوا قريباً من الباب أن يخرجوا ليفسحوا مجالاً للوافدين الجدد، فأصبح صاحبنا عند الباب حيث يترك الزائرون أحذيتهم· ثم جاء وافد آخر ذو مكانة مرموقة، فسرت موجة الإفساح لهذا الوافد الأخير واكتسحت في طريقها زائرنا الأول، فأضحي خارج المجلس· وهكذا تحققتت له بشكل عملي حكمة التواضع المحمود

تصلح لمعارض الأزياء

أراد أميرٌ أن يتزوج، فوصفت له فتاة بالجمال البارغ والفتنة البالغة· فقال: ماذا بلغ من جمالها؟ فقيل له: ليس من امرأة إلا وتجسدها ونكرها لهذا الجمال· فقال: يخيل إليّ أن فتاتكم الموصوفة تكره لغير الجمال· فالكره الذي يجيء مع الحسد لا يكون إلا بين المتقاربين في صفات العقل أو الجسم أو من يتوهمون أنهم متقاربون· أما الذين تباعدوا في الصفات والسمات فقلما يتحاسدون ويتباغضون بسبب هذه الصفات، وإنما يتباغضون، إذا تباغضوا، لأسباب أخرى· فإذا صح أن الفتاة التي ذكرتم يكرهها جميع النساء فهي مكروهة لسبب آخر يغر إربائها عليهن في صفات الحسن والجمال فهل علمتم شيئاً آخر من أمرها؟ فرد عليه أحدهم: نعم، إنها ذات صلف وغرور وإحساس شديد بذلك الجمال الذي وهبها اللّ· فقال الأمير: هذه هي أسباب إجماع النساء على كرهها، فتشوا لنا عن فتاة أخرى· فهذه لا تصلح زوجة، وإنما تصلح لمعارض الأزياء

فلحس

كان فلحس أحد أشياخ البدو. ولم يكن يغزو مع الفرسان إذا غزوا، ولكنه كان يطلب حصة له إذا رجعوا غانمين فيعطونه. ولم يكن يكتفي بأن يطلب لنفسه، بل كان يطلب لوجه فيعطى ثم لبنيه فيعطى ثم لسلاحه فيعطى ثم لكلبه فيعطى.

وضاق أحد الفرسان يوماً بطلبات الشيخ فساق حصته من الغنائم وقدمها للشيخ وقال: هذه لبرودتك وسماجتك يا شيخنا، فقد أعسي كل شيء يخصك حصته إلا هذه. وضج الفرسان بالضحك الشديد، وكف الشيخ من ذلك اليوم عن طلباته العديدة، ولكن اسمه أصبح علماً على برودة وسماجته كل امرئ؛ يحاول أن ينال نصيباً من سعي الساعين دون أن يكلّف في سبيله أي جهد، فيقال" فلان أبرد وأسمج من فلحس، إذا كان هذا الفلان من يطلبون ولا يسعون.

الزنبور والنحلة

قال الزنبور للنحلة بماذا تُدلين يا هذه وتنخرين؟ جسمي كجسمك، بل أنا أكبر حجماً وأقوى جناحاً وأحمى حُمة. وأقع على أطايب الأثمار مثلك وأرتوي من عصيرها كما ترتوين. وأبني بيتي كما تبنين. فخلاياه كخلاياك وزواياه كزواياها، فبماذا تُدلين.

فأجابت النمية: ماذا فيي بيتك، وماذا تحوي خلاياك؟

وهنا بسط الزنبور جناحية وطار دون أن يجيب.

مبتكر !

سمع أن التقليد من صفات القردة والمتوحشين والأطفال الصغار، ولم يكن يحب أن يكون طفلاً ولا قرداً ولا متوحشاً، فرأى إلى ما يفعل الناس ويفعل هو مثلهم، فهاله ذلك ولم يبق عنده شك في أنه متوحش أو قرد أو طفل صغير، وصمم على أن يتخفف من بعض هذه المشابه بينه وبين الناس وأخذ يستعرض أعماله عملاً عملاً، فبعضها وجده لا يمكن الاستغناء عنه أوتبديله بغيره وبعضها الآخر وجده مما يمكن تبديله أو الاستغناء عنه· فمما وجد مما يمكن الاستغناء عنه النطق ومما يمكن تبديله والاستعاضة عنه بغيره المشي، فصمم، حتى لا يكون كالقردة أو الأطفال أو المتوحشين، على أن ينقطع عن الكلام الذي يمارسه الناس، وصمم كذلك على أن يستعمل أربعة بدل اثنين حتى لا يسير كما يسير كافة الناس· وهكذا رآه الناس في اليوم التالي يسير على أربعة ولا يجيب عن أسئلتهم أي جواب كما أخذوا يسألونه، والدهشة ملُ عيونهم، عما به وما الذي أصابه·

الضعيف الذي لا ضرع له

قال الجدي لأمه

ـــ لا شك أن أصحابنا يحبونك يا أمّاه أكثر من الماعزة الأخرى، فهم يلاطفونك ويقدمون لك خير العلف، والصغار دائموا التعلق بك، فما سر ذلك·

ـــ أنظر إلى ضرعي يا بني وإلى ضرع الأخرى تعلم السبب

ـــ إنني لا أكاد أرى فرقاً في كلا ضرعك وضرعها

ـــ ألا ترى أن ضرعي أكبر من ضرعها ؟

ـــ نعم هو كذلك، ولكن لست أرى علاقة ذلك بإيثارهم إياك على صاحبتك تلك·

ـــ إن في ضرعي من الحليب ما لا يجدون إلا بعضه في ضرع الأخرى، فهل فهمت ؟

ـــ أحسب الآن أني فهمت، وأخال أنني سأكون محبوباً مثلك إذ سيكون ضرعي كبيراً حافلاً بالدر كضرعك·

ـــ لن يكون لك ضرع أيها المسكين·

ـــ إذا لن أكون محبوباً مثلك.

ـــ حبذا لو وقف مصابك عند هذا الحد.

ـــ اذا سيحل بي إذاً ؟!

ـــ إنهم سيقاضون من حليبك بحجمك، فاستمتع بالبقية الباقية من عمرك أيها المسكين.

بين الخمرة والميسر

بعد أن وُلدت الخمرة وولد الميسر في أقدم الأزمان اجتمعا، فقالت الخمرة: أنا أبلغ منك أذى وأشهر شراً. وقال الميسر: بل أنا أعم منك شراً وأكثر أذى.

ولما لم يتفقا ذهبا إلى الشيطان يحتكمان إليه وعرضا قضيتهما عليه، فقال: بالامتحان يكرم المرء أو يُهان: إمضيا في الأرض وسيرا في طولها وعرضها وابذلا جهدكما في أذى الأجسام والنفهى وانشرا الخراب والشقاء في البيوت ومهدا للإجرام والموبقات، فمن بدا الآخر في هذه جميعاً كان هو الأول وانتهى إليه قصب السبق والتبريز.

ومضيا من حضرة الشيطان وسارات في الناس سيرتهن المعروفة، ولكن لم يستطع أحدهما إلى يومنا هذا أن يُثبت بشكل قاطع أنه بذّ الآخر. فكلما ضرب أحدهما ضربة ضرب الآخر ضربةً تفوق تلك قوة وعنفاً، فالحرب لذلك بينهما سجال، وستطول وتستمر طول كل حرب لا يظهر فيها أحد الخصمينعلى الآخر.

طليق الصَغَار

اعترض الشيطان أحد الوافدين على جهنم، وسأله: من أنت ؟ فقال: أنا فلان· فقال الشيطان: وفيم نلت شرف المجيء إلى هنا؟ فأجاب: لا أدري·

ونظر الشيطان في سمكة وعاد يقول: يا هذا، في سجلي أنك ظللت حياتك كلها صغيراص، ولا مقام عندنا لصغير مثلك، فأغرب عن وجهي·

ومضى الرجل يجر أذيال الخيبة· ولكن أتدري أين مضى وأقام؟!·····

بين الربّان والدفة

ثارت العاصفة واشتد النوء وجرجرت الأمواج وتلاحقت غضبى مزمجرة، واشتد بأس الربان وتلته الحيرة، فخاطبته الدفة وقالت: يا هذا، لا تنس أنّك أنت الربان وأنك أول من في السفينة وآخر من فيها... فثاب إلى الربان رشده وسلمت السفينة ونجا الركّاب

أوهام الغرور

رآهما تتجادلان بحرارة وتشيران نحوه، فقال: لا شك أنهما تختصمان عليّ، ولكنني لن أكون لإحداهما، فالفتاة التي لا تحتشم من الجلوس على قارعة الطريق هي فتاة مستهترة لا تصلح زوجة لي ولا أمّاً لبنيّ.

وبلما بلغ صاحتا حيث كانت الفتاتان جالستين سألتاه ضاحكتين: هل لك أن تحكم بيننا فيما اختلفنا عليه؟ فتخفق قلب الفتى خفقاً ضديداً وأيقن بصدق فراسته. ولكنه ظل مصراً على رأيه الأول وهو أن من تجلس على قارعة الطريق وتشير إلى المارّة لا تصلح زوجة له ولا أماً لبنيه. فصمم على أن يجيبهما بالرفض مهما تعلقتا به وأصرنا على حبه.

وبعد أن دارت هذه الأفكار دورتها لاسريعة في ذهن صاحبنا التفت إلى الفتاتين وقال متكلفاً أشدّ ما يستطيع من عدم المبالازة: مذا تودان أن تقولا؟ فأجابت إحداهما: لقد اختلفنا في أي حذائياً أشد انسجاماً مع الثوب الذي تلبسه صاحبة الحذاء، وقلناسنحكم هذا الآتي فيما اختلفنا عليه، فنرجوك أن تحكم لحكمك الصائب فلا تحابي ولا تضن بكلمة الحق.

وعاد الفتى أدراجهوهو يقول: كلا حذائيكما أيتها الفتاتان العابثات أشد انسجاماً من أوهام الرغبة وأحلام اليقظة ونزوات الغرور.

أما الفتاتان فلم تعنهما عبارة الفتى الغامضة ولم تقفا عندها طويلاً وعادت إلى الجدال في أي حذائيهما أشد انسجاماً.

إذا لم يكن سبيل إلىالكمال فأرب السبل إليه

جلسوا حول المائدة وأخذوا يتناظرون ويتحجاورون في الأمر الذي جلسوا جلستهم تلك من أجله، ولكن واحداص منهم لم يستطع أن يأتي بحل يرضى عنه الجميع، فكان كل خيل إلى أحدهم أنه أتى بالحمل الأكمل يجيء آخر وينقضه عليه· وهكذا طالت جلستهم وكثر جدلهم وامتدت مناظراتهم في غير طائل· وأخيراً قال أحدهم: إذا لم يكن سبيلاً للحصول على أمثل الأحوال وأكملها فالحكمة تقتضي أن يختار الحال الذي يكون أقرب الأحوال إلى الكمال، وإلا طال الجدل وامتد المناظرة إلى ما شاء اللّه وتعطل العمل من جرّاء ذلك وهو ما لم تجتمعوا لأجله· ورأوا الصواب فيما اقترح، فقالوا: إذاً تختار أمثل الأحوال وأقربها إلى الكمال، فاختاروا وساروا على الذي اختاروا، فأرخت النتائج وقالوا: حبذا لو سلك الناس أجمع في حل مشاكلهم هذا المسلك وحلوا مسائلهم على هذا المبدأ واصطنعوا أرب الأحوال إلى الكمال إذا أعجزهم الحصول على الكمال المطلق ـــ إن يكن سبيل إلى الكمال المطلق·

أنانية حمقاء تُستغَلُّأحسن استغلال

تقاتل إنسان وكان يرقبهما شخص ثالث يمت بصلة قرابة إلى أحدهما، وأوشك أحد الخصمين أن يتغلب على خصمه قريب الشخص الثالث، فاستنجد هذا بقريبه الذي كان يشاهد المعركة لاهياً بطعامه أمامه وبما يرى من اختلاف قوى المتقاتلين وتباين أساليبهما في القتال· إلا أن هذا لم يصنع شيئاً ولم ينجد قريبه الذي أخذ يزداد شدة في الاستنجاد تبعاً لازدياد اللطمات التي كان يكيلها له خصمه، إنما قال مهدّداً: إصفا ما تشاآن، ولكن لا تدونوا من طعامي وأدرك قريبه الذي أوشك أن يغلب على أمره متحملات هذه النفيسة، فاستغلها على النحو الآتي: بذل أقصى جهده حتى حوّل خصمه من مجال المعركة الذي بدأت فيه إلى قرب صاحبه المتفرّج، ثم بذل جهداً آخر حتى أوطأه طعامه· وعندها صاح صاحبنا الذي انقلب طعامه أمامه وقال: ألم أنذركما ألا تدنوا من طعامي ؟ سأري هذا المستهتر الذي سكب طعامي أي ثائر لقه أنا· وشمّر الرجل عن ساعديه وأقبل على خصم قريبه الذي قلب وعاء طعامه وبضربة واحدة ألقاه على الأرض فاقد الوعي والشعور· وهكذا تخلص صاحبنا الذي كاد ينخذل شر انخذال باستغلاله هذه النفيسة التي لا تتحرك ولا تثور إلا إذا مُسَت مصلحتها مساً مباشراً

لا يُجاب طلب لراكع

ظل راكعاً يدعو ويتوسل في إلحاف وضراعة ساعات طويلة· وأخيراً ناداه صوت خفيٌ من أقصى المعبد: يا هذا، لقد أطلت الركوع، قف على رجليك، فلن يجاب طلبٌ لراكع·

وغادر الرجل المعبد ومضى لغايته وقرع باب المنزل الفخم، فقيل له: إن صاحب المنزل مشغول، فجيء غداً· فأجاب: لقد جئت في الموعد المضروب، فإما قابلني الآن وإلا فإنني لست بعائد غداً ولا بعده·

ودخل المسؤول عن رؤية الزائرين قبل السماح لهم بمقابلة سيد الدار ثم عاد وهو يقول: تفضل إن السيد في انتظارك ودخل صاحبنا وحيٍ ثم جلس دون أن ينتظر دعوة للجلوس من الرجل الكبير· وبعد ساعة خرج وعلى فمه ابتسامة الظافر وهو يقول: حقاً لا يجاب طلبٌ لراكع· لقد صرف صاحب الصوت الخفي في المعبد، فشكراً يا صاحب الصوت: لقد نصحت وأخلصت النصح وناديت فزحسنت النداء·

ينمو سريعاً ويزول مسرعا

قالت بثقة لصاحبتها: أنظري إلى هذا الفطر كيف ينمو مسرعاً فيبلغ أقصى نموه في أيام قلائل، وهكذا لا يتعرّض لمثل ما تعرض له نحن من طول المكث في الأرض وعال وجه الأرض حتى نبلغ أقصى نموّنا، فتعرض من جرّاء ذلك للأشد تقلبات الطقس وأبلغ نقائض الجو والمناخ، فتارة ينفحنا القر وأُخرى يلفحنا الحرّ وحينا نغرق في الماء وحيناً آخر نشتهي الأنداء، ويوماً نكون في ريح عاتية توشك أن تأخذنا من الجذور وآخر نحس كأن كل ريح مقيد مسجور.

ولما انتهت النبتة الأولى من المقابلة بين حظيهما وحظّ الفطر، ردت عليها الأخرى هذا الرد الوجيز: إذاً ينمو سريعاً ويزول مسرعاً كذلك.

لا يهن الأبي وإن خذله الوليٌ

ورث ابن عرس منزله عن آبائه وأجداده الذين بنوه وعمروه وحموه عشرات الأجيال إلى أن رأته الأفعى فأعجبت به واشرأبت اليه وقالت: هذا مأواي ومنزلي، فقد انسابت إليه ومرت خلاله منذ أجيال إحدى جداتي، فهو لي بحق الأرث والإنفاق والمكث ولن أدعه لهذا الدعيّ يستأثر به هو وذريته من دوني.

وانسلّت الأفعى إلى النفق في غفلة من ابن عرس، فلما أفاق ورآها مكوّرة منداحة في أحد جوانبه اضطرب وصاح: دعي منزلي أيتها الأفعى، فهو منزلي ومنزل آبائي وأجدادي، ولقد حموه وحميته وصانوه وصنته عن كل باغ أثيم ومن أدعك تستقرّين فيه وفي كفي ظفر يمزق وفي صدري قلب يثور. وتحفّز ابن عرس وتهيأ للوثوب والتمزيق.

ولما شاهدت الأفعى ضبع ابن عرس وأيقنت بالجدّ من أمره وأدركت أنه لا قبل لها بأنيابه المديدة ومخلبه الشديدة ووثبه السريع وضربه الذريع لجأت إلى الحيلة ولامكر واصطنعت اللين والرفق وتوسلت بالدمع وأظهرت منتهى الخشوع والذلة وقالت: ابن عرس، أيها العزيز! منزلك رحب وصدرك أرحب وبيتك واسع وقلبك أوسع، وقربت بلا مأوى آوي إليه واحتمي به، فهلا تركتني في ركن من أركان منزلك الوسيع أعش معك عيش الإخاء وأخالطك خلطة الوفاء فلا أوذيك ولا تؤذيني ولا أعاديك ولا تعاديني ولا أعيد عليك ولا تعين عليّ.

فردّ ابن عرس: أيتها الماكرة الخبيثة، كيف أطيق أن أسكنك معي واخلطك بنفسي وكيف آمن بغيك وغدرك على نسلي وذرّيتي؟! لقد أخرجت أنت وحليفك ابليس آدم وذيّته من جنات النعيم لأنه آثر معك اللبن واصطنع المق، ولن أكون آدم آخر أيتها اللعينة، فهيا اخرجي وارجعي من حيث أتيت، وإلا فهي الحرب التي لن تكف والدماء التي لن تجف حتى أطهر منك منزلي ومنزل آبائي وأجدادي.

ولم تشأ الأفعى أن تنزل على حكم العقل ونسيت عجزها ولجأت إلى ما في حجمها من غدر وفي أنيابها من سم وفي خلقها من انطواء وفي طبعها من التواء، فلم يبق بدٌ من حرب ونضال لا يهدآن حيناً إلا ليهيأ أشدّ وأقوى ولا يفترق بهما الخصمان إلا ريثما يستردان الأنفاس ويستجمان.

وأيقنت الأفعى بعد طول تجربة وخبرة، أنه لا قبل لها بابن عرس في ميدان الحرب والقتال، فهو يدافع عن وطنه ويرد عن حوزته، ويدفع عن وطنه فقوته قوة الحق وصبره صبر المؤمن وإصراره إصرار اليقين، فقالت: يا هذا، لقد طال قتالنا وسالت

دماؤنا وشاتد البلاء واستحكم الكرب، فهل لك بالاحتكام المرتضاة عدول لا ينحازون إلى باطل ولا يميلون مع هوى ولا يحولون عن حق، فإن حكموا لك فهو مأواك ومنزلك وإن حكموا لي فهو منزلي. فقال ابن عرس: خسئت يا هذه! فالأوصان الحر على أهلها من أن تعرض للضياع بالأحكام والمفاجأة، وعاد يلطم الأفعى أشدّ اللطم فيمزق اللحم ويوهن العظم.

وترامت أخبار المعركة إلى سائر الحيوانات وفيها بنات عرس مهتمين يرين هل يستطعن الفصل بين الخصمين، واقترحت جماعة الحيوان العحكيم، فأسرع الأفعى إلى القبول وأسرع اتبن عرس إلى الرفض بيد أن بنا عرس أصدرن على قبول التحكيم وقلن: إن نصفك القضاء فذلك ما تود وتود وإن لم ينصفك فستعود إلى قتال الأفعى ونحن معك، فأنت الكاسب في كلا الحالين، فأجاب ابن عرس: يا أخواتي من بنات عرس، لا تذعن سبيلاً لهذه الماكرة الخبيثة عليّ، فأنا شديد الفزع من المحكمين قليل الثقة بحكمتهم وعدلهم وتجرؤهم في المسائل الخطيرة والقضايا الكبيرة التي يجزل فيها العطاء وتضاعف وسائل الإغراء. وأنتن تعلمن أصدق العلم مبلغ كيد الأفاعي وخبثها ومكرها وتوسلها بكل وسيلة واصطناعها كل حيلة في تحقيق لباناتها وتأييد باطلها، فإذا حكم لها القضاة باتت في يدها وثيقة تؤيد باطلها وتذكي قوتها وتركز جهدها وتؤكد عليّ وتظهرني مظهر المعاند الذي لا يستمع إلى حق ولا يقبل حكماً ولا يصبح إلى حجة. فدعنني أناجز هذه الباغية الآثمة إلى أن يقضي اللّه قضاؤه.

بيد أنا بنات عسر اجتهدت غير اجتهاد صاحبهن وقبلن التحكيم وكرّرت الوعد بالمساعدة في ساحة القضاء وبعدها في حومة القتال إذا احتيج إلى قتال.

وتدعاى الخصوم واندثرت الأفعى تكيد كيدها وتمدّ حبائلها وتقدم وسائلها، وحكم القضاة حكم الزيغ والهوى لا حكم الشرف والثقة وقضوا بالتفسيم وأذنوا بتمزيق الوطن الذي لا يمزق. وتجزئة تلكمزل تلذي لت يةز ،وهطتء حيو شُدابه إلى الأفعى.

وقال ابن عرس بين أشد الأسى وأمرّ الحسرة: يا اخواني بنات عرس هذا الذي كنت أخشى وأحاذر ولم يبق بد من استئناف القتال ومعاودة النضال. ولن يطول الأمر بإذن اللّ وبما نجمع من قوانا ولو حد في غايتنا حتى نقضي على الأفعى الباغية ويرتاح وطننا الأكبر وهو وطني وأوقاتكن من كيدها واعتدائها وبغيها، فهي إن نجحت في إخراجي من منزلي فلن تقف عن أوطانكم ولن تنعمن طويلاً بالاستقرار والأمن والدعة.

وردت بنات عسر بقوة وحزم: قريباً إلهي العزيز، قريبا ترى ما تسر به وتسرنا جميعاً ومضين يتهيأن ويستعدون ليضربن الأفعى الباغية الضربة التي تقصم ظهرها ورتيح في شرها.

وأدركت الأفعى الخطر المحدق، فلجأت إلى الكيد والحيلة مرة أخرى وأقبلت تقول لواحد في بنات عرس: دعني وخصمي يا هذا، وسأملأ لك منزلك بأنفس الدرّ والجوهر وأطراف التحف وأوفر المال، فأنت تعلم قدرتي على هذا جميعاً، فكم فقد أغنيت وكم

صعلوك رفعت وذوي خصاصية كفيت· وقالت لآخر: لك فيّ إن تركتني أناجز ابن عرس وحده عرس الخيال وأسنى الجمال في أسمى الجلال، فأنا أول من تطيع النساء وآخر من تعصي، فطنيني من طنيني وطبيعتهن من طبيعتي، ولن يردد لي أمراً أو نجيتن لي أملاً، ووقت للثالث: في منزل خشيت وفي ملكك فقر وحرج وأنت أهل لأوسع المنازل: وأغنى البقاع، فإذا تخليت عن ابن عرس واكتفيت في تأييده بالكلام فسيكون لك نصف بيته تضمه إلى بيتك وتوسع به منزلك· ولرابع قالت: إذا غلبني ابن عرس وطدرني من منزله واستأثر به من دوني فسيشعر القوة ويعتدي عليك ويطردك من مندلك، فأنت لا بد تعلم أن القوة أبداً تغري بالاعتداء وتحمل على البغي·

واستمعت بنات عرس جميعاً لما منّت الأفعى ووعدت واتفقت على أن يؤيدن صاحبهن بالأقوال دون الأفعال حتى لا يقال: إنهن نكلم ونكصن على أعقابهن فيما وعدن·

وأدرك ابن عرس ما يراد به فساستولى أولاً عليه شعور الاشمئزاز ثم شعور الكبرياء والاعتزاز بالنفس، فقد تبين الفرق الهائل بين امتناعه على وسائل الؤغراء والتفريق وامتناع بنات عرس، فازداد ثقة بنفسه وشعوراً بصلابته وإيماناً بحقه واعتداداً بكرامته، فتضاعفت قوته والهبت جميته واعتلى تصميمه، فعاد إلى الأفعى بعزم لا يرد وقوة لا تحدٌ وتصميم عبر التضحية لا يلن ولا يلين،وإن هي إلا جولة أو جولتان حتى سحق برأسها وفصل جسمها عن عنقها وأراح إلى الأبد نفسه وذريته من شرّها وسلم لـ وطنه وسلم شرفه· أما الذين خاووا الأمانات لهم خزي وعذاب أليم·

ذو العيب تنجيه عيوب غيره

كان أحد الملوك يُعنى عناية شديدة بتربية الدواجن من دجاج وإوز وبطّوحمام وأرانب وخلافها، وكان يفخر بأنّ النماذج التي يقدمها كل عام لمعارض الدواجن تنال دائماً الجوائز الأولى. وظل الحال يسير هكذا كما كان الملك يشتهي ويحب من امتياز دواجنه ونجاحها في كل معرض من المعارض إلى أن اهتدى إلى حضائرها تقلبٌ خبيث وأخذ يسطو عليها ليلة بعد ليلة وأسبوعاً وراء اسبوع وهو لا يختار إلا أجودها وأسمنها.

وانتبه الحرّاس إلى فعلة الثعلب وأخذوا يترقبونه ويتربصون له وراء الأسوجة وبين الحضائر وخلف الشجيرات والأشجار ولكن دون أن ينالوا منه منالاً، فقد كان الخبيث من القدرة على الانسلال والروغان والاشففا بحيث لم تجد معه حراسة ولا مراقبة. وأخيراً لم يجد بداً من نصب الفخاخ له في مختلف النواحي التي تقوم عليها الحضائر. ولكن حتى الفخاخ لم تستطع أن تقع من الثعلب على موطن غفلة أو اغترار، فقد كان يحتال لها ويستل الطعوم منها برشاقة ولباقة دون أن تناله بأذى.

وضاق الملك وأعوانه ذرعاً بالثعلب وفعلاته التي كان يفعل كلّ ليلة، فأوحى إلى أمهر الصناع في دولته أن يضعوا فخاخاً لا ينجون من فكها من يباشرها مهما بلغ من سعة الحيلة والمكر والدهاء.

وصدع الصناع بأمر وأخرجوا نوعاً من الفخاخ خيّل إليهم أنه أصدق في عمله من الأجل المُتاح. ونصب هذه الفخاخ، وجاء الثعلب وأدرك بغريزته وخبرته معاً أنه إزاء خصم لا كالخصوم الآخرين الذين عرف وجرّب، إنما هو إزاء خصم يحمد معه الإحجام والأقدام والمسالمة على المخاصة، ولكن من ناحية أخرى عزّ عليه أن يذلّ وينخذل أمام هذا الخصم الجديد. فشرع يتحسّس طريقة إلى الصعوم الشهية في هذه الفخام بحذر وأناة ومداورة لم يشعر قط أنه احتاج إلى مثلها فيما عالج من فخاخ ومصائد وراغ من صائد ومطارد في طياته أجمع. واستطاع أخيراً أن ينجو بالطعم الشهي من أحد هذه الفخاخ وينجو برأسه، وإن لم ينج ذنبه الطويل المنسدل، فقد أطبق الفخ عليه بفكيه القويين ولم يشأ أن يدعه ويرخي عنه. قبضته برغم كل ما حاول الثعلب وشدّ ليخلّصه.

وأدرك الثعلب أنه هالك لا محالة إذا بقي مشدوداً إلى الفخ حتى يجيء الصباح، فاستدار وقرض ذنبه من حيث كان عالقاً في الفخ العنيد، وانصرف وهو يقول: إن سائر الجسم يفتدى بأحد أعضائه، والذنب هو أهون أعضاء الحيوان شأناً، ولا أدري لأي شأن خلقه الباري لهذه الحيوانات فيعلق في كل فخ منصوب ويورّط صاحبه سر ورطة.

وانصرف الثعلب مخلفاص وراءه ذنبه والفخ بعد أن بال عليه· ولما جاء الحراس في الصباح ورأوا ذنب الثعلب وشاهدوا آثار بوله على الفخ استشاطوا غيظاً وأقسموا لينالُنّه مهما كلفهم الأمر، واستصدروا أمراً من الملك بزن تجري مطاردة عامة في طول البلاد وعرضها لجميع الثعالب، فمن وجد بينها البتر بدون ذنب أمسك حيّاً وجيء به إلى قصر الملك ليعذب شرّ عذاب وأدومه ويموت أشنع ميتة·

وبلغ الأمر الذي أصدر الملك مسامع الثعلب، فأدرك أنّه هالك لا محالة ومائت شرّ ميتة إذا لم يحتل لنفسه ويجدمخلصاً من هذا المأزق الحرج، فأسرع إلى تلة عالية وعوى العواء الذي تجتمع له الثعالب، فلم يلبث أن أقبلت الثعالب من كل الجهات واجتمعت حوله وأخذت تسأله ماذا يريد بعوائه وأي أمر خطير حمله عليه· فزجاب: لقد عض ثعلب أحمق إبناً للملك عضة قوية أودت بحياته، فأقسم لينالنّ ذلك الثعلب ويعذبه أمرّ العذاب وأدومه، وقد أطلق أعدائه منذ اليوم لياطردوا ذلك الثعلب ويمسكوه حيّاً، ولسوء حظ الثعالب جميعاً ليس لدى الملك وأعوانه من أوصاف ذلك الثعل إلا أن يجر وراءه ذنياً طويلاً كثيف الشعر وهذا الوصف يكاد ينطبق على الثعالب جميعاً، فرأيت من باب الاحتياط أن أتخلص من ذنبي فلا يبقى للملك وأعوانه سبيل عليّ من طول وشعر غزير في الذنب· وقد قبل، وصدق من قال، فضلة كلّ إزار في النار، ولا يكاد هذا القول يصدق في حال من الأحوال صدقه على الحال لاذي نحن فيه، فعليكنّ أيتها الثعالب، إذا أردتن أن تنجون من غضب الملك، أن تتخلصن من أذنابكن كما بادرت أنا وصنعت·

وانطلت حيلة الثعلب الخبيث على بقية الثعالب، فأقبلت على أذنابها تقضمها وتتخلص منها، فأصبحت جميعاً بتراً بلا أذناب·

وبلغ الملك أن الثعالب جميعاً باتت بتراً بلا أذناب، فأدرك أنه يستحيل استفراد الثعلب المنشود وإلحاق القصصا به إلا إذا طوردت جميع الثعالب وأمسكت وقتلت جميعاً، وهذا لو أمكن لا يريده الملك ولا يأمر به· فالثعالب من حيوانات الفراء الثمينة·

الملك المغرور

كان يحمي بلدا ص من البلدان ملك استولى عليه الغرور واستحوذت عليه الأوهام والاعتقاد بالسحر والخرافات· فلقي منه شعبه عنتاً شديداص وبلاءً عاماً وساءت أحوال البلاد سوءاً بالغاً وفسدت مرافقها فساداً شاملاً وعمتها الفاقة البؤس والأعواز· لقد خيل للملك غروره أنه من طينة غير طينة البشر وأنه بالآلهة أمت وإليها أقرب· فاستنزف ثروة البلاد وبددها في إقاسمة القصور العظيمة والمدائن الملكية وتزيين هذه القصور والمدائن بالجوهر النفيس والذهب الخالص والمرمر والعاج وما إلى هذه من وسائل التجميل والتزيين، وأسرف أيما إسراف في إقامة الحفلات واولائم والاستعراضات·

ولقي الناس من جراء استحواذ الشعوذات والأوهام على عقل الملك عنتاً أشدّ، فصودرت حرية الفكر وتأخر البحث وتقهقرت العلوم وانزوى العلماء والباحثون وبرز السحرة والمشعوذون· وعلى الأجمال لقد ساء أمر الناس والأشياء سوءاً جعل كافة الناس لا يتمنون شيئاً إلا زوال هذا الملك المأفون والخلاص من هذا الحال الذي أوشك أن يمضي بحياة البلاد إلى العدم· لكن أحداص لم يستطع أن يصنع شيئاً لإزالة هذه الحال أو تهوينها· لالثورة كانت بعيدة الاحتمال لأن الملك وأعوانه أذلوا الناس ذلاً لم يبق لأحد معه طاقة للتفكير في الثورة بله إشعالها والاصطلاء بنارها· واغتيال هذا الطاغية المأفون كان دونه خرط الفناء، فقد كانت تحرس قصوره المنيعة دائماً أحسن فرق الجيش وأشدها إخلاصاً وتفانياً في خدمته·

وقد استطاع هذا الملك أن يحصل على تأييد الجيش وإخلاصه، لزنه لم يضن على قواده وأفراده بالعطاء الجزيل ولا بإقامة الحفلات والولائم ولا بالكسى والهبات الخاصّة والعامة وما إلى هذه من أسباب الإغراء والاستمالة·

ولكن إذا كانت الثورة بعيدة الوقوع والاغتيال غير ميسور، فقد بدا لبعض الناس أن قتل هذا الملك المغرور بغروره أمرٌ غير بعيد الاحتمال· ولكن كيف؟ لقد رأى نفر من ذوي الحيلة والدها والعقل الراجح أن خير ما يتوسلون به لبلوغ هذه الغاية هو السحر يسلطونه على عقله تسليطاً أقوى وأشدّ حتى يؤمن إيماناً مطلقاً بقدرته الفائقة وقيمته البالغة وضرورته الشديدة لتكميل الشخصية وبلوغ الكمال·

ولم يجد هذا النفر الذي ذكرنا صعوبة كبيرة في بلوغ هذا الهدف، فقد اندسّ بين حاشية الملك أبرعهم حيلة وأحكمهم لمعاطفة وأقدرهم في تدبير، بعد أن لقى من قنون السحر وأساليب الشعوذة ما جعله يبز جميع السحرة والمشعوذين·

واستطاع صاحبنا أن يكتسب ثقة الملك في وقت قصير، فبدأ ينفّذ خطته في دقة وإحكام شديدين. فقد أوهم الملك أنه بلغ ما فوق الكمال البشري ولم يبق إلا أن يشرك الآلهة فيما تجري من أي جيب وخوارق. وسأل الملك متلهفاً كيف يتم ذلك؟ فأجابه صاحبنا بأن الأمر متيسر عن طريق السحر، فالسحر هو أبو الخوارق والأعاجيب. فقال الملك: إذا كان الأمر يتم بالسحر فأنا مستعد أن أتلقى فنونه عنك. فأجابه صاحبنا بأنه على أتمّ الاستعداد لتلقين الملك أرقى فنون السحر واصطناع الأعاجيب مما سيجعله حتماً من رهبط الآلهة الخالدين.

وشرع صاحبنا يلقّن الملك أساليب الشعوذة واصطناع الأعاجيب ولكن دون أن يجعله يدرك بأية حيلة كانت تتم هذه الشعوذات والأعاجيب. فكان يقول له مثلاً: إذا قرأ الساحر هذه الأرقام أو هذه الحروف كذا مرّات في دهليز مظلم ظهر له فجأة ضوءٌ باهر وخرجت منه حمامة تطير وتقع على رأس الملك. وقد أجرى هذه الأعجوبة صاحبنا أمام الملك ولقّن الطريقة التي تتم بها الأعجوبة ليجريها هو وأجرى الملك الأعجوبة فعلاً، ولكن طبعاً بحيلة صاحبنا التي لم تكن ظاهرة لعيني الملك الغبيّين. وأخذ ساحرنا يتدرج مع الملك من الصعب إلى الأصعب حتى تاقت نفس الملك أخيراً إلى اصطناع أعجوبة عظيمة يبهرها أبصار شعبه فيقرّون له بالألوهة والخروج من رتبة البشر الفانين إلى رتبة الآلهة الخالدين.

واقترح صاحبنا عدّة اقتراحات ولكن لم يرض الملك عن واحد منها، ذلك أنه تخيّر أن تكون الأعاجيب هزيلة لا قيمة لها. وأخيراً قال: ما رأي جلالتكم في الطيران؟ فالطيران من أبرز صفات الآلهة، والانتقال من مكان إلى آخر بحرية مطلقة من أخص خواصّ الآلهة. ثم لتستطيع أن تحضر احتفالات الآلهة واجتماعاتهم عليك أن تحسن الطيران كما أصبحت تحسن بفضل السحر العظيم أي شيء آخر. وأقرّ الملك على الفور هذا الاقتراح وقال: حتماً نحن، وقد أصبحنا من زمرة الآلهة الخالدين، في أشد الحاجة إلى القدرة على الطيران لنستطيع الاجتماع بأخواننا الآلهة في أي وقت وفي أيّ مكان. ثم سأل الملك لاحبه وقال: متى أستطيع الطيران وعلى أيّة حال سيكون؟ فأجاب صاحبنا: ذلك يحتاج على الأقل إلى استعداد اسبوعي. أمّا الحال لاذي سيتم عليه الطيران فهو أن تعلن لجميع أفراد الشعب أن الملك سيصطنع أعجوبة عظيمة في يوم كذا من شهر كذا تجعله في عداد الآلهة الخالدين، وبالطبع لن نعلن عن طبيعة هذه الأعجوبة حتى نحتفظ بدهشة الماجأة ويكون تأثيرها أشد ووقعها أقوى، ومتى اجتمع الناس وحفّوا بالقصر صعدت وإيّاك إلى أعلى شرفات القصر ومن هناك أجرينا الأعجوبة، فتطرح نفسك من الشرقة فإذا بك تحلق في الفضاء ما تشاء التحليق ثم تحوم فوق أفراد الشعب وتدوّم وبعد أن تكون جلالتكم قد ملأتم قلوب الرعية هيبة وإعجاباً تعودون إلى الشرفة، وعندها لا أستبعد قط أن يتبنى الشعب المعابد ويقيم فيها الأنصاب لشخصكم ليتخشع أمامها ويتوسل إليها كما يتخشّع ويتوسّلوا إلى أكرم الآلهة وأثبتها قدماً في مهنة الألوهة العزيزة.

ووافق الملك على كل ما قال صاحبنا وحدد يوماً لإجراء الأعجوبة والطيران، وأذاع ذلك في المملكة.

وفي اليوم المعيّن لاصطناع الأعجوبة، أخذت وفود الناس تؤم القصر من الصباح الباكر ليتسنى لهم أن يجدوا مكاناً قريباص من القصر يشهدون من الأعجوبة العظيمة.

وحوالي الظهر صعد الملك إلى أعلى شرفات القصر وصاحبنا إلى جانبه. ولم بلغ الشرفة أنل صاحبنا أشياءه التي سيتمّ على يدها الطيران وأوقد الناسر ونثر البخور وشرع يقرأ ويعزّم ويدمدم ساعة طويلة صرخ في نهايتها قائلاً: هيّا! هذه هي اللحظة، وإ عبرت فلن تعود. فقال الملك متخاذلاً بعض الشيء: أتؤكد أنني سأطير: فأجاب صاحبنا باطمئنان وثقة: أجل ستطير، وتطير إلى أبعد مما تشاء... وبالطبع لم يفطن الملك الغبيّ إلى التعريض في عبارته الأخيرة، وقال: هل أقفز؟ فأجابه صاحبه: إقفز، إقفز، وإلا عبرت اللحظة السعيدة.

ورأى الناس الملك منحدراً نحوهم يهوي كجذع خشبة أو قطعة من صخر. ولمّا جاءوا إلى حيث سقط على الرصيف المحيط بالقصر وجدوه كتلة هامدة من اللحم والعظم.

وأطل صاحبنا من شرفة القصر ونادى: هيا إلى الشعب واختر لك ملكاً لا يحمله الضرور على الرغبة في الطيران لجتمع بالآلهة إخوانه وزملائه.

وصاح الشعب من حول القصر بصوت واحد: أنت ملكنا، فابق حيث أنت: لقد خلصتنا من هذا الطاغية المأفون وليس أحد أحق بمكانه منك.

قياس خفي مستور على ظاهر

أراد ملك من الملوك أن يختار قائداً لجيشه، وكان في أشد الحاجة لسرعة الاختيار، فاستثار وزراءه من يختار، فاستعرضوا أمامه جميع رجال المملكة البارزين، ولكنه لم يرض عن واحدٍ منهم، لأنه كان يعلم عنهم ما يُريبه في إخلاصهم· وأخيراً قال لهم: ما رأيكم في فلان؟ وذكر لهم إسماً· فقالوا: لا نعرف شيئاً كثيراً عند يا صاحب الجلالة، فلا نستطيع أن نشير· فأجاب: أما أنا فأعرف عنه أنه شجاع· فقالوا: هذا لا يكفي، فقد يكون شيء نما ولا يكون مخلصاً· فقال: وأعرف أنه لا يكذب ولا يغتاب· فعادوا يقولون: قد يكون شجاعاً ولا يكذب ولا يغتاب ثم لا يكون صالحاً للقيادة، لأن القيادة الصالحة الموفقة تحتاج إلى عدد كبير من صفات الخير ومزايا الفضل·

وأخيراً قال الملك: لو كان معنا فسحةً من وقت لنختبر الرجل خبرة طويلة لفعلنا، ولكنا مضطرون إلى سرعة الاختيار، وإنني مختار هذا الرجل لقيادة الجيش· ولا أختاره اختيار هوىً أو إيثار، ولكنني أقيس ما لا أعلم من صفاته على ما أعلم· وهذه قاعدة قلما تخطئ، لاسيما إذا كان ما أعلم من صفاته هو الشجاعة والصدق وكراهية الاغتياب، وهي صفات قلما يخيب الظنّ الحسن بأصحابها من الرجال·

واختار الملك الرجل الموصوف لقيادة جيشه، فكان عند حسن ظنّه به، وبدأ من صفات فضله المستورة أكثر من بدا من صفات فضله المذكورة· وهكذا تحققت فراسة الملك وتحققت قاعدة قياس خفي مستور على ظاهر غير مستور·

كحيطة حمّاد

اشتهر ذئبٌ بالسطو على الأغنام ليلاً وهي في حضائرها، فاضطرّ الرعاة إلى اتخاذ أشد الحيطة لاتقاء شرّه، فأعلوا جدران الحضائر وأكثروا من اقتناء الكلاب القوية وحملوا أفضل الأسلحة وتناوبا الحراسة ليلاً. ومع كل هذه الاحتياطات فقد كان الذئب من الخبث والقوة بحيث لم يعدم قوتاً من هذه الأغنام. وكان بين هؤلاء الرعاة راع اسمه حمّاد لم يتخذ من الحيطة مثل ما اتخذ بقيّة الرعاة، وكان يهزأ لهم وبما يحتاطون ويقول: إن الذئب واجدٌ طعامه على كل حال، فإذا امتنع عليه ليلاً في صِتَر الغنم فلن يمتنع عليه في الخلاء الفسيح حيث لا تجدي حراسة ولا كلاب ولا سلاح مع الذئب المدرّب على الانسلال والمباغتة والروغان.

وفي إحدى الليالي شديدة العصف والمطر انسلّ الذئب إلى حضيرة الراعي حمّاد، فانتبه إليه وأخذ يصيح ويستنجد، ولكن هيهات أن يسمعه أحدٌ من الرعاة في هذه الليلة الماطرة العاصفة. فاضطر أن يترك الحضيرة والأغنام تحت رحمة الذئب ويسرع للاستنجاد بأقرب الرعاة.

وعماد حمّاد مع بعض الرعاة، ولكن بعد أن فتك الذئب بالقطيع فتكاً ذريعاً وأوسعه قتلاص وتمزيقاً وبعد أن أكل أكلاً لم يعد قادراً معه على أن يستقلّ، فشاهدوه يحاول الوثوق فوق جدران الحضيرة ولا يقدر لامتلاء جوفه بالطعام امتلاء شديداً. وأسرع أحد الرعاة ورماه ببندقيّته، فأرداه قتيلاً.

ولما نزلوا إلى الحضيرة وجدوا نحو أربعين شاةٍ مقتولة. فهذه مقصومة الظهر وتلك مبقورة البطن وثالثة مهشمة الرأس، وهكذا.

وغادر الرعاة صاحبهم حمّاد بعد أن أوسعوه لوماً وتأنيباً على عدم حيطته وغفلته التي غفل.

وفي اليوم التالي أسرع حمّاد واشترى خير البنادق واقتنى ثلاثة كلاب وأعلى الصيرة واستأجر راعياً آخر ليتناوب معه الحراسة ليلاً.

ورأى الرعاة هذه الاحتياطات يصطنعها حمّاء بعد أن فجعه الذئب بخير شطري شياهه، فعلت ابتسامة الهزء والسخرية شفاههم وأخذوا يتفكّهون لهذه الحيطة التي جاءت بعد أوانها وبعد أن نلم يبق من ضرورة لها بعد مقتل الذئب الخبيث وزوال شرّه، فأصبح اسم حمّاد وفعله عندهم مثلاً سائراً على كل غفلة مميتة تعقبها حيطة لم تبق لها من

فائدة، فقالوا في كل حيطة من هذا القبيل: حيطة أشبه شيء بحيطة حمّاد. واختصروها فقالوا: كحيطة حمّاد

بندقية هواء لكثير الادعاء

لاحظ الأب أن ابنه البكر يتحدث كثيراً عن شجاعته ورباطة جأشه واستهتاره بالمخاوف والمخاطر، بينما كان ابناه الآخران لا يتحدثان عن نفسهما إلا قليلاً وفي طريقة عابرة غير مقصودة، ولم يذكر، على كل حال، أنهما تملكا قسط عن شبجاعنهما وصبرهما على المخاوف كأخيهما الأكبر، مع أنه يعلم عنهما علماً أكيداً ثبات الأعصاب وعدم المبالاة في أشقّ المواقف وأشدها، كما اختبر ذلك بنفسه.

ولما حلّ عيد الميلاد قال الأب لبنيه وهم مجتمعون حول الموقد: لقد أصبحتم قادرين على حمل البنادق على عواتقكم والخروج للصيد في الغابة وفي السهل وفي الوعر، فهديتي إليكم في هذا العيد هي إذاً بندقية صيد لكل منكم.

وقدم الأب لكل من بنيه بندقية مغلفة بغلاف من الورق. وأزال البنون الأغلفة، فإذا بندقية الابن الأكبر بندقية هواء وإذا بندقيتا الابنين الآخرين بندقيتا صيدٍ من النوع الممتاز.

ونظر البنون بعضهم في وجوه بعض ثم نظروا في وجه أبيهم والدهشة ملء عيونهم، وهمّ أحد الابنين الأصغرين أن يسأل أباه في معنى هذا التفريق الغريب في الإهداء، ولكن الأب وفّر عليه مؤونة السؤال وقال: طبعاً أنتما صغيران وتنقصكما الشجاعة والقدرة، لهذا تحتاجان إلى أحسن البنادق لتسد النقص في شجاعتكما وقدرتكما. أما أخوكما فلا أزال أسمع منه سماعاً دامماً التحدثّث بالشجاعة الفائقة والقدرة الزائدة والثبات في أحرج المواقف وأدعاها إلى الذغر، لهذا رأيت أن أهديه بندقية هواء، فشجاعته وقدرته الفائقة لا شك تعوضان عن النقص الشديد في هذه البندقية.

وأدرك الابن الأكبر مغزى ما صنع أبوه، فانفجر باكياً وقام ليخرج، فقال له أبوه: بكاؤك يا بني دليلٌ آخر على أنني لم أكن متجنياً عليك ولا مخطئاً في خصصتك دون أخويك ببندقية الهواء. إنني سأهديك بندقية صيد خيراص من بندقيتي أخويك متى استطعت أن تقلك من الحديث عن أخبار شجاعتك وأنباء مغامراتك ثم متى استطعت أن تتلقى مثل هذه الصدمة الصغيرة التي لقيت هذا المساء بوجولة، فلا تنفجر حيالها باكياً كباء الوليد الصغير.

وفعل الدرس القاسي الذي ألقاه الأب على ابنه فعله، فزايله من ذلك اليوم غروره ودعواه وأحل العمل محل القول في حياته وأضحى في وقت قصير كأخويه في الشجاعة الصامتة وهدوء الأعصاب والتماسك في أشد الأحوال. فلم يسع الأب أخيراص إلا أن يهديه بندقية صيد خيراص من بندقيتي أخويه.

شعور كريم

طاردوه مطاردة لا لهن فيها ولا هوادة أعواماً عديدة· وأخيراً استبان لهم وجه الرشد وزال الوهم الذي كان يركبهم ويحملهم معه على اصطناع أرذل الخصومة وأشنع العداء·

وقال قائلهم: أسأنا إليه أقبح الإساءة وطاردناه أشق المطاردة وصيّرنا حياته جحيماً هوّن عليه جحيم الآ]رة، فمن العدل، وقد زال ما كان يغشي أبصارنا من وهم، أن نعوّضه خير عوضٍ مما أفناه هذه السنين الطوال من متع الحياة ولذات العيش ونعمة الأمن والاستقرار· فأجابوا: نعم القول قولك، فلننظر أي عوض نعوّضه وأي جزاء نجزيه·

وأخذ القوم يفكرون ويوالون التفكير في اصطناع أفضل السبل لمجازاة صاحبهم أفضل الجزاء وأكرمه على ما حرموه من نعم الحياة ومسرّات العيش· فقال بعضهم: نهبه القصور المشيدة تحيط بها الحدائق الغناء وتجري من تحتها الأنهار وتتغنى في أمثالها سواجع الأطيار· وقال بعض آخر: بل نزوّجه غير فتياتنا وأكملهن فتنة وأتمهن سحراً، فكلٌ مع الحياة لا تعدل شيئاً إذا قيست بمتع الحب والجمال· وقال آخرون: بل نهبه المال والفير والخير الكثير ليجعله وسيلة إلى خير ما يحب ويشتهي، فالناس مذاهب فيما يحبّون ويعشقون ومن الخير أن تدع المرء وما يحبّ ويختار·

واختلف القوم أيّ شيء يختارون لصاحبهم مما عرضوا أي شيء، يدعون· وأخيراً اتفقوا على أن نيختاروا له كل الذي ذكروا ووصفوا، فذلك خليق أن يعوضه خير عوضٍ مما فاته من هناء وحُبس عليه من شقاء·\ولكن ما هم القوم أن يضعوا الذي أقرّوا واختاروا قال كبيرهم والمشير عليهم في معضلات الأمور ومشبهمات الرأي" أخشى ألا يكفي كلّ الذي ذكرتم من وسائل التعويض والمكافأة، وأخشى أن يطول حسابنا أنفسنا وضمائرنا حساباً مؤلماص عسيراً كلما رأينا صاحبنا ذاك وذكرنا السوء الذي أسأنا إليه والأذى الذي آذيناه·

فقال القوم: إذاً ما نصنع أيها المشير الحكيم لننجو من عذاب الضمير الحي الرقيق والشعور المرهف الدقيق؟

فأجاب الحكيم: خيرالسبل عندي وأوفاها بما تطلبون لصاحبكم هو أن تزيلوه من أمام أبصاركم فيزول من بصائركم وضمائركم ويزول معه ما يحزٌ في نفوسكم من وخز الضمير ولوعة الشعور، ثم لا ننسى أن ما اقترح عليكم من اقتراح لن يكلّفكم إلا أجر من تختارونه لميض بمنصاحبكم إلى حيث لا يعود هو شيء ضئيل إذا قيس بالربح

النفسي الذي ستربحون وراحة الوجدان الذي سترتاحون حينما تزيلونه من الوجود ويزول معه كل أسفٍ تأسفون وكل ألمٍ تألمون لما آذيتموه وأشقيتموه.

وصادف اقتراح الحكيم هوى من نفوس الجميع وأقرّوه عليه بلا وفاء ولا جمجمة. وأرسلوا بعض رجالهم ليربح صاحبهم ذاك منهم، ويريحهم منهم ويرتاحوا من آلام الشعور الحي الكريم وعذاب الضمير المرهف القويم

حكمة العبيد

قتل لصاحبه: انظر إلى هذا السائل، إنه لا يكاد يخيب فيما يتوسل ويستجدي، فكل من سأله أعطاه: إنه حكيم يعرف كيف يخاطب الناس الخطاب الذي يلمس جانب الشعور فيهم ويثير نخوتهم وأريحيتهم· فأجاب الار: أحل، إنه لحكيم، ولكن حكمة المتسولين· فسأل الأول: وهل لهذا المتسول حكمة خاصة؟ فأجاب الثاني: نعم، هي الحكمة التي تجعله متسولاً ناجحاً وحسب· وفو كان يحسن غير هذه الحكمة لكان أولى بالاعطاء منه بالاستجداء· نفالحكمة يا صاح نوعان: حكمة العبيد وحكمة الأرباب·

إذا اتسع سبيل الاختيار

أراد أبواه أن يزوجاه، فذكرا له عدداً من الفتيات ذوات الحسب الرفيع والخلق الكريم والجمال البارع، ولكنه لم يرض عن واحدة منهن: فهذه فيها بعض القصر وتلك بعض الطول، وهذه شعرها لا ينسجم مع لون بشرتها وتلك شعرها جعد يوحي بالانقباض وكزازة العاطفة، وهذه عيناها ضيقتان حادتان كرؤوس السهام وهذه عيناها خامدتان فاترتان توحيان بالبلادة والخمود، وهذه في أنفها قنى مُعيباً وتلك أنفها أشم شمماً زائداً، وهذه كذا وتلك كذا آخر حتى أخرج كل الفتيات اللواتي عرضن عليه من دائرة امتياره ورضاه.

وأخيراً قال له أبوه: يُخيّل إلنيا أنّك لن ترضى بواحدةٍ ممن نفترح ونختار لك، فامضِ وسرف ي طول البلاد وعرضها وانظر إلى جميع الفتيات، فمن أعجبتك منهن زوّجتَك منها مهما بلغ مهرها ومهما كانت عزيزة علي أهلها، قلنا من حسن السمعة وارتفاع المنزلة وسعة ذات اليد ما يضمن لنا الفحوى وحسن القبول لدى أية أسرة من الأسر.

وضع الفتى كما أشار أبوه ومضى ينتقل من مدينة إلى مدينة ومن بيت إلى بيت يشاهد ويفحص ويدرس إلى أن طاف نبجميع المدن القرى ولم تبق فتاة صالحة للزواج إلا شاهدها. ودرسها. وبعد عام كامل من الطوال والتملّي والدرس عاد الفتى إلى أبويه، فبادرا يسألانه: عسى أن تكون اهتديت إلى فتاة أحلامك يا بنيّ! أسرع واذكر لنا اسمها حتى نبادر باحضارها لك فتقرّ عينانا ونفرح فرحة العمر.

وصمت الأبوان ينتظران أن يذكر الابن اسم الفتاة التي وقع عليها اختياره، ولكنه بدل أن يبادر ويذكر اسم الفتاة التي اختارها تثاءب وتمطى وأجاب في شيء كثير من الفتور والسآمة وقال: اختارا لي أنتما، فلقد عجزت عن الاختيار، وهكذا لم أستطع الاختيار، فاختارا لي أنتما.

والتفت الأب إلى زوجته وقال: ألم أقل لك أنه سينتهي إلى هذا أو مثله لما لُمْتني على تركي إيّاه يختار على هواه، وخشيت أن يتورّط فيما لا نحب له ولا يحبّ هو لنفسه: إن المرء إذا استعت أمامه سبل الاختيار ولم يجد حواجز وعراقيل تحجزه عما يميل إليه ميلاً طبيعياص يجد نفسه في آخر الأمر موزعاً بين عدد كبير من المغريات، فلا يستطيع أن يتجاز بقوة إلى واحد منها.

واختار الأبوان لانهما فتاة ذات خلق وجمال، وحمد الابن لأبويه هذا الاختيار، فقد

كان اختياراً موفقاً كما أثبت له السنون الطويلة الهانئة التي صرفها مع فتاته.

ليست العبرة بجودة الشيء وإنما هي بقربه من مثله الأعلى

اعتاد أمير إحدى البلدان تشجيع الصناعة في بلاده بإقامة المعارض وتقديم الجوائز لأحسن الصناعا· ومرّ الأمير هو وحاشيته بين المعروضات الصناعية التي عُرضت في إحدى السنين، فشاهد لافتة فيهال: شفرات تحلق ألف مرة دون أن تكل أو تمل، وشاهد الشفرات معروضة دونها· فسأل الأمير الصانع: أتعني ما تقوله لافتتك هذه؟ فأجاب الصانع: نعم، والتجربة هي البرهان· فأمر الأمير بأن يُحضّر كل ذي لحية كثيفة لم تلامسها موسى قطّ·

وانتشر الشرطة في الشوارع والأزقة يلقون القبض على كل ذي لحية كثّة، وفي أقل من ساعة كان في ساحة المعرض ألف لحية من أكثف اللحى وأتمها

وبلّت أول لحية بالماء والصابون وعمد إليها صانع الشفرات، وفي أقل من بضع ثوان أصبحت سحنة صاحبها كسحنة الوليد· ولما علم بقية الملتحين ماذا يراد بلحاهم ثاروا واحتجوا اجتجاجاً شديداً وهمّوا بالانصراف· ولكن الشرطة كانوا لهم بالمرصاد ولم يمكنوا أحداً من الهروب· وخاطبهم الأمير مهوّنا الأمر عليهم بأنه يضع ما يضع في سبيل العلم وتشجيع الصناعة وترقيتها· وخضعت اللحى للأمر الواقع ومضى الصانع ينزلها عن عروشها واحدة واحدة إلى أن أكمل الألف وشفرته لم تزل على مضائها وحدّتها كأوّل ما استعملها· فثبت للأمير صدق دعوى الصانع وأمر بأن يعطى الجائزة الأولى لأحسن صناعة في ذلك العام· وأراد بعض حاشية الأمير أن يلفت نظره إلى الصناعات العليا كالسيارات والطيارات والمراقب والمجاهر وأدوات الطب ومنتجات الزراعة والكيمياء وما إليها، فأجابه الأمير: إن تلكم الصناعات التي ذكرت لا تزال بعيدة عن مثلها الأعلى·

أمّا هذه الشفرات فقد حققت أو كادت تحقق المثل الأعلى للشفرات، وهو ما نريد لكل عمل من الأعمال أو جهد من الجهود، فليست العبرة بجودة الشيء وإنما هي بقربه من مثله الأعلى، ثم لا ننسى أن شفرة واحدة من هذه الشفرات حلقتا من ألف لحية وممّا يعشش فيها من خداع ومكر واستغلال، وهو ليس بالأمر اليسير كما تعلمون·

لكل احتمال جد

كان بعضهم صاحب يعزّه ويوده أشد الإعزاز والودادة، فكان يكلفه بأشق الأعمال ويعرّضه لكثير من التضحيات في سبيله فيقوم بها في غير تلكؤ ولا كراهية.

وتحدث صاحبنا إلى أبيه في شأن صاحبه وصداقته النادرة واستعداده في كل لحظة لتلبية طلباته والاستجابة لرغباته مهما كانت صرفة، فقال له أبوه ستفقد صديقك هذا يوماص من الأيّام، فليس في طبائع البشر الاجتمال إلى غير حد ولا نهاية، وسيجيء يوم يعجز احتماله أو تعجز قدرته عن الاستجابة لرغباتك التي تزيد باطراد تبعاً لنجاح سابقاتها، فيردك خائباً وتفقد صداقته التي لا تُقوّم بأي شيء مما يقوّم وضرب له الأب مثلاص على ذلك جميعاً النحل وكيف يترك خلية إذا كان المستثار من الجهل أو الطمع بحيث لا يترك له شيئاً من العسل في هذه الخليّة. غير أن الأبن ظل مصراً على خطته مع صاحبه. وكان يرد على أبيه كلما ذكره بوجود الاعتدال في الاعتماد على صديقه وذكر له مثل النمل والمستشار الجاهل بأن الاعتدال في الاعتماد على الصداقة هو من خصائص الصداقة الضعيفة أو المعتدلة على الأقل، أما مثل النمل فهو ككل مثل ينقل من دائرته لا يمكن تطبيقه على غيره تطبيقاً صحيحاً.

وفي يوم جاد الابن منكس الأنظار بادي الوجوم، فسأله أبوه ما باله، فقال: ليتني اتبعت نصحك واصطنعت الاعتدال مع صاحبي. فقال له أبوه: أفقدت صديقك؟ فأجاب، كلفتهاليوم أن يقوم لي بخدمة صعبة فردّني بغلظة وقال: يا أخي إن كان صديقك أو حبيبك من عسل فلا تأكله كله، وأنت، كما يبدو لي، لا ترد أن تبقي من صديقك شيئاً. فقال له أبوه: أذكرت الآن تحذيري ومثل النمل والمشتار الجاهل؟ فأجاب: حيث أن ذلك المثل نلا يمكن نقله من عالم الحشرات إلى عالم الإنسان. أما الآن فأنا أعلم أن الحياة جميعاً قريب من قريب، وما يصح عليها في ناحية يغلب أن يصح في نواحيها الأخرى دون فرق كبير.

طلبتها المشتهية وأكلتها المستحية

تزوّج رجل بامرأتين وطلبت إحداهما يوماً أكلة من الدجاج، فسأل الرجل زوجته الثانية: أتحبين هذا الطعام فنعدّه؟ فكسرت الزوجة نظرها استحياء ولم تجب.

وابتاع الرجل الدّجاج وأعدته الزوجة الأولى. ولما صار وقت الغداء دعا زوجتيه. فالأولى جاءت مسرعة، أما الثانية فقد اعتذرت بأنها ليست جائعة ولما شاهدت الزوجة الأولى صُرّتها تعزف عن الطعام دونها خشيت أن يرميها زوجها بالنهم والبطنة ويميل إلى الأخرى التي لم تطلب الطعام ولم تقبل عليه، فقالت: وأنا الأخرى لا أجد في نفسي رغبة في الطعام الآن، فلست بآكلة فغضب الزوج وقال: تلك لا تريد أن تأكل وأنت التي طلبت الطعام لا تريدين أن تأكلي، فمن يأكله؟ أأطرحه في الشارع؟ فقالت: إفعل ما بدا لك، فإني لست آكلة شيئاً. وأمسك الرجل بالطعام وهمّ أن يقذف به من النافذة، فأقبلت عليه زوجته الثانية وقالت: لا، لا تطرحه: إنني سآكل. وعاد الرجل يدعو زوجته الأولى. فقالت في نفسها: لقد سنحت فرصتي: سأريه أنني أصبر منها عن الطعام وأقل شهوة. والتفتت إلى زوجها وقالت: لقد قلت إنني لا أستطيع أن آكل، فكلا هيئاً مريئاً، وهكذا استطاعت الزوجة المستحية التي لم تطلب الطعام أن تأكل ذلك الطعام. أما التي فقدت حرمته. وهذا هو أصل المثل المعروف: طلبتها المشتهية وأكلتها المستحية

من استغنى عن الناس واستغنى عنه الناس

سمع الوالد أباه يدعو ويقول: اللهم لا تجعلني غنياً عن كل الناس ولا تجعل كل الناس أغنياء عني! فسأل الولد أباه: ماذا يعني هذا الدعاء؟ فأجاب: من استغنى عن كل الناس أو استغنى عنه كل الناس هو ميت أو كالميت. فالأحياء من الناس قاطبة لا يزال بعضهم في حاجة إلى بعض حتى يزولوا جميعاً.

سوء حاضري ردني إلى ماضيّ

قيل لرجل: مالك لا تنفك تذكر ماضي أيامك وتتلهّف عليه؟ ألا عشت لحاضرك وهو كل ما بين يديك؟ فأجاب: إنما سوء حاضري ردني إلى ماضيّ.

من أطاقه الظلم ظالماً أطاقه مظلوماً

مر حكيمان ببلاد لا تنفك يحكم أهلها أناس من جنس آخر، ولاحظا أن الجنس الحاكم يظلم أهل البلاد ظلماً شنيعاً ويقسو عليهم قسوة بالغة دون أن يبدو عليهم أنهم مستاؤون مما يعاملون ويعلمون. فقال أحدهما: ما أعجب شأن هذا الشعب! يظلم ولا يثور وهو يطبق الثورة ويُذلّ ولا يستكبر على الذل وهو يطيق ذلك: إن شأنه لعجب. فقال الآخر: إذا ظهر السبب زال العجب، لقد سبق لهذا الشعب المحكوم أن حكم شعباً آخر وظلمه وأذلّه

جاء الحمار من يعرفه

استولى الهزال الشديد والعجز البالغ على حمار، فصمم على أن يغادر منزل صاحبه خلسة ويهرب إلى الغابة، وهناك إما استعاد قوّته وعاش كما يعيش سائر الحيوان في الغابة وإما أدركه الهلاك جوعاً أو على يد حيوان مفترس فيرتاح من حياة خيرٌ ما فيها يجعل الموت أمنية والفناء أملاً.

وأنفذ الحمار ذلك العزم وخرج إلى الغابة، ولم يمض غير قليل من الوقت حتى استعاد قوته الذاهبة وامتلأ إهابه وعاودته القدرة على الجري والوثب والنهيق.

وأراد الحمار ذات يوم أن يرى أي مبلغ بلغ صوته من الشدة والعنف، لاسيما بعد أن راح العجز والهزال حنجرته أمداً طويلاً، فرفع عقيرته وأخرج صوتاً كريهاً صاحباً اهتزت له جوانب الغابة اهتزازاً شديداً وظلت أصداؤه تتجاوب حتى أتبعه صوتاً آخر كان أشدّ وأكره، فخيّل إلى سكان الغابة من حيوان وطير كأن الغابة برمتها باتت حنجرة واحدة صاخبته مجلجلة.

ولما كف الحمار عن النهيق وانقطع الصوت وتلاشت الأصداء استطاعت الحيوانات في الغابة أن تستعيد شيئاً من تماسكها وثباتها اللذن شرّدهما صوت الحمار الصاخب الغريب، وأخذت تتساءل أي حيوان هائل هذا الذي يستطيع أن يخرج مثل هذا الصوت ويحدث مثل هذه الأصداء، فلم يكن سبق لها أن رأت حماراً أو سمعت صورة حمار.

وشرع أجرأ الحيوانات يتخلى عن انكماشه وذعره شيئاً فشيئاً وأخذ يسير في حذرٍ وتوجس في ناحية الصوت، وبلغ بعض هذه الحيوانات حيث كان الحمار راتعاً يرعى، فرأت حيواناً ضخم الجثة ممتلئ الجسم شديد الأسر، فقالت إن مثل ذياك الصوت الكريه المرعب خليق بهذا الحيوان الممتلئ العنيف.

واشتهر أمر الحمار في الغابة وأخذت الحيوانات جميعاً تتودّد إليه وتظهر له الخضوع والمهابة، فقد أيقنت أن وراء ذياك الصوت الذي سمعت وهذا الجسم المكتنز المليئ الذي ترى قوة هائلة لا قبل لها بها ولا سبيل إلى مناوأتها وتحدّيها وأن من الخير لها أن تبدي لصاحبها كل مظاهر الذلة والخضوع لتسلم من شرّه وتتوقى أذاه.

ومر عهد طويل والحمار ينعم بالمرعى الخصب والأمن الأكيد والتوفير الشديد والخشية البالغة والخضوع التام، ولكن كما يقال عند صفو الليالي يحدث الكدر. فقد مرّ بتلك الناحية من الغابة كلب شارد، فسمع الوحوش تتكلم همساً وفي توجس شديد

عن هذا الوافد الجديد على الغابة، فاستولى عليه الذعر والمهابة هو الآخر، فقد أيقن أن هناك حيواناً يفوق بقية الحيوان نقوة وبطشاً وإلا لما أظهرت الحيوانات من الجزع.

فيما كان الكلب يفكر أشق التفكير في هذا الوافد الجديد على الغابة الذي ملأها رعباً وهيبةً سمع صوت نهيق الحمار. أما هو فقد ضحك ملء شدقيه وقال: ما الذي أتى بهذا الأحمق إلى هنا وكيف صبرت على سخفه وحمقه الحيوانات إلى الآن؟ أما باقي الحيوانات فقد ربضت هالعة خاشعة.

ونظر الكلب حوله، فاستغرب هذا الهلع والجزع اللذين رأى يستوليان على نفوس الحيوانات جميعاً، فسأل أقربها إليه فيم هذا الهلع، ومم الخوف والخشية، فأجيب أن أصمت يا هذا ولا ترفع صوتك بالسؤال، ألم تسمع، أليس لك أذنان؟ فأجاب الكلب مستغرباً: لقد سمعت صوت الحمار، ولكن ما علة هذا الهلع والخوف اللذين استوليا علي الحيوانات جميعاً؟ فقال يخاطب الكلب: إعلم أن صاحب الصوت الذي تدعوه جماراً قد ملأ الغابة رعباً وهيبة بصوته قد حلّ هذه الغابة، فنحن نبذل جهدنا بالتوقي والخشوع حتى لا نستثير غضبه أو نحرك خراوته.

وضحك الكلب ضحكة شديدة حتى باتت نواجذه وقال: حقاً إن الجهل أعدى أعداء كل حيّ من الأحياء. ثم خطاب الحيوانات وقال: إذا استطعت أن أكفيكم شر هذا الحمار ماذا تجعلون لي مقابل ذلك؟ فأجابت الحيوانات: إنذا كفيتنا شره وخلصتنا من بطشه وصوته وصولته جعلنا لك كل يوم مقدار حاجتك من الطعام والشراب تناله على أهون سبيل، فقا للها: ابتعنني أيتها الوحوش ترين أي شيء صنع لكن الوهم والجهل والاغترار بالمظهر دون المخبر.

وسار الكلب وسارت الحيوانات وراءه من بعيد حتى أقبل على الحمار وأخذه يهزه وينبحه نباحاً شديداص، فاستدار الحمار وأراد أن يرفسه، ولكن الكلب كان أسرع حركة وأبرع حيلة فزاغ عن الرفسة وقفز قفزة قوية في الهواء ثم نزل فإذا هو على ظهر الحمار، وإذا الحمار يهرب مهرولاً لا يدري أين يسير وكيف يتخلص من هذا الخبيث الذي فضحه شر فشيحة أمام هذه الحيوانات جميعاً.

ولما أيقنت الحيوانات أن هذا الحمار لا تتجاوز قدرته ذلك الصوت المنكر الكريه قالت، نلقد حرمنا هذا الحمار لذة الاستقرار والأمن هذه المدة الطويلة وهو على هذا القدر من السخف والعجز، فلنمزقه كل ممزق. وأقبلت عليه الحيوانات حانقة غضبى، وفي أقل من لمحة البصر كان في فم كل حيوان قطعة صغيرة من جسمه.

أما الكلب فقد نال خير جزاء على ما أبان للحيوانات من نسخف هذا الحمار وعلى الدرس الذي لقنها من عدم الاغترار بمظاهر القوة والشدة، فقد تخفي أقوى المظاهر أشد العجز كما قد يخفي أضعف المظاهر أشد القوة وأعظم البأس.

ينتقمون لضعفهم

قال النمر للأسد في حديقة الحيوانات

ـــ لأي شيء يطيل هؤلاء الناس النظر إلينا والتحديق فينا؟

ـــ إنهم ينتقمون منا

ـــ لأي شيء ينتقمون

ـــ لجبنهم وضعفهم

هذا كل ما أستطيعه لكم

تجمع جمهورٌ كبير أمام قفص الأسد في حديقة الحيوانات، وكان في أوّل الأمر مستلقياً ووحجفه إلى الجمهور· ولكن لم يلبث أن نهض وتمطّى ونظر أمامه نظرة زراية واحتقار، ثم استدار واضطجع مستدبراص الجمهور ولسان حاله يقول: هذا كل ما أستطيعه لكم أيها الجبناء· زما زوجته فقد بقيت واقفة تنظر في ذلك الجمهور· ولا أدري أكان ذلك لأنها أقوى من زوجها في حب الاستطلاع أو لأنها أضعف منه في الإحساس بالكرامة·

جسم صغير وقلب كبير

قالت الأفعى للعصفور وجناحه في فمها: السمّ سرى في جسمك ولم يبق لك أملٌ في الحياة، فلو كففت عن الحخركة واستدت قليلاً واعتني قليلاً على إدخالك هذا النقب الضيق! فأجاب العصفور من خارج العش: يا هذه، نلم أبلغ من الهوان على نفسي ما تحبين أو تتوهمين· ومضى يجاهد للخلاص·

وأخيراص سقط الهيكل العظمى للعصفور من فم العش بعد أن ظل حولاً كاملاً يعلن إعلاناً صامتاً عن نبل الروح التي عمرته·

الحجر المرفوض

قال الحجر لمجاوره في فناء الدار: لقد تم البناء وسكنه أصحابه، فأين ما كنت تعزّ بنا والقوم ماضون في البناء دون أن يتلفتوا إلينا بأن الحجر المرفوض صار أس الزاوية؟ فأجابه صاحبه: الذنب ليس ذنبي، هكذا كان بقول الوعاظ وهذا ما كنت أمسعه· وعلى كل حال لا تقطع الأم فقد يكون البناء بعد في حاجة إلى مطبخ أو كنّ للدجاج، أ شيء مثل هذا· فقال الحجر الأول: حتى ولا هذه· فقد بني المطبخ واكتنّ والكنيف أيضاً

رسالة العوض

ـــ لعلك تعنين هذه الدندنة المؤذية والإزعاج الشديد اللذن لا تنفكين تدندنين وتزعجين الناس وتمتصين دمهم؟

ـــ طبعاً أنت تسمي هذه الموسيقا الرفنيعة دندنة وإزعاجاً لأن نذوقك الفني لا يزال فنجاً بدائياً بعيداً عن الإرهاف والرقّة ويحتاج إلى أجيال عديدة من الصقل والتهذيب وحسن التوجيه· أما هذه القطرات القليلة التي نأخذها من دمكم فليست أجراً على عملنا الإنساني النبيل ورسالتنا المقدّسة· ذلك أن عملنا ورسالتنا يملأن عن الأجر والجزاء، إنما هي شيء لا بد منه لنقوى على أداء رسالتنا خير أداء ونقوم بواجبنا أفضل قيام· ولو كان الطمع في دمكم كل همنا لكان لنا مندوحة عنكم بغيركم من الأحياء·

ـــ وما علامات الذوق المرهف والحس الدقيق عندكن؟ وإذا صار لنا بحس تهذيب البعوض وإرشاده وفنه الرفيع ذوق مرهف وحس دقيق وتهذيب رفيع أتكفين أنت وجماعة البعوض عنا؟

ـــ طبعاً، نحن لا بد ماضون عنكم وذاهبون متى هذّبناكم وثقفت نفوسكم وأرهفنا شعوركم وذوقناكم فنحن نلا يحملنا على لزومكم، كما ذكرت قبل قليل، ولا يدعنا تحمل غلظتكم وأذاكم إلا ذلكم الواجب المقدس، وهو واجب لن نتخلى عنه ما بقيتم على هذا الحال من جفوة الشعور وقسوة الإحساس· أما علامات التهذيب الصحيح وأمائر الذوق والشعور اتلدقيق فهي أن ننشد ما نشاء ونقع على وجوهكم ما نشاء دون أن تبادرونا باللطم كما لا يزال هذا دأبكم معنا إلى الآن·

ـــ وأحسب أننا إذا صرنا لكن كم تقترحين فلن نذهبن ولن تدعن وجوهنا ليلاً ولا نهاراً·

ـــ أنت واهم، فيما عليك أنت وقومك لتدعكم وشأنكم إلا أن تثبتوا لنا بالعمل لا بالقول أنكم

يسير ويتقدم

سُئل صاحب المعصرة: لماذا تغطي عيني الحمار الذي يدير المعصرة؟ فأجاب: حتى يظل يعتقد أنه يسير ويتقدم.

حرص السخيف

رآه يسير مسرعاً، فسأله: ماذا بك يا صاح وفيم إسراعك؟ فأجاب: بلغني أن وباء أصاب الخيل وأحببت أن استوثق من البيطار كيف تبقى الوباء. فسأله صاحبه: وهو ابتعت جواداً؟ فأجاب: كلا، وإنما فكرت أن ابتاع واحداً في العام المقبل.

المتكبّر

صعد إلى أعلى الجبل وأخذ ينظر إلى الناس دونه، فقال: ما أصغر الناس هنالك! وسمعه نسرٌ كان يحوم فوقه، فقال: إنني أرى الناس ينظرون إليك بمناظير التقريب يا هذا.

السلاح الذي لا يحمي أهله

دار الحوار الآتي بين ثورين:

ـــ ألا تعلم أنّنا بهذه القرون القوية من أشد الحيوان هواناً؟

ـــ بل نحن بهذه القرون من أقوى الحيوان وأقدره على رد الأذى.

ـــ لهذا قلت إننا من أشد الحيوان هوانا وأنزله قدراً.

ـــ لست أفهم ما تريد. قل لي بكلام صريح ما الذي تعنيه؟

ـــ أنسيت النير؟

ـــ كلا، لم أنسه، ولكن ما علاقة هذا النير بما نحن فيه؟

ـــ ألم يكن أبقى لكرامتنا وأحفظ لمروءتنا لو لم تكن لنا هذه القرون القوية المشرعة إذا نلم يكن من النير بدٌ؟

ـــ لكأنّك تريد أن تقول إن السالح والقوة اللذين لا يحميان أصحابهما ولا يرفعان عنهم النير ـــ نير الذل والعبودية ـــ لا يستحقان أن يُحملا.

ـــ هذا وشيء آخر: وهو إن مما يعزي من فُرضت عليه الذلة وضربت عليه المسكنة

ألا يكون لديه سلاح معطل لا يستطيع استعماله، فإنه يجد عذر لدى نفسه ولدى الآخرين إذا لم يستطع أن يتخلص من نير العبودية والذل.

ـــ أكاد أفهم الآن ما تريد وتعني، ولكن لعل مما يعزينا بعض العزاء أن هذه القرون التي تحمل اليوم ولا تستطيع الانتفاع بها كما يجب كانت ذا فائدة ونفع لنا كبيرين لمّا كنّا من حيوانات البريّة قبل أن يؤنسنا الإنسان. فهي لم تكن خلقت لقتال هذا الإنسان الخبيث ومناجزته، وإنما خلقت لاتقاء حيوانات أقل حيلة وأهون مكراص وأشد خضوعاً لحكم القوة والبطش.

يشوي الصقر من يراه طعاماً

قام يسعى للطير فوق البطاح: وأتاها قبل انبنلاج الصباح

فأصابت أشراكه دون لأي(30)تلكم الطير قبل آن انسراح

قادها الجوع للطعوم عجالى قوتل الجوع من عم ملحاح

فزواها في جعبة دون ريث غير أشغى(31) المنقار آبي الجناح

قال: هذا صيدٌ ولكن أراه غير عانٍ لغير أمضى السلاح

ورماه بمروة(32) ثم ثنى بصقيل يقد قدّ الصفاح

وانثنى الصائد المدل بعيد لم يصب مثله بأعلى الطماح

ثم ألقى الفتىأمام أبيه صيده ذاك طامعاً بامتداح

قال: يوماً موفقاً كان هذا لم يكن فيه غير أسنى الفلاح

هاك طيراً ما قط أمسك طيراً مثله صائب بأعلى الكفاح

فأجاب الأب المجرّب: هذا يا بنيّ المسكين أدنى النجاح

ذاك صقر أرديته فقل غرّ دأبه نيل عاجل الأرباح

يشتوي الصقر من يراه طعاماً ويقيه ذو عيون صحاح

حكم المنفعة

حاولت أفعى أن تزدرد بيضة، ولكن لم يتسع لها فمها، فلما عجزت انصرفت وهي تقول: حقا إن التناسب والانسجام في هذا الكون مفقودان.

شدة الطرق

قيل للمسمار: ما أشد قوتك وأنفذك في الأشياء! فأجاب المسمار: لا تنسوا شدة الطرق والضغط اللذين ينفذانني هذه الأشياء

إنسانية

قال الفأر للهر وقد أخذ يلاعبه استعداداً لافتراسه: يا هذا، ألا تبادر وتقتلني فتريحين من مشاهدة وجه الموت الذي لا بد منه أطول المشاهدة؟ فأجاب الهر: نحن معاشر الهررة كالناس في إنسانيتهم وعطفهم لا نقضي على من قضي عليه بالموت حتى نقدم له شيئاً من مسرّات الحياة ولذائذها، فأنا لهذا أراقصك وأباسطك وأبعث إلى قلبك شيئاً من السرور كما ترى، فتذوق شيئاً من نعيم الحياة قبل أن تتجرّع مرارة الموت.

أيهما أحكم

سأل الرجل كلبه:

ـــ من تظنه أحكم، أنا أم أنت؟

ـــ أحسبني أحكم منك

ـــ هذه دعوى تحتاج إلىبرها، فما هو برهانك؟

ـــ من لم يفهم باللمح قلما يفهمه الشرح.

ذم باطن في مدح ظاهر

عيّر رجل آخر بقوله: أنت قلما تصيب في أحكامك، فرد عليه ذاك بقوله: وأنت قلما تخطئ....

لِمَ آثر سؤال اللئام

قيل لرجل نراك تسأل حاجاتك لئام الناس، فهلا سألت كرام الناس وهم أول من يلبي شداد ذوي الحاجات؟ فأجاب الرجل: خسارتي إذا رفض اللئام نجدتي خسارة واحدة، أما خسارتي في كرام الناس إذا أبوا النجدة فهي خسارتان.

سياسة

سأ ل رجاٌ كثير الزوجات كبير الشقاء بخصوماتهن نديك دجةاجاته: يا هذاع كيف تسوى زوجاتك العديدات هذه لاسياسة التي تدعهنّ على وفاق دائم فلا يختصمن ولا يقتتلن؟ فأجاب الديك: إنني لا أكسوهن ولا أطعمهن.

جهل وعلم !

سأل الطفل أباه:

ـــ متى تصبح مثلي يا أبي؟

ـــ إننا لن نصبح مثلكم.

ـــ كيف؟ أتبقون ناقصين فلا تبلغون مبلغنا ؟

فضحك الأب لسذاجة ابنه وجهله ولم يجب!!

باطن معوجّ وظاهر مستقيم

قال الإنسان للسرطان: لم تسيير هذا السيدر الأعوج؟ ألم يكن خيراً لك لو تركت هذا الأسلوب من السير وسرت مستقيماً؟ فأجاب السرطان: دعكم من هذا اللغو والغرور إذا كنتم تريدون المطابقة بين ظاهركم وباطنكم، فلا خير في ظاهر مستقيم وباطن معوجّ

غراب اصطاد جملاً

حطّ الغراب على ظهر جمل دَبِر وأخذ يخرج الدود منه بمنقاره· ولمّا أحس الجمل بانتهاء الدود من بُبرته نفض الغراب نفضة قوية، فطار إلى أصحابه وقال: لقد اصطدت جملاً قبل حين وتناولت منه قليلاً وتركته· فقلن له: هلم دلنا عليه· فقال: لم يبق في ظهره شيء من الدود·

باطل يلبس وجه الحق

قيل للبومة: لم تؤثرين الصيد في الليل ولا تصطادين في النهار؟ فأجابت: أصطاد في الليل لأنه أدلٌ على الشجاعة وثبات القلب، فأنا اوتره لذلك.

لا يتجاوز حدّ الضرورة

سُئل الكلب: لماذا لا تشتدُّ في النباح والمدافعة إلا في منزل أصحابك فإذا كنت خارجه· لم تكد تبدي شيئاً من ذلك؟ فأجاب: لست مكلفاً أن أحمي بيوت الناس أجمع·

لماذا غطى أعينهما

قال الجواد لرفيقه وهما يجرّان المركبة: لماذا يغطي صاحبنا أعيننا بهذه الحجب اللغينة فلا نكاد نرى مواقع أيدينا؟ فأجابه الآخر: حتى لا ننظر أمامنا فنرى امتداد الطريق في غير حدٍ وحتى لا ننظر إلى خلفنا فنرى المسافة الهائلة التي قطعنا

إذاً كيف يموت البلة

سألتالنملة العنكبوت: لماذا لا تكدٌ وتسعى في سبيل العيش وتكفٌ عن نصب حبائلك؟
فأجاب: إذلم أنصب حبائلي فكيف يموت البلهاء.

لما وقعت نكاية في شبكته

سمع العنكبوت صوت النحلة عن كثب، فهاله ما سمع، إلا أن خوفه زال وعاوده الاطمئنان والهدوء لما وقعت ذبابة عابرة في شبكته.

حبّذا لو سلم لي لحمي

قيل للأرنب: لِمَ لا تأكلين اللحم؟ فقالت: حبّذا لو سلم لي لحمي.

عجزٌ يحسبه أهله فضلاً

قالت الحمامة للدجاجة: لماذا ترفعين رأسك إلى فوق كلّما جرعت جرعة من الماء فأجابت الدجاجة: ذلك هو الشكر للّه على ما أنعم علينا· وحق الدوري، فقال: لا تخدعنّك الدجاجة أيتها المطّقة، إنما تضع الدجاجة ما تضع لأنها لا تُسيغ الماء إلاّ إذا رفعت رأسها فوقها

عاش مع الإنسان

قيل للقط وقد اضطرّ أن يلجأ إلى الغاية: لم نعهدك بهذه الأخلاق قبل أن تترك الغاية، فماذا دهاك؟ فأجاب" لا تنسوا أنني عشت وعاش أسلافي مع الإنسان دهوراً طويلة·

عندما تفشل القدرة

انقض الصقر على فريسته، ورأته الحدأة فهوت مسرعة وراءه· ولما وقف الصقر على فريسته وأخذ يمزّقها قالت له الحدأة: أعطني نصيبي من الصيد· فقال: وما شأنك والصيد؟ فقالت: كنت أحمي ظهرك· فقال: أسرعي من هنا أيتها الحمقاء، وإلاّ قضمت ظهرك· ولما تبيّنت الجد في عينيه طارت وهي تقول: أنك لطائر ظالم وقح تأكل حق الآخرين·

الثعلب الفراء والئب

فهل تحبّ أن أصنع لك مثلها؟ فأجاب الذئب" أحب أشد الحبّ، فإن البرد في كل شتاء يكاد يهرأ جسمي، فعاد الثعلب يقول: ولكن الفروة تحتاج إلى عدد من الجلود وتحتاج إلى جزّار ماهر يسلخها حتى لا تتمزّق· فقال الذئب: إذا جئتك بالخراف أتستطيع أن تسلخها جيداً وتقد جلودها إعداداً حسناً لتصنع منها الفروة؟ فأجاب الثعلب: كان هذا بعض عملي عند الرجل الذي ربّاني· فإذلا لم أستطعه فلن يستطيعه أحد

وأخيراً اتفق الذئب والثعلب على أن يقدم الذئب الخراف ويسلخها الثعلب ثم يصنع من جلودها الفروة المطلوبة، وله مقابل تعبه وصناعته لحم الخراف جميعاً·

وشرع الذئب يصطاد كل يومين أو ثلاثة أيام خروفاً ويأتي به الثعلب ثم يمضي· ومضى على هذا أسابيع والذئب يأتي بالخراف ثم يمضي بعد أن يسأل الثعلب عن سير العمل في الفروة وبعد أن يخيبه الثعلب بأنه يسير سيراص حثيثاً نحو النهاية·

وقرب الشتاء وأحسّ الذئب بالبرد، فألح على الثعلب بأن ينتهي من الفروة وإلا عاقبه أشدّ العقاب· فقال الثعلب: عشرة خراف أخرى ثم ينتهي العمل· وأتاه الذئب بعشرة خراف وقال بعد أن قبض على عنقه وهزه هزة عنيفة كادت تفصمها! لم يبق لك أيّ عذرٍ في الإبطاء، فواللّه إذا تبين لي أنك كنت تمكر بي

رسالة البعوض

يتم في هذه المرتبة المرجوّة من حس الذوق ورقة الشمائل والتهذيب والمسامحة، فما بنا حاجة إلى دمكم، إنما هو كما قلنا وكررنا القول رسالة بنلفها وأمانة نؤديها وحسب. ثم ماذا يضيركم بعد أن تعلوا هذه الدرجة المرجوّة من المسامحة وجودة التهذيب ورقة الشمائل ـــ ماذا يضيركم أن نلزمكم ونعيش معكم عيش الأخاء والمحبّة؟ بل يخيل إلي أنكم كن تصلوا ما نشاء كم من مستوى التهذيب والذوق الرفيع ولن تبلغوا ما تودّ بكم بلوغه من رقة الشعور والإحساس ما لم تصرّوا على بقائنا معكم نمتص القليل من دمكم ونمضي في تثقيفكم وتهذيبكم ونحن آضون عليكم من الانتكاس، والانتكاس، كما تعلمون، شر من ابتداء المرض وآذى.

ـــ آمنّا وصدّقنا أيتها المؤذية الثقيلة والمدندنة اللعينة. فأنت وجماعتك البغيضة معنا الآن لتهذيبنا، وغداً وأبداً معنا لتمولي دون انتكاسنا وعودتنا إلى عدم التهذيب والذوق. فامضين في إداء رسالتكن المقدسة ما دمنا عاجزين عن ردكن والاقتصاص منكن إلا بقدر

أشد الفضول

اقتيد فضولي إلى جهنم لفضوله،ولما صار هناك التفت إلى كبير الزبانية الذين كانوا يجرونه وقال: يبدو لي أن الحطب الذي تستعملونه رطب، لم لا تختارون حطباً جافاً.

فضحك كبير الزيانية ضحكة جهنمية وقال: حقاً لم يمر علينا في تاريخ جهنم الطويل مثل هذا في عبقرية الفضول، أوقعوه إلى أدنى منزلة أترى لجودة فضوله.

وزج الزبانية بالفضولي إلى أسفل درك في جهنم.

دعوى وصفاقة

اشتهر رجل بالدعوى الكاذبة، فمما كان يدّعي أنه يستطيع أن يحمل حمل الجمل ويسير به بأيسر جهد، وتكررت دعوى الرجل، فأحب أصحابه أن يختبروا صدق دعواه، فأحضروا عدلين مملوئين خطة ورفعوا أحدهما ووضعوه على ك تفه، ولكنه بدل أن يظل منقباً برك على الأرض ولم يستطع النهوض رغم محاولته الشديدة، فضج أصحابه بالضحك والسخرية· وأراد أن يستر خجله، فقال غاضباً: ألعلكم عجزتم عن رفع العدل الآخر؟! هيا ارفعوه وضعوه على كتفي الثاني· فازداد ضحك اجماعة· ولما هدأت عاصفة الضحك قال أحدهم ملخصاً هذه النفسيّة الغريبة: حمّلناه عدلاً، فبرك وقال حمّلوني العدل الآخر·

الهوامش

(1) النسيس هو بقية الروح عند النزع الأخير.

(2) اكمه: أعمى

(3) منابذ: مخالف

(4) لما كانت رجلا الخفاش قصيرتين جداً أحتاج أن ينام في سقوف المغاور معلقاً من رجليه حتى إذا خلاهما حينما يهم أن يطير وجد جناحاه مجالاً لهما للحركة والطيران.

(5) أما منامه في ثقوب الجدران فيستطيع أن يتخلص معه من صعوبة الطيران بالزحف إلى حافة الثقب الذي ينام فيه.

(6) الحمأة وحل قذر منتن.

(7) يطيران دائرين.

(8) الكار هو العامل الذي يعمل في الفلاحة العام كله وينال اجرأ على ذلك ويسميه الأردنيون بالحراث.

(9) مقيدة

(10) الخيرات

(11) الماء الملح في مرارة.

(12) بسطتك

(13) السبخة الأرض ذات الملوحة الشديدة.

(14) الأذى والشر

(15) للتواء الهلاك

(16) شطأت البذور بدأت تنم

(17) الدد العبث واللعب

(18) العجز والمهانة.

(19) النبز التعبير بالألقاب الشنيعة

(20) يرمضين: يؤلمني ألماً شديداً

(21) قثاء الحمارهو من دارج الأردنيين، وهو الذي عناه امرؤ القيس بالحنظل تراه كان الحنظل الآن يعني ثمراً آخر.

(22) العز والعزم ذو الفضلة وسوء الفهم.

(23) أصمى الصيد قتله وهو يراه.

(24) راث وزاد غضبه.

(25) غعبرت: مر عليها زمن، غراثي: جائعة أشد الجوع

(26) لينة.

(27) الجبري هو كل مؤمن بالقضاء والقدر، والصدقي هو المؤمن بالصدفة.

(28) المثل المعروف: طلبتها المشتهية وأكلتها المستحية

(29) صعوبة

(30) المنقار الأشفى هو المنقار

(31) عاب خاضع

(32) المروة الصخرة.

جدول المحتويات

مقدمة
أنبل الأخلاق
لما أخذا حذرهما
السرور والإنشاد لا يقتلان الأحياء
بين ديك وهرة
العمل الذي لا يعد عملاً
نجاح الأحمق
إنما لم أحتمل أن يفوز أخبث الخصمين
مني تحمد الأثرة ومني يحمد الإيثار
خير صلاة الخطر هي العمل
من الناس من يورطه العجز، فيدعي الاختيار ليخفي عجزه
من ليم على الإحسان لا يلام على الإساءة
إن عين ما يزيد أهل الخير خيراً يزيد أهل الشر شراً
حمل النفس على ما تكره في غير ضرورة ملجئة وتغرير غير مأمون العاقبة
السمكة الطموح
قد يحملنا على إيداء أنفسنا جهلنا ذلك الأذى، فإذا بلوناه وسلمنا لم نعد إليه
قط
إذا حمل القوي على شر ادعاه حتى لا يحمل على العجز
لا يعترف الأحياء بنجاح الصدفة ما أمكنهم ادعاء القصد
ما زاد عن حاجة أهله لا يصح الاستئثار به
شعب اللّه المختار
إذا شكى الصبور فلنستمع إليه
الحزم أول الأعمال
عدل الغربان
لا بد من ثمن لكل كسب
متى اصطلى الذين يحرضون على الشر بناره مباشرة
العقلاء يا يسمحون باختصامه فيما بينهم ليلهو بهم غيرهم
المراكز العالية لا يتسنمها إلا الزواحف والنسور
ليس مضطر كمختار
الثعلب العاشق
ماذا يصنع الحب
معرفة الآفاق الضيقة

ليس أدعى إلى احتمال الشقاء من شماتة الأعداء
إزالة الشر بعر أبلغ منه
نفسية الناجح ونفسية الفاشل
العيوب تستساغ إذا قورنت بما هو أبلغ منها
الببغاء الذي لا يدري أنه ببغاء
الهرب في كل أحوال الضعف أولى
من بر جحا
الكريم يؤثر أن يخسر حقاً على أن يحتكم إلى لئيم
أشد الأحياء تلونا وأشدها غدراً
كم في الناس من أمثال هؤلاء
إذا امتلأ القارب فلا يرقص الملاحون
لقد ذل من بالت عليه الثعالب
الثلم الأعوج من الثور الكبير
البحيرة المهجورة
لا يخد عن المرء بدموع الشدة والحرج
كثير من عمل البر مثل هذا
من يحجز طويلاً عن النور
مرارة القثاء
بعض الشر أهو من بعض
الكبرياء تكره نجاح الجدارة
من جلب شراً على أهله فهو أحقهم بالعقاب
الكريم لا يذل الكريم
لقد نجيته ونجاني
مثل هذا بر الكثيرين
حجة العاجز
طريق السلامة
صلح الأفاعي
بين السنابل
أبشع الشرور ما هيأته الفطنة معزوال الشعور
إن من عرف عنهم الشر يجنى مجر معهم على بريئهم
خير الغلبتين الأخرى
سليمان والبوم
كثرة الترحيب
عظـــة
ليس للرياء حدود

لا خير في ود لا يجيء إلا بهذه
نهاية الشر
من لم يحفظ قديمه أضاع قديمه وحديثه
بين الغراب والناس
النبتة الطيبة
من دل الناس على مقاتله فقد دعاهم إلى قتله
تجاوب العناصر الطيبة
ذئب يستأسد
نزولاً على حكم السجن
صحبته غير الأكفاء
مكر ثعلب وغرور ذئبين
المنزل الكبير للنازل الكبير
فضحته المبالغة
الدلفين الفيلسوف
من يجري أبداً مع التيار
حاجته فقط
أراه فأنسى الحليب
بين نسرين
درس من الطبيعة
دفع الشر الكبير بشر دونه
نسك النمر
حجة القثاءة المرة
بين الترس والسيف
إنها تعطي بيد وتأخذ بيد
أضرب الكلب يستأدب الفهد
لا أريد أن تكون هذه اماً لبني
الثعلب الغراء والذئب
شهادتان
شرها أراك خيري
الصيف ضيعت اللبن
من منطق الحياة
من سهل سبيل الإجرام فهو شريك فيه
مكروه الجوار
دواء الافتتان
جزاء الإستكبار على الغدر

من كان سلاحه الحيلة
القاضي اللبق
من حمل عدوه معه إلى القبر لم يمت
كنت أوثر كل هجاء وتشهير على أن يطولني فمك القذر
منطق
إطالة التسديد
الخاذل أشبه بالقاتل
لسن كلهن سواء
بين رجل وديك
حتى الجعلان لا ترضى عن أصلها بديلاً
فشل القوالب
خبرهم ديناً
كي يسبق المتخلف
منطق الحمقى
الأفعى المظلومة
الأصل الرغبة
القراص والناس
العنقاء ورحلة البقاء
أكثر الناس مضايقة أقلهم صبراً عليها
في كثير من الأحيان يكون الخوف من الأعداء أبلغ في الأذى من خيفة الأعداء
من منطق الجبناء
لما جد الجد
لا يلهينك أمر دون ما يجب
لم يخطئ من أحسن ظناً بأعاظم الرجال
أعقل ولكن هل أسعد
مهما يكن عملنا: إن سرنا فهو لنا
كل شيء لمنفعته
رسالة البعوض
عبيد المظاهر
نزاهة في الحكم
لئيم قذر
ش ـــ ر يفضي إلى خير
أبناء النور لا يؤذيهم النور
آكلها فجة ولا يأكلها غيري ناضجة

بدون عنوان
(1)
(2)
مرض السآمة
صوت الشعور وصوت العقل وأيهما أولى بالاتباع
لا تحرج أحداً إن كنت في غنىً عن الإحراج
الطبيعة العادلة
المزارع والكنز
آمن بالقدر وقتلته الصدفة
من تواضع ارتفع
تصلح لمعارض الأزياء
فلحس
الزنبور والنحلة
مبتكر !
بين الخمرة والميسر
طليق الصِغَار
بين الربّان والدفة
أوهام الغرور
إذا لم يكن سبيل إلىالكمال فأرب السبل إليه
أنانية حمقاء تُستغَلّأحسن استغلال
لا يُجاب طلب لراكع
ينمو سريعاً ويزول مسرعا
لا يهن الأبي وإن خذله وليٌ
ذو العيب تنجيه عيوب غيره
الملك المغرور
قياس خفي مستور على ظاهر
كحيطة حمّاد
شعور كريم
حكمة العبيد
إذا اتسع سبيل الاختيار
ليست العبرة بجودة الشيء وإنما هي بقربه من مثله الأعلى
لكل احتمال جد
طلبتها المشتهية وأكلتها المستحية
سوء حاضري ردني إلى ماضيّ
جاء الحمار من يعرفه

ينتقمون لضعفهم
جسم صغير وقلب كبير
الحجر المرفوض
رسالة العوض
يسير ويتقدم
حكم المنفعة
شدة الطرق
إنسانية
أيهما أحكم
ذم باطن في مدح ظاهر
باطن معوج وظاهر مستقيم
غراب اصطاد جملاً
باطل يلبس وجه الحق
لا يتجاوز حدّ الضرورة
لماذا غطى أعينهما
إذاً كيف يموت البلة
لما وقعت نكاية في شبكته
حبّذا لو سلم لي لحمي
عجزٌ يحسبه أهله فضلاً
عاش مع الإنسان
عندما تفشل القدرة
الثعلب الفراء والئب
رسالة البعوض
أشد الفضول
دعوى وصفاقة
الهوامش